المدعوون

وخصائص دعوتهم

(٩)

الطّبعَة الأولى

١٤٤٣ـ٢٠٢٢

ⓒ محمد عبد العزيز العواجي، ١٤٤٢هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
العواجي، محمد عبد العزيز محمد
موسوعة دليل الداعية. / محمد عبد العزيز محمد العواجي. -
المدينة المنورة، ١٤٤٢هـ
١٦ مج.
ردمك: ٦-٧٥٨٠-٠٣-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
ردمك: ٩-٧٥٨٩-٠٣-٦٠٣-٩٧٨ (ج٩)
١ - الدعوة الإسلامية ٢ - الدعاة أ- العنوان
ديوي ٢١٣ ١٤٤٢/٧١٧٩

رقم الإيداع: ١٤٤٢/٧١٧٩ ردمك: ٦-٧٥٨٠-٠٣-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
ردمك: ٩-٧٥٨٩-٠٣-٦٠٣-٩٧٨ (ج٩)

تم هذا المشروع برعاية

الجميح الخيرية
AL ALJOMAIH CHARITY

مكتب الدار للدراسات والاستشارات التربوية والتعليمية
ADDARR OFFICE FOR STUDIES OF EDUCATIONAL AND CONSULTING

موسوعة دليل الدَّاعية (٩)

المدعوون وخصائص دعوتهم

مشروع بحثيٌّ قام به مكتب
الدَّار للدِّراسات والاستشارات التَّعليميَّة والتَّربويَّة
تحت إشراف معهد البحوث والدِّراسات
في الجامعة الإسلاميَّة بالمدينة المنوَّرة

تأليف
أ. د. محمد بن عبد العزيز بن محمد العواجي
أستاذ التَّفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلاميَّة بالمدينة المنوَّرة

١٤٤٣-٢٠٢٢

المجلَّد الثَّامن - الجزء الأوَّل

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

فريق عمل الموسوعة

المشرف العام والباحث الرئيس:

أ.د. محمد بن عبد العزيز بن محمد العواجي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

ورئيس مجلس إدارة جمعية رعاية طلاب العلم بالمدينة المنورة

الباحث والمشرف العلمي:

د. عبدالرحمن السيد جويل

دكتوراة في الدعوة والثقافة الإسلامية

المستشار بجمعية رعاية طلاب العلم بالمدينة المنورة

والباحث في الدعوة والدراسات الإسلامية

التدقيق اللغوي:

أ. السيد مصطفى محمد جويل (رحمه الله)

مشرف التربية الإسلامية في التعليم الخاص

التحكيم العلمي:

أ.د. أحمد عبدالهادي شاهين حمودة

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية- جامعة طيبة

د. فهد بن محمد فرحان الوهبي

باحث في الدراسات الدعوية والثقافة الإسلامية

دكتوراة دعوة وثقافة إسلامية - معلم دراسات إسلامية تعليم المدينة المنورة

أعضاء فريق مكتب الدار للاستشارات:

١- د. علي بن خالد الدويش

الأستاذ المساعد بكلية القرآن والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية

٢- د. محمد بن عمر عقيلي

الأستاذ المساعد بكلية القرآن والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

«إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١]»[١].

وأشهد أن نبينا محمداً ﷺ بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الله به الغمة، تركنا على بيضاء نقية ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فصلوات ربي وسلامه عليه وعلى آل بيته وأصحابه وعلى كل من سار على هديه واستن بسنته إلى يوم الدين. وبعد:

المدعوون هم محور عملية الدعوة، إذ هم الأشخاص أو الفئات المستهدفة بالدعوة، والمطلوب تعريفهم بربهم، وإبلاغهم برسالة الإسلام، وتصحيح مفاهيمهم الخاطئة عن الإسلام، وبناء المفاهيم الصحيحة لديهم.

(١) هذه خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه ويفتتح بها كلامه وخطبته، وقد رواها ابن ماجه في سننه، كتاب النكاح، باب خطبة النكاح (١٨٩٢)، وأبي داوود في السنن، كتاب النكاح، باب خطبة النكاح (٢١٢٠)، والترمذي في الجامع، كتاب النكاح، باب خطبة النكاح (١١٠٥)، والنسائي في السنن، كتاب النكاح، باب ما يستحب من الكلام عند النكاح (٣٢٧٧)، وصححه الألباني في كتابه خطبة الحاجة.

وتتعدد أصناف المدعوين -كما سيأتي بيانه- ومن البصيرة بالدعوة المأمور بها في قول الله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ [يوسف: ١٠٨]، معرفة الفقه الملائم لحالة المدعوين، والوسيلة التي تناسب كل فئة بل وكل مدعو.

فلا بد من مراعاة أمور مثل: الفئة العمرية للمدعوين، والمكانة الاجتماعية، والوضع الوظيفي، والصلة الاجتماعية أو العائلية، والمستوى العلمي الأكاديمي أو العلم بالإسلام، والنوع الجنسي، والديانة، وغيرها من الفروقات التي لا بد من مراعاتها في المدعوين.

ولكل واحد من هؤلاء الأسلوب الذي يناسبه، وهذا هو ما يسميه علماء الدعوة المعرفة بأحوال المدعوين وكيفية دعوتهم.

ومن الحكمة والموعظة الحسنة المأمور بهما في قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [النحل: ١٢٥] معرفة نفسيات المدعوين، ومنازلهم، ومستوياتهم العلمية والفكرية، فليس كل أسلوب نافعاً ومفيداً لكل الناس، فدعوة الأمي غير دعوة المتعلم، ودعوة الكبير غير دعوة الصغير، وهذه القاعدة من أعظم قواعد نجاح الدعوة.

وهذا بابٌ كبيرٌ جدّاً في الدعوة، فأحوال المدعوين تتغير من زمنٍ إلى زمنٍ ومن مكانٍ لآخر، ومن فئةٍ لأخرى، ولذا فمحاولة الجمع والاستقصاء لجميع أحوال المدعوين ومحاولة بيان كيفية دعوتهم في مؤلف واحد أمر في غاية الصعوبة..

ولذا فنحن في هذه الدراسة سنتعرض لأهم المسائل المعلقة بالمدعوين، ثم نعرض لأهم أحوال الدعوة وبيان أهم ما يجب أن يراعيه الدعاة في دعوتهم.

وتأتي أهمية هذه الدراسة في الآتي:

١- حاجة الدعاة إلى التعرف على المدعوين وأصنافهم، وأهمية مراعاة أصناف المدعوين في الدعوة إلى الله.

٢- أهمية تعرف الدعاة على حقوق المدعوين، ومعرفة المدعوين بواجباتهم تجاه الدعاة.

٣- ضرورة التعرف على دوافع استجابة المدعوين وسبل استثمارها، وموانع استجابتهم وسبل علاجها.

٤- أهمية فقه الداعية بمعالم الخطاب الدعوي للمسلمين، ولغير المسلمين.

٥- أهمية تعرف الداعية على أهم أصناف غير المسلمين وكيفية دعوتهم.

٦- أهمية الوعي والعناية بمعالم دعوة العصاة والمنافقين والمبتدعة.

٧- أهمية مراعاة الدعاة أصناف المدعوين حسب أعمارهم وكيفية دعوتهم.

٨- أهمية مراعاة الدعاة لأصناف المدعويين حسب مستوياتهم وكيفية دعوتهم.

٩- أهمية مراعاة الدعاة لأصناف المدعويين حسب محل إقامتهم وكيفية دعوتهم.

١٠- أهمية مراعاة الداعية لدعوة فئات مهمة في المجتمع كالأقربين والنساء، وأهل المصائب والمرضى والمعاقين، وأصحاب المهن.

✧ منهجية الدراسة:

والمنهجية التي سلكناها في كتابة هذا الكتاب تتمثل في النقاط التالية:

- عزو الآيات المستشهد بها للسورة ورقم الآية عقب كل آية.

- الاعتماد على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ في استنباط القواعد والأحكام.
- الاعتماد على كتب التفسير بالمأثور خاصة للبحث في معاني الآيات، وعلى كتب العلماء عامة في صياغة البحث ومسائله.
- الالتزام بإيراد الأحاديث الصحيحة فقط، ولم نستشهد بحديث اتفق على ضعفه.
- الاعتماد في تصحيح الأحاديث على أقوال أهل الشأن في هذا المجال.
- اجتهدنا قدر الاستطاعة أنْ لا نذكر قاعدة ولا حكماً، ولا أمراً من أمور الدعوة إلا وندلل عليه من القرآن وما يفسره من السنة وأقوال أئمة السلف، وأفعالهم.
- الالتزام قدر المستطاع عدم ذكر الخلاف في المسائل الفقهية.
- محاولة الفهم العميق، والإمعان القوي في نصوص الكتاب والسنة.
- الاستفادة من الكتب المعاصرة نقلاً مباشراً، أو الاستفادة من أفكارها وإعادة صياغتها، مع مراعاة الأمانة العلمية في نسب الفكرة أو النص لأصحابه.

✧ خطة الدراسة:

ويشتمل الكتاب على تسعة فصول، وخاتمة، وفهارس على النحو التالي:

⌑ الفصل الأول: التعريف بالمدعوين ومسائل في دعوتهم:

- **المبحث الأول: معالم دعوة مصعب بن عمير رضي الله عنه (ت ٣ هـ):**
- **المبحث الأول: تعريف المدعو.**
- **المبحث الثاني: أصناف المدعوين.**
- **المبحث الثالث: أهمية مراعاة أصناف المدعوين.**

وفي الختـام لا ندعـي أنـا وفينـا البحث جوانبـه كلها، ولا ندعـي لدراسـتنا العصمة أو الكمال، فهذا شأن الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وإنما نحن بشر نخطئ ونصيب.

نسـأل الله تعالـى بمنه وكرمه أن يكـون هذا العمل لوجهه خالصـاً، ولعباده نافعاً، وأن يثيبنا على اجتهادنا بكرمه وتفضله وعفوه، ويجعله في ميزان حسناتنا يوم القيامة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه
وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين

المشرف العام على الموسوعة
أ.د. محمد بن عبدالعزيز بن محمد العواجي
الأستاذ بقسم التفسير وعلوم القرآن
كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية - الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

أصول الدعوة

موضوع الدعوة

- بناء تصور عام عن رسالة الإسلام.
- بيان خصائص الإسلام.
- عرض مقاصد الإسلام.
- بيان تعاليم الإسلام.
- إظهار محاسن الإسلام.
- بيان التشريعات الحقوقية في الإسلام.

ميادين الدعوة

- ميادين إيصال الدعوة.
- ميادين الدعوة الأساسية.
- معالم الدعوة في الأماكن والمناسبات العامة.
- ميادين الدعوة في المواسم الفاضلة.
- ميدان الدعوة في الحج والعمرة.

الدعاة

- الداعية تعريفه وأهميته وفضله.
- مقومات الدعاة.
- أخلاق الدعاة.
- قيم الدعاة.
- حقوق الدعاة.
- احتياجات الدعاة.
- واجبات الدعاة فيما بينهم.
- آفات الدعاة.

الوسائل والأساليب الدعوية

- مقدمات حول وسائل الدعوة وأساليبها.
- نماذج لوسائل الدعوة الأصيلة.
- وسائل الدعوة المعاصرة.
- أساليب الدعوة الجامعة.
- نماذج لأساليب دعوية أصيلة.

المدعوين وخصائص دعوتهم

- التعريف بالمدعوين ومسائل في دعوتهم.
- معالم الخطاب الدعوي للمسلمين.
- معالم الخطاب الدعوي لغير المسلمين.
- أصناف غير المسلمين وكيفية دعوتهم.
- دعوة العصاة والمنافقين والمبتدعة.
- أصناف المدعوين حسب أعمارهم وكيفية دعوتهم.
- أصناف المدعويين حسب مستوياتهم وكيفية دعوتهم.
- أصناف المدعويين حسب إقامتهم وكيفية دعوتهم.
- أصناف أخرى للمدعوين وكيفية دعوتهم.

الفصل الأول

التعريف بالمدعوين ومسائل في دعوتهم

ويتضمن ثمانية مباحث:

المبحث الأول: تعريف المدعو.

المبحث الثاني: أصناف المدعوين.

المبحث الثالث: أهمية مراعاة أصناف المدعوين.

المبحث الرابع: حقوق المدعوين على الدعاة.

المبحث الخامس: واجبات المدعوين تجاه الدعوة ومن يدعوهم.

المبحث السادس: دوافع استجابة المدعو.

المبحث السابع: موانع استجابة المدعو وسبل علاجها.

المبحث الثامن: مشكلة اضطهاد المدعوين.

المبحث الأول

تعريف المدعو

المدعو لغة: «إن كلمة **المدعو** مشتقة من دعاه يدعوه، فهو مدعو، إذن فهو اسم مفعول، مشتق من أصل الكلمة دعا»[(١)].

المدعو اصطلاحاً:

وعُرِّف المدعو بعدة تعاريف منها:

١- **قيل:** المدعو هو: «الإنسان، أي إنسان كان»[(٢)].

٢- **وقيل هو:** «الإنسان العاقل المخاطب بدعوة الإسلام، ذكراً أو أنثى، مهما كان جنسه ونوعه ولونه ومهنته إلى غير ذلك من الفروق بين البشر»[(٣)].

٣- **وقيل:** المدعو هو: «كل مدرك مخاطب بدعوة الإسلام»[(٤)].

٤- **وقيل:** المدعو هو: «كل مخاطب بالدعوة من الخلق»[(٥)].

ويؤخذ على التعريف الأول اقتصاره في الدعوة على الإنس[(٦)]، مع أن الدعوة لا

---

(١) المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد أبو الفتح البيانوني، ص٤١، وقد مَرَّ في تعريف الدعوة.

(٢) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٣٨٥.

(٣) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، أ. د. حمود الرحيلي ص ٤٩.

(٤) أصول الدعوة، مذكرة مادة الدعوة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، د. حامد الحجيلي.

(٥) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، أ.د. عبدالرحيم المغذوي ص ٥٧٦.

(٦) يدخل ضمن المدعوين: الجن، إذ نجد أن رسول الله ﷺ، توجه لهم بالدعوة، وخاطبهم بها، وذلك لأنهم مطالبون بالإيمان بالله تعالى، وبرسوله ﷺ، والعمل بشريعته، يقول الله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾، وقال تعالى: ﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا﴾، ويقول ﷺ: وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا=

تختص بالإنسان فقط، بل يدخل فيها الجان؛ فهم مخاطبون أيضاً بالإسلام.

أما التعريف الثاني فكذلك إلا أنه أسهب في التعريف.

أما التعريفان الأخيران فهما جامعان لكل أصناف المدعوين من الخلق سواء الإنس أم الجن؛ وسواء كان من أمة الإجابة أم من أمة الدعوة.

والسبب في تعميمنا هو أن رسالة الإسلام عامة، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

«فهذا العموم بالنسبة للمدعوين لا يستثنى منه أيّ مكلف فهو مخاطب بالإسلام، ومكلَّف بقبوله، والإذعان له، وهو البالغ العاقل، مهما كان جنسه ونوعه ولونه ومهنته وإقليمه، وكونه ذكراً أو أنثى، إلى غير ذلك من الفروق بين البشر، ولذلك كان مِمَّن آمن بمحمد ﷺ العربيّ كأبي بكر، والحبشي كبلال، والرومي كصهيب، والفارسي كسلمان، والمرأة كخديجة، والصبي كعلي بن أبي طالب، والغني كعثمان بن عفان، والفقير كعمَّار رضي الله عنهم أجمعين.

وعلى هذا فالدَّعوة إلى الله عامَّة لجميع الثقلين، وليست خاصَّة بجنس دون جنس، أو طبقة دون طبقة، أو فئة دون فئة، ولهذا يخاطبهم الله بالقرآن بصفتهم العامَّة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]، وقال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٣٥].

فعلى الداعي أن يفقه عموم دعوته إلى الله، ويحرص على إيصالها لكلِّ من يستطيع

= حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣١﴾﴾.

الوصـــول إليه، وهذا لا ينـاقـض ابتداء الداعي بالأقربين، فيدعوهــم قبل البعيدين؛ لأنَّ لـكل إنســان الحق في إيصال الدعوة إليه، فليس الأبعـد بأولى من الأقرب، بل الأقرب أولى وأوجب؛ لسهولة تبليغه واحتمال صيرورته داعياً أيضاً بعد إسلامه»[(١)].

وسيأتي الكلام مُفَصَّلاً عن أصناف المدعوين بإذن الله تعالى.

(١) أصول الدعوة د. عبدالكريم زيدان ص٣٧١، بتصرف يسير.

المبحث الثاني

أصناف المدعوين

✧ أولاً: مفهوم أصناف المدعوين(١):

من البديهي أن الناس على أصناف شتى، وكل صنف له ميزاته وقدراته وتكويناته، وعقل كل صنف من هؤلاء يتميز عن غيره.

فالناس يختلفون من حيث المعتقدات والديانات والمناهج والأفكار، ويختلفون من حيث المستويات العلمية والبحثية، وكذلك يختلفون من حيث المهن والتخصصات، ويختلفون من حيث جنسهم وسنهم، وقربهم من الداعية.

ولكل نوعٍ حالته، وتصنيفه.. فمن الحكمة البالغة المنصفة أن يعطى كل ذي حقٍّ حقه في التعامل والدعوة، وأن يعطي لكل صنفٍ قدره وحاجته.

ومن هنا لا بد أن يعرف الداعي تصنيف الناس وبيان مراتبهم، لأجل أن يصل بهم إلى الله تعالى، ويدخل لكل صنف من المدخل المناسب له والذي هو في حاجة إليه.

✧ ثانياً: تقسيم القرآن للمدعوين:

بين الله تعالى في كتابه أصناف الناس في غير موضع من القرآن، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧]، ففي الآية بيانٌ لثلاثة أصناف من المدعوِّين: **صنفٌ آمَن، وصنف مَغضوب عليه**؛ والمقصود به اليهود ومن شابههم، **وصنف ضالٌّ**؛ والمقصود به النَّصارى ومن شابههم.

---

(١) مقال: تصنيف الناس إلى مراتب د. حامد شاكر، منشور على موقع الألوكة.

ومنهم المنافقون، الذين قال فيهم ربُّ العزَّة جلَّ في علاه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]، وأطال الله تعالى في بيان صفات هؤلاء المنافقين لعظم خطرهم وشرهم.

ومنهم أيضاً المشركون، الذين قال فيهم ربُّنا جلَّ في علاه: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥].

وهناك تقسيم عام، يقسم الناس إلى صنفين، كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [التغابن: ٢].

وهناك تقسم خاص بالمؤمنين، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢].

✧ ثالثاً: تقسيم ابن القيم للمدعوين:

وقد قسم الإمام ابن القيم الناس في استجابتهم للحق إلى قسمين، هما:

«**القسم الأول**: المنتفعون بالدعوة، وهم نوعان:

النوع الأول: ذو القلب الواعي الذكي، الذي يكتفي بهدايته بأدنى تنبيه، ولا يحتاج إلى أن يستجلب قلبه ويجمعه من مواضع شتاته، بل قلبه واعٍ قابلٌ للهدى غير معرضٍ عنه، فهذا لا يحتاج إلا إلى وصول الهدى إليه، فإذا جاء سارع إلى قبوله، كأنه كان مكتوباً فيه، وهذا حال أكمل الخلق استجابة، كما هي حال الصديق رضي الله عنه.

والنوع الثاني: من ليس له هذا الاستعداد والقبول، فإذا ورد عليه الهدى أصغى إليه

بسمعه، وأحضر قلبه، وجمع فكرته عليه، وعلم صحته وحسنه بنظره واستدلاله، وهذه طريقة أكثر المستجيبين، ولهم نُوِّع ضرب الأمثال وإقامة الحجج، فالأولون يدعون بالحكمة، وهؤلاء يدعون بالموعظة الحسنة، فهؤلاء نوعاً المستجيبين المنتفعين.

أما القسم الثاني: فهم المعارضون المدعُوُّن للحق، وهم نوعان:

النوع الأول: نوع يدعون بالمجادلة بالتي هي أحسن، فإن استجابوا وإلا فهم النوع الثاني: وهم الذين لا بد لهم من جدال أو جلاد.

ومن تأمل دعوة القرآن وجدها تشمل هذه الأقسام، متناولة لها كلها، كما في قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل:]. فهؤلاء المدعوون بالكلام، وأما أهل الجلاد فهم الذين أمر الله بقتالهم حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله[1]، قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣].

✧ رابعاً: تقسيمات أخرى للمدعوين[2]:

يقسم البعض المدعوين بحسب اعتبارات متعددة منها:

١- تصنيفهم بحسب استجابتهم للدعوة، وهم:

- **أمة الإجابة:** وهم الذين استجابوا للدعوة وأسلموا.

- **أمة الدعوة:** وهم المخاطبون بدعوة الإسلام، من الذين لم يستجيبوا لها بعد.

---

(١) مفتاح دار السعادة ١/ ١٧١ بتصرف.

(٢) ينظر: الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، أ. د. عبدالرحيم المغذوي، وأصناف المدعوين وكيفية دعوتهم د. حمود الرحيلي، وأصول الدعوة لعبدالكريم زيدان، والمعايير الأكاديمية لبرنامج بكالوريوس الدعوة ودبلومها في مؤسسات التعليم العالي- من أعمال الهيئة الوطنية للتقويم والاعتماد الأكاديمي في المملكة العربية السعودية.

٢- **تصنيفهم بحسب عقائدهم**؛ وهم: المسلمون، أهل الكتاب، الملحدون، المشركون الوثنيون، الفرق المارقة، أهل البدع والأهواء، المنافقون، أصحاب المذاهب الفكرية المعاصرة.

٣- **تصنيفهم بحسب مستوياتهم**، وهم: الأمراء والحكام، ذوي الهيئات، أصحاب الجاه والمال، العلماء، الضعفاء والفقراء، جمهور الناس.

٤- **تصنيفهم بحسب قربهم من الداعية**: وهم: الآباء والأمهات، الزوجة، الأولاد، الإخوة والأخوات، الأقارب عامة، الخدم، الجيران، الأصحاب.

٥- **تصنيفهم بحسب أعمارهم**: الأطفال، الشباب، الكبار.

٦- **تصنيفهم بحسب جنسهم**: الرجال، النساء.

٧- **تصنيفهم بحسب لغتهم**: المتحدثون بالعربية، المتحدثون بغير العربية.

٨- **تصنيفهم بحسب أعمالهم المهنية**: الأطباء، الحرفيين، المهندسين، المعلمين.. التجار، الموظفين الإداريين...

٩- **تصنيفهم بحسب موقفهم من الدعوة**: القابل، المتردد، المعرض، المعارض.

١٠- **تصنيفهم بحسب أماكن تواجدهم**: الحضر، أهل البادية، أهل القرى.

١١- **تصنيفهم بحسب وقت إسلامهم**: مسلمون أصليون، مسلمون جدد.

١٢- **تصنيفهم بحسب العلم**: علماء الشريعة، علماء الطبيعة، الطلاب، العامة، الموهوبون، الأميون الذي لا يقرأون ولا يكتبون.

١٣- **تصنيفهم بحسب مراتب إيمانهم**: الظالم لنفسه، المقتصد، السابق بالخيرات.

١٤- **تصنيفهم بحسب المكانة:** الملأ، عامة الناس، الخدم.

١٥- **تصنيفهم حسب الاحتياجات:** ذوي الاحتياجات الخاصة من أصحاب العاهات وأهل المصائب، الأقليات المسلمة في البلاد غير الإسلامية، الجاليات المسلمة في البلاد المسلمة، الجاليات غير المسلمة في البلاد المسلمة.

✧ خامساً: تنبيهات حول تقسيمات العلماء لأصناف المدعوين:

١- أن هذه التقسيمات تختلف من باحث لآخر تفصيلاً وإجمالاً.

٢- أن هذه التقسيمات تفيد في عرض مسائل الدعوة لكل نوعٍ باستقلالية.

٣- ينبغي على الداعية أن يجمع بينها في حالٍ، ويتعمق في بعضها بحالٍ تقتضيها، فالأصل العموم.

٤- فائدة معرفة هذه المسميات إدراك حرص الإسلام على وصول الدعوة لكل الخلق، ولكلٍ بما يناسبه، وبما يقيم الحجة عليه عند الله عَزَّ وَجَلَّ.

٥- هذه المسميات هي سهام الدعوة، وكل من قام بسهمٍ فقد أحسن، ومن جمع أسهماً فقد أجاد، وينبغي أن لا يُترك شيءٌ من سهام الدعوة شاغراً، بل التكامل والتآزر هو الواجب على الدعاة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ.

٦- هذه التقسيمات للتشخيص والعلاج، ولذا لا ينبغي التعصب لشيء منها على حساب غيره، فتميل سفينة الدعوة وتجنح عن مسارها.

✧ سادساً: مصادر معرفة أصناف المدعوين:

ألف العلماء والمتخصصون في الدعوة مجموعةً من المؤلفات في أصناف

المدعويـن وكيفيـة دعوتهم، سـواء في مؤلفٍ خـاصٍّ أو ضمن مؤلـفٍ في علم الدعوة، وسأكتفي هنا ببعض المصادر المتخصصة في أصناف المدعوين للتمثيل؛ فمنها:

١- أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، أ. د حمد الرحيلي.

٢- أحوال المدعو في ضوء الكتاب والسنة. د. محمد العمر.

٣- دعوة أهل البدع، خالد بن أحمد الزهراني.

٤- دليل أولويات الخطاب الوعظي للجاليات المسلمة في أوروبا، د. محمد سعيد بكر.

٥- كيفية دعوة الوثنيين إلى الله تعالى في ضوء الكتاب والسنة، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني.

٦- كيفية دعـوة أهـل الكتـاب إلـى الله تعالـى في ضـوء الكتـاب والسـنة، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني.

٧- كيفيـة دعـوة عصـاة المسـلمين إلـى الله تعالـى في ضـوء الكتـاب والسـنة، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني.

٨- المسؤولية الدعوية تجاه المريض النفسي، د. الجوهرة بنت صالح الطريفي.

٩- المسـؤولية الدعوية تجاه حماية الشباب من الفتن في العصر الحاضر، د. الجوهرة بنت صالح الطريفي.

١٠- مكانة الدعوة إلى الله وأسس دعوة غير المسلمين، أ. د. عبدالرزاق البدر.

١١- دعوة النبي ﷺ للأعراب- د. حمود الحارثي.

١٢- دعوة ذوي الاحتياجات الخاصة إلى الله تعالى- دراسة تطبيقية تقويمية على فئتي

العوق السمعي والبصري- متعب بن عبدالعزيز بن عبدالله السديري.

١٣- دعوة المعوقين. أ. د. تُرْكي السكران.

١٤- منهج دعوة المنتكسين - دراسة دعوية تأصيلية أ. د. تركي السكران.

١٥- منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام. أ. د حمود الرحيلي.

١٦- دعوة النبي ﷺ للنساء. د. الجوهرة بنت محمد العمراني.

وغيرها كثير، وليس القصد الحصر ولا مقاربته.

المبحث الثالث

أهمية مراعاة أصناف المدعوين

المراعاة: أصلها من كلمة رعى، يقال: راعيت الأمر: نظرت أين يصير، وراعيته مراعاة: لاحظته محسناً إليه، ومنه مراعاة الحقوق. وراعيت الأمر: راقبته ونظرت إلى ما يصير، وماذا منه يكون[(١)].

ومراعاة المدعوين تعني: ملاحظتهم والإحسان إليهم، ومراعاة حقوقهم، وتقديم الدعوة لهم بما يتناسب مع أحوالهم وظروفهم، وهذا من الأمور المهمة للدعاة، والتي تؤدي -بإذن الله- إلى زيادة فرصة الاستجابة للحق عند المدعوين[(٢)].

بالإضافة إلى أنه من الضروري للداعية الحكيم: أن يراعي حاجات الناس، من فقرٍ، ومرضٍ، ونكاحٍ، وأن لا يتجاهلها، بل يكون قوي الملاحظة في ذلك مع المدعوين.

وكذلك لا بد من ملاحظة حال المدعوين، وما هم فيه من ضعفٍ أو اضطهادٍ؛ بحيث يؤثر عليهم فلا يمكنهم القيام بشعائر الإسلام كلها، أو يكونون في حال قوةٍ واستقرارٍ، أو حال علمٍ ودينٍ، أو حال جهلٍ وفجورٍ[(٣)].

«والمدعوون كذلك أصناف متفاوته، منهم الملحد الجاهل، وفيهم الوثني المعاند، ومنهم أصحاب الكتب السابقة، ومنهم المسلمون المقصرون، والمنافقون الجاحدون. ولكلٍ ما يلائمه من الخطاب، وما يصلح له من المداخل»[(٤)].

---

(١) لسان العرب ١٤/ ٣٦٧.

(٢) ينظر بحث: بعنوان مراعاة أحوال المدعوين النفسية د. هند شريفي منشور على موقع الألوكة.

(٣) ينظر: مقال: مراعاة حاجات المدعوين وأحوالهم. د. عدنان آل عرعور، منشور على موقع رسالة الإسلام.

(٤) معالم في أصول الدعوة د. محمد يسري ص١٤٧.

وإن مما يؤكد أهمية مراعاة أصناف المدعوين أمور منها[(١)]:

١- تنوُّع طبائعهم، وتفاوت مداركهم، مما يؤدي إلى اختلاف تأثرهم واستجابتهم.

٢- المدعوون هم الأساس في الدعوة إلى الله ﷻ.. إذ ما شُرعت الدعوة إلا لأجلهم، وما أُرسلت الرسل إلا لدعوتهم. لذا يجب الاهتمام بهم، ودراسة حالاتهم، والتصرف تجاهها بما يناسبها، مما يقرره الشرع الحنيف.

٣- من الخطأ: ما يفعله بعض الدعاة، من عدم مراعاة أصناف المدعوين، فترى أحدَهُم يحفظ خطبة جمعة، أو موعظة، أو يحضر محاضرة، ثم يلقيها في كل زمان ومكان، على كل المدعوين، رغم اختلاف مستوياتهم الإيمانية، والعلمية، والعقلية.

وربما ألقى محاضرة أو خطبة منقولة من زمن طويل.. دون أن يغير في ألفاظها، أو يبدل في أسلوبها.. سواء كان المدعوون مثقفين علماء.. أو عواماً جهلاءَ، وسواء كان لها مناسبة.. أو لم يكن لها مناسبة، ولذا تكون ضعيفة الأثر وربما لا يتفاعل معها أحد.

٤- من العبث الدعوي: أن يلقى الكلام على عواهنه، بدعوى التبليغ -مجرد التبليغ- دون النظر إلى حال المدعوين، وأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر -مجرد الأمر والنهي- دون معرفة واقعهم، ولا يقع البلاغ بذلك، بل لا بد من الحرص على هدايتهم وبلوغ الأمر لهم على أتم وجه وأحسنه.

٥- مما لا شك فيه أن المدعوين ليسوا في الاستجابة سواء، ولا في الفهم، ولا في العلم، ولا في التدين...، فمخاطبتهم على حدٍّ سواء، ليس من الحكمة في شيء.

(١) ينظر بحث: بعنوان مراعاة أحوال المدعوين النفسية د. هند بنت شريفي منشور على موقع الألوكة، ومراعاة حاجات المدعوين وأحوالهم. د. عدنان آل عرعور. ومعالم في أصول الدعوة محمد يسري ص١٤٧، وقد تحدث عنها د. سعيد بن وهف القحطاني في كتابه الحكمة في الدعوة إلى الله.

فقد يكون المدعوون في زمن عمَّت به البلوى ببعض المخالفات الشرعية - التي أصبحت عندهم كالعادة وهم لا يعلمون - فمخاطبة هؤلاء لا تكون كمخاطبة من عرف حرمة ذلك، وفعلَه متعمداً.

ولذا فقد كان رسول الله ﷺ والرسل من قبله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يراعون أحوال المدعوين مراعاةً حكيمة، ويعالجونهم معالجةً ناجعة، ويخاطبون طبقات الناس كلها، كلاً حسب دينه، وعلمه، واستجابته، وقدراته، وإمكاناته، لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة: ٢٨٦].

٦- الدعوة إلى الله ليست دعوةً خياليةً، ولا مقالة نظريةً.. بل هي دعوةٌ عملية، وممارسةٌ واقعية، لا تغفل عن ظروف الناس، ولا عن أحوالهم.. بل هي تُعالج هذه الأحوالَ في إطار الشرعِ الُمطهَّر، تحت ظل الحكمة البالغة.

٧- لابد للداعية أن يكون بصيراً بواقع الناس، عالماً بأحكام هذا الواقع.. فكما أن لكل قوم حالاً.. فإن لكل حالٍ حكماً ومقالاً.

٨- «من الحكمة في الدعوة مقابلة التنوع والبيان بين الناس بكثيرٍ من سعة الصدر، وإحاطةٍ بطبائع النفوس، وتفهمٍ لسعة الإدراك العقلي للمخاطبين بالدعوة»[(١)].

وقد بوب البخاري في صحيحه باب بعنوان: من خص قوماً بالعلم دون قوم كراهية أن لا يفهموا. وذكر ابن حجر[(٢)] تحته قول عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما في صحيح مسلم: «ما أنت محدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة»[(٣)].

(١) معالم في أصول الدعوة د. محمد يسري ص١٤٧.
(٢) فتح الباري ١/ ٢٢٥.
(٣) صحيح مسلم، مقدمة الكتاب، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع (٥).

وعن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله»[(١)].

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا (١٢٧).

المبحث الرابع

حقوق المدعوين على الدعاة

تتميز الدعوة الإسلامية بمراعاتها حقوق المدعوين بشكل شامل، ولذا ينبغي أن يعلمها الدعاة حتى يؤدوا رسالة الله ويبلغوا دعوة الله إلى خلقه..

ويبرز هذا في جوانب كثيرة، نعرضها في إحدى عشرة نقطة[1]:

➢ أولاً: المبادرة بالدعوة والبلاغ:

فقد كان النبي ﷺ يأتي مجالس قريش ويذهب إلى منازل القبائل في موسم الحج يعرض عليهم الإسلام بل خرج إلى الطائف، ودعا أشراف ثقيف، وعاد الغلام اليهودي في مرضه ودعاه، وأرسل معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن وبعث ﷺ بالرسائل إلى الملوك والرؤساء يدعوهم فيها، كما في رسائله لكسرى وقيصر وملوك العرب، وبعث مصعباً رضي الله عنه في أول الرسالة إلى المدينة لينشر فيها الإسلام ويدعو أهلها إليه.

➢ وأهمية هذا الأمر ترجع لأسباب منها:

١- البلاغ يستلزم الانتقال إلى المدعو لاحتمال كون الرسالة لم تبلغه، أو وصلته بصورة خاطئة، أو لأنه لم ينهض ليأتي لسماعها.

٢- لأن المدعو في الغالب لن يأتي الداعي ليسمع منه، فإنه في الحقيقة بمثابة المريض الذي لا يشعر بمرضه، فهو لا يبحث عن علاجٍ، فلزم أن نأتيه لعلاجه.

قال الغزالي في الإحياء: «فرضُ عينٍ على العلماء كافةً، وعلى السلاطين كافةً؛ أن

---

(١) بعض هذه الأفكار من بحث بعنوان مراعاة أحوال المدعوين النفسية د. هند شريفي منشور على موقع الألوكة.

يرتبـوا في كل قريةٍ وفي كل محلةٍ فقيهاً متديناً، يُعَلِّم الناس دينهم، فإن الخلق لا يولدون إلا جهالاً، فلابد من تبليغ الدعوة إليهم في الأصل والفرع»(١).

➢ ثانياً: الحرص على كل المدعوين:

فلا يجوز للداعية أن يتهاون في دعوة أحدٍ؛ لكونه صغيراً أو حقيراً في أعين الناس، فإنمـا الغرض إنقاذ نفسٍ مـن النار، كما جاء في قصة زيارة النبي ﷺ للغلام اليهودي في مرضه، ودعوته له للإسلام فلما أسلم قال ﷺ: (**الحمد لله الذي أنقذه من النار**)(٢).

➢ ثالثاً: تقدير المدعو وإنزاله منزلته:

فقد كان رسـول الله ﷺ أنموذجـاً في تقدير الوجهـاء والكـبراء وإنزالهم منازلهم وحفظ مكانتهم.

فحيـن جاء أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى رسـول الله ﷺ بوالـده أبو قحافة –وقد كف بصـره ووهن عظمـه– جاء به لينقذه من الكفر، فأكرم رسـول الله ﷺ مقـام أبي قحافة، وقال كلمته المأثورة، التي ضرب بها المثل في التواضع وحلو الشمائل ورعاية الصحبة: (**هلا تركت الشـيخ في بيته، حتى أكون أنا آتيه فيه**)، ثم أجلسـه بين يديه، ومسح صدره، وقال: أسلم. فأسلم(٣).

وكذلـك مـا فعلـه النبي ﷺ مـع عدي بن حاتـم، حيث يقـول: (.. **ثـم مضي بي رسـول الله ﷺ حتى إذا دخل بي بيته، تناول وسـادة من أدم محشـوة ليفاً، فقذفها إلي، فقـال: (اجلس على هذه)**، قلت بـل أنت، فاجلس عليها. فقال: (**بل أنت**)، فجلسـت

---

(١) إحياء علوم الدين ٤/ ٥١.

(٢) سـنن أبـي داوود، كتاب الجنائـز، باب في عيادة الذمـي (٣٠٩٥) وصححه الألبـاني في صحيح الأدب المفرد برقم (٤٠٩).

(٣) مسـند أحمد ٤٤/ ٥١٧ (٢٦٩٥٦) وقال الهيثمي: رجاله ثقات، وحسنه الألباني في التعليقات الحسان (٧١٦٤).

عليها، وجلس رسول الله ﷺ بالأرض.. فقال لي: (يا عدي أسلم تسلم)[١]، فقد أدخله النبي ﷺ بيده وأجلسه على وسادةٍ وجلس النبي ﷺ على الأرض.

➢ رابعاً: تهيئة نفس المدعو للدعوة:

تهيئة نفوسهم لقبول الدين قبل أمرهم بالإسلام، عن طواعية وطمأنينة، فالإسلام دين أمن وأمان، والقرآن الكريم نزل مؤكداً على هذا في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ [التوبة: ٦].

ومن ذلك إعلان النبي ﷺ الأمان لأهل مكة، رغم ما حصل منهم طوال سنوات الدعوة، إلى تلك الساعة، كما دعا المسلمين جميعاً إلى نشر هذا الأمان، فقال ﷺ: (من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن)[٢].

وعن أم هانئ بنت أبي طالب قالت: ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح، فوجدته يغتسل وفاطمة ابنته تستره، قالت: فسلمت عليه، فقال: (من هذه)، فقلت: أنا أم هانئ بنت أبي طالب فقال: (مرحباً بأم هانئ)، فلما فرغ من غسله، قام فصلى ثماني ركعات ملتحفاً في ثوب واحد، فلما انصرف، قلت: يا رسول الله، زعم ابن أمي أنه قاتل رجلاً قد أجرته، فلان ابن هبيرة، فقال رسول الله ﷺ: (قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ)[٣].

---

(١) الحديث أخرجه أحمد ٤/ ٣٧٧ (١٩٣٩٧)، والحاكم في المستدرك ٤/ ٥٦٤ (٨٥٨٢) وقال: صحيح على شرط الشيخين، وبنحوه الترمذي كتاب التفسير باب ومن سورة الفاتحة (٢٩٥٣) وحسنه الألباني، وبعضه في صحيح البخاري كتاب المناقب باب علامات النبوة (٣٤٠٠). وانظر: السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٥٨٠.

(٢) صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير باب فتح مكة (١٧٨٠)، وانظر: السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٢٢.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب الصلاة في الثوب الواحد ملتحفاً به (٣٥٧)، ومسلم، كتاب الحيض، باب تستر المغتسل بثوب ونحوه (٣٣٦).

خامساً: السمو بالروح المعنوية لدى المدعوين:

وذلك برفعهم من هوة الماضي كي لا يقيدهم بأغلاله، بل يطلق نفوسهم من عقال الشرك والضلال، وهذا ما فعله النبي ﷺ مع أهل مكة: فهو ينهى عن التعيير بالماضي السيء لمن حارب الإسلام وضاده قالت أم حكيم امرأة عكرمة بن أبي جهل: يا رسول الله، قد هرب عكرمة منك إلى اليمن، وخاف أن تقتله فأمِّنه، فقال رسول الله ﷺ: **(هو آمن)**، فخرجت أم حكيم في طلبه، وأدركت عكرمة، وقد انتهى إلى ساحل من سواحل تهامة فركب البحر، فجعلت تلح عليه وتقول: يا ابن عم، جئتك من عند أوصل الناس، وأبرّ الناس، وخير الناس، لا تهلك نفسك. وإني قد استأمنت لك محمداً رسول الله ﷺ. قال: أنت فعلت؟ قالت: نعم، أنا كلمته فأمنك. فرجع معها، فلما دنا من مكة قال رسول الله ﷺ لأصحابه: **(يأتيكم عكرمة بن أبي جهل مؤمناً مهاجراً، فلا تسبوا أباه، فإن سب الميت يؤذي الحي ولا يبلغ الميت)**[(١)].

وله شاهد من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال النبي ﷺ: **(لا تسبوا الأموات فإنهم أفضوا إلى ما قدموا)**[(٢)].

وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رجلاً كان النبي ﷺ قد جلده في الشراب، فأُتي به يوماً فأمر به فجُلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه، ما أكثر ما يؤتى به؟ فقال النبي ﷺ: **(لا تلعنوه، فوالله ما علمت إنه يحب الله ورسوله)**[(٣)].

سادساً: ملاحظة غرائز المدعوين ودوافعهم:

فالجبلة البشرية تنطوي على مجموعة من الصفات، التي لا يمكن إزالتها بالكلية،

---

(١) مغازي الواقدي ٢/ ٨٥١، المستدرك على الصحيحين للحاكم ٢/ ٢٦٩، وإتحاف المهرة ١٩/ ٦٤٣.
(٢) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما ينهى من سب الأموات (١٣٩٣) و(٥٦١٦).
(٣) صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب ما يكره من لعن شارب الخمر، وإنه ليس بخارج من الملة (٦٧٨٠).

وقد لاحظ النبي ﷺ هذه الجبلة في الناس فلم يحاول هدمها، وإنما ترقى بها[١].

فيعرف غريزة الفخر عند أبي سفيان رضي الله عنه، فيقول: **(من دخل دار أبي سفيان فهو آمن)**[٢].

ويلاحظ غريزة حب المال، فيشبعها بالعطاء الجزيل، ثم يعمل على توجيهها فيقول لحكيم بن حزام رضي الله عنه لما أكثر سؤاله، وأعطاه مرة بعد المرة: **(يا حكيم إن هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بطيب نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى)**[٣].

ويرى من عبدالرحمن بن سَمُرة رضي الله عنه - وهو من مسلمة الفتح- رغبة في تولي الإمارة، لما سأل النبي ﷺ ذلك، فبين له تكاليفها، وبين له السر في التوفيق والنجاح فيها فقال: **(يا عبدالرحمن، لا تسأل الإمارة، فإنك إن أعطيتها عن مسألة، وُكلت إليها، وإن أعطيت من غير مسألة أعنت عليها)**[٤].

➢ سابعاً: مراعاة طباع المدعوين الشخصية:

«فقد فطر الناس على صفات متفاوتة، وسجايا متنوعة، وإدراكات متباينة، فمنهم صاحب الحس المرهف، والطبع الرقيق، الذي يتأثر بالعاطفة، ويستجيب للموعظة..

ومنهم العقلاني ذو التفكير، الذي يناسبه الطرح العقلي، والاستدلالات الرياضية،

---

(١) الدعوة الإسلامية، أصولها ووسائلها ص ٤٢٨ بتصرف.
(٢) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة (١٧٨٠).
(٣) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة (١٤٧٢) ومسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى (١٠٣٥).
(٤) صحيح البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب قول الله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ (٦٦٢٢)، ومسلم، كتاب الأيمان، باب ندب من حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها أن يأتي الذي هو خير، وفي كتاب الإمارة، باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها (١٦٥٢).

ومنهم الذي يؤخذ بالترغيب، ومنهم الذي يتأثر بالترهيب، ومنهم المسالم المنصت.. ومنهم المجادل العنيد.. ومنهم المتعالم.. ومنهم المتجاهل.. ومنهم القوي.. ومنهم الضعيف.

وقد يكون لبعضهم ظروف مؤقتة، تمنعه من الإدراك، وتحول دونه والاستجابة، كمصيبة مفاجئة، أو خسارة فادحة، أو حالة نفسية معينة.

ومما لا شك فيه أن مُقتضى الحكمة، ونفع الخطاب، أن تُراعى هذه الطباع، وأن يُهْتَمَّ بخطاب كل صنف بما يناسبه، في إطار الشرع الحنيف.

والناظر في أسلوب القرآن الكريم: يجد تنوعاً عجيباً في الأسلوب، وتفاوتاً بديعاً في الطرح، ومعالجة ناجحة لكل أصناف البشرية.

فقد كان القرآن يُعالج النفوس في مكة، حتى تسهل استجابتها، راغبة مختارة، وذلك بأساليب متنوعة، فتارة بكثرة الدلائل، وتارة بالترهيب، وأخرى بالتهيم والتحبيب والود، وتارة بالرجاء والعرض، كل ذلك بعلاج بطيء، ولكنه قوي المفعول.

وهكذا ينبغي أن يكون أسلوب الداعية متنوعاً، يتناسب مع كل موقف، ويتوافق مع كل نفس، وما فيها؛ من قدرات خَلْقية، وصفات مكتسبة، غير مُغْفِل لحال المدعو، ولا لصفاته الفطرية، ولا مزاياه الشخصية»[(١)].

ومن أمثلة ذلك معرف النبي لطبيعة أبي ذر رضي الله عنه عن أبي ذر، أن رسول الله ﷺ، قال: **(يا أبا ذر، إني أراك ضعيفاً، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمرن على اثنين، ولا تولين مال يتيم)**[(٢)].

(١) أهمية مراعاة المدعوين وأحوالهم وطباعهم. د. عدنان آل عرعور.
(٢) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة (١٨٢٦).

قال القرطبي: «أي: ضعيفاً عن القيام بما يتعين على الأمير من مراعاة مصالح رعيته الدنيوية والدينية ووجه ضعفه عن ذلك أن الغالب عليه كان الزهد واحتقار الدنيا ومن هذا حاله لا يعتنى بمصالح الدنيا وبأموالها اللذين بمراعاتهما تنتظم مصالح الدين ويتم أمره وقد كان أبو ذر عَلَماً في الزهد في الدنيا حتى انتهى به الحال أن أفتى بتحريم جمع المال وإن أُخرجت زكاته، وكان يرى أنه الكنز الذي توعد الله عليه في القرآن، فلما علم النبي ﷺ منه هذه الحالة نصحه ونهاه عن الإمارة والولاية»(١).

➢ ثامناً: مراعاة أحوال الناس العامة، وما اعتادوا عليه:

«مراعاة ما هم عليه في دينهم وبلدهم وطريقة تعاملهم، وما اعتادوه في حياتهم، وورثوه من آبائهم، فلا يُمكنهم الانفصال عنه في عشية أو ضحاها، سواء كان محرماً، أو مما سكت عن الشرع، أو ما اعتادوه من الأخلاق الفاضلة.

فلا بد للداعية قبل أن يخوض غمار الدعوة إلى الله تعالى أن يكون على إدراك واقعي، وعلم شرعي، وحكمة دعوية في هذه العادات، حتى يضع الأمور في مواضعها، وينزل الأحكام على وقائعها، وحتى لا يتعرض لِمَا يُوقِف دعوته، ويُعرقل مسيرته.

لأن التعرض لعادات الناس دون حكمة، مُفْضٍ في كثير من الأوقات إلى الفتنِ، واتهامِ الداعية، ومؤذنٌ بعزله عن المجتمع، وتوقفه عن دعوته.

ذلك لأن تخليَ الناس عن عاداتهم -ولو كانت محرمة- ليس بالأمر الهين، فمن الصعوبة بمكان أن يستجيبوا بموعظة أو موعظتين.

فلا بد من عدم التعرض لها كلها دفعة واحدة، والبدء بالأهم، فالأهم.. وهذا يدخل في باب التدرج بالمحرمات، تقديراً لظروف القوم الخاصة، وما اعتادوا عليه

---

(١) شرح السيوطي على سنن النسائي ٦/ ٢٥٥ بتصرف.

طوال حياتهم.. فمن الصعوبة بمكان أن يتخلوا عنه بسهولة، لذلك راعى الإسلام حالهم، ولم يتغافل عن ظرفهم»[(١)].

ومن أشهر الأمثلة على ذلك التدرج في تحريم الخمر وما اعتاد عليه الناس عموماً، فقد ورد عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل: لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبداً، لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجارية ألعب: ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ [القمر: ٤٦] وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده»[(٢)].

◄ تاسعاً: القول الحسن:

قال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [الإسراء: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا ﴾ [البقرة: ٨٣] «قولوا لهم القول الطيب وجاوبوهم بأحسن ما يحبون»[(٣)].

فهؤلاء الناس يدخل فيهم أهل الشرك، وعبدة الأوثان وكفرة أهل الكتاب فكيف بأهل التوحيد والإسلام.

فما أجمل التعريض دون المواجهة، والإشارة قبل العبارة، والتلميح دون التصريح، فإن هذا يستميل القلوب، ويحفظ حرمة النفوس، ويعين على القبول.

فإن كان لا بد من قول صريح فهو النصيحة لا الفضيحة، إذ الداعية المؤمن يستر ولا يفضح، والفاجر يهتك ويعيّر[(٤)].

---

(١) مراعاة حاجات المدعوين وأحوالهم. د. عدنان عرعور. باختصار وتصرف يسير.
(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن (٤٩٩٣).
(٣) روح المعاني ١/ ٣٠٨.
(٤) معالم في أصول الدعوة د. محمد يسري ص١٤٨.

فالله تعالى يرسل موسى وهارون إلى فرعون الظالم المتكبر ويقول لهما: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [طه: ٤٤]، فالقول اللين لا يثير العزة بالإثم ولا الكبرياء الزائف عند الطغاة، فهو من شأنه أن يوقظ القلب فيتذكر ويخشى عاقبة الطغيان.

➢ عاشراً: إنكار المنكر دون شخص فاعله:

فعلى سبيل المثال يذكر خطورة الاختلاط وحرمته، وما يفضي إليه من مفاسد عظيمة، ويضرب أمثلة مطلقة غير معينة، ولا يتعرض للمُختلطين بالحُكم عليهم، كأن يقول: المُختلطون ديوثون، أو فاسقون، أو قليلو مروءة.. إلى غير ذلك من الأوصاف والأحكام المنفِّرة، والتي تكون -أكثرَ الأحيان- غيرُ صحيحة.

كما كان النبي ﷺ يكثر من قول: **(ما بال أقوام)** عند إرادته إنكار منكر، ومن ذلك ما ورد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: صنع النبي ﷺ شيئاً فرخص فيه، فتنزه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فخطب فحمد الله ثم قال: **(ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه، فوالله إني لأعلمهم بالله، وأشدهم له خشية)**(١).

➢ الحادي عشر: السمو في الوسائل والأساليب:

إن اختيار أنسب الوسائل والأسلوب الملائم مع المدعو من صميم عمل الدعاة، وذلك أن المدعوين تختلف أصنافهم، فمنهم الأطباء ومنهم أصحاب العلم ومنهم المحامون والمهندسون، فكل هؤلاء تختلف أساليب ووسائل مواجهتهم.

وأحياناً يحتاج الداعي إلى أسلوب المقارنة بين الدعوة الإسلامية والدعوات الأخرى، وأسلوب الرد على الشبهات والمفتريات، وأسلوب التربية والإعداد، وأسلوب الترغيب والترهيب، وغير ذلك. وهذا يسهل على الداعي إذا حدد له طبقة

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب (٦١٠١).

من المدعوين قبل أن يبدأ العمل الدعوى[١].

«والأسلوب العاطفي والوجداني يجدي في تذكير بعض الناس، وبعضهم لا بد من خطابه بالعقل والمنطق، وربما مازج الداعية بين الأسلوبين في سياق واحد، بناء على حسن نظرة في المخاطب وحاله قرباً وبعداً، وعلماً وجهلاً، وإيماناً وكفراً»[٢].

والسمو في الأسلوب يستخدم مع الجميع سواء كانوا من كبراء القوم أو من عامة الناس، فقد ورد في كتب السيرة أن عتبة بن ربيعة أتي النبي ﷺ وأساء إليه في الحديث والنبي ﷺ يستمع إليه ولم يقاطعه، حتى إذا فرغ قال رسول الله ﷺ: **(أفرغت يا أبا الوليد)** قال: نعم، فقال رسول الله: **(أفتجلس فتسمع)** فتلا عليه القرآن حتى قال عتبة: أنشدك الله والرحم، أنشدك الله والرحم حسبك..[٣].

فتميز أسلوب النبي ﷺ بالإنصات الجيد وعدم المقاطعة، وعدم الرد بالمثل ثم أسلوب العرض بدل الأمر، والرفق بالمخاطب ومناداته بأحب الأسماء إليه.

ومن المواقف ما روي عن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم، فقلت يرحمك الله. فرماني القوم بأبصارهم. فقلت: واثكل أمياه ما شأنكم تنظرون إلي!!؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني، سكت. فلما صلى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي **ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني** قال: **(إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن)**[٤].

---

(١) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، أ. د. حمود الرحيلي ص٥٢ بتصرف وزيادة.
(٢) معالم في أصول الدعوة د. محمد يسري ص١٤٨.
(٣) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٢٩٤ باختصار.
(٤) صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة (٥٣٧).

المبحث الخامس

واجبات المدعوين تجاه الدعوة ومن يدعوهم

إذا كان للمدعو حقوقٌ فكذلك عليه واجبات عند بلوغ الدعوة إليه، يجمعها قول الله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ - ٣].

قال الشافعي: «لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم»[(١)].

وذلك «لعظم شأنها مع غاية اختصارها، لو فكر الناس فيها لكفتهم؛ لجمعها للخير بحذافيره، فإنها دلت على العلم والعمل، والدعوة إلى الحق والصبر على الأذى فيه، فتضمنت جميع مراتب الكمال الإنساني. فهي حقيقة بأن يقال فيها ما قاله هذا الإمام الجليل»[(٢)].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «وبيان كلام الشافعي هو: أن المراتب أربعة وباستكمالها يحصل للشخص غاية كماله: **إحداها**: معرفة الحق. **الثانية**: عمله به. **الثالثة**: تعليمه من لا يحسنه. **الرابعة**: صبره على تعلمه والعمل به وتعليمه.

فهذه السورة على اختصارها هي من أجمع سور القرآن للخير بحذافيره، والحمد لله الذي جعل كتابه كافياً عن كل ما سواه شافياً من كل داء، هادياً إلى كل خير»[(٣)].

وتفصيل تلك الواجبات على النحو التالي:

أولاً: الاستجابة للدين:

قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: قبلوا

---

(١) تفسير الإمام الشافعي ٣/ ١٤٦١.
(٢) حاشية الثلاثة أصول ص٧.
(٣) مفتاح دار السعادة ١/ ٥٨- ٥٩.

دعوة الحق الذي يدعى إليه، والاستجابة والانقياد له، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤].

يقول ابن القيم: «الإنسان مضطر إلى نوعين من الحياة حياة بدنه التي بها يدرك النافع والضار وحياة قلبه وروحه التي بها يميز بين الحق والباطل، الحياة النافعة إنما تحصل بالاستجابة لله ورسوله فمن لم تحصل له هذه الاستجابة فلا حياة له، وأكمل الناس حياة أكملهم استجابة لدعوة الرسول فإن كل ما دعا إليه ففيه الحياة فمن فاته جزء منه فاته جزء من الحياة وفيه من الحياة بحسب ما استجاب للرسول»(١).

مع تنبيه الداعية إلى أن الناس متفاوتون في قبولهم للدعوة:

فمنهم **السريع** القبول جداً كأبي بكر رضي الله عنه، وكسحرة فرعون رضي الله عنهم، عندما رأوا الآيات، ومنهم **البطيء**: كما حدث مع قوم سيدنا يونس عليه السلام، وكمسلمة الفتح كأبي سفيان رضي الله عنه وأمثاله الذين تأخر إسلامهم إلى أن فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة.. وبين هذين الصنفين (السريع القبول والبطيء) تتفاوت المراتب.

فعلى الدعاة الصبر الجميل، والاستمرار في بذل النصح، وإقامة الحجة، وبيان الحق وتوضيحه، بكل الوسائل المشروعة، وعدم العجلة على المدعوين، وعدم اليأس منهم.

ثانياً: العمل بالدين:

أن يقوم بحق الإسلام، فيقيم أمور حياته وسلوكه على مناهج الإسلام، ويعبد الله على النحو الذي أَمَرَ به وبيّنَه في قرآنه وعلى لسان رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم.

---

(١) الفوائد ص٨٨.

لأن الإيمان يتبع العمل، كما قال تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [العصر: ١ - ٣].

وهذا الربط بين الإيمان والعمل الصالح له شواهد كثيرة في القرآن تربو على خمسين موضعاً، لأن العمل الصالح وهو ثمرة الإيمان، فالإيمان إذا استقر في القلوب تحركت الجوارح حركة إيجابية للرقي بالنفس والغير، فهذا هو الإيمان، وبدون تلك الحركة الإيجابية يكون إيمان مزيف أو ميت.. فالإيمان حركة وعمل وبناء وتعمير، غايته رضا الله، وليس الأحاسيس والنوايا الطيبة التي لا تغير فرداً ولا مجتمعاً.

مع التنبيه إلى أمرين:

الأول: الربط بين العمل وصلاح العمل، بقوله: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ﴾ [الملك: ٢].

ولذلك لا يكون العمل صالحاً يقي من الخسران إلا بشرطين وهما: الإخلاص لله والمتابعة لسنة رسول الله ﷺ.

الثاني: شمولية مفهوم العمل لجميع مناحي الحياة، كما قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣].

ثالثاً: الدعوة إلى الدين:

أي: قيامه بالدعوة إلى ما كان يدعى إليه، فإنه بعد قبوله دعوة الإسلام ينبغي له أن يبلغ هذه الرسالة إلى غيره بالوسائل المتاحة لديه، لقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ١ - ٣].

قال ابن جرير: أي: «وأوصى بعضهم بعضاً بلزوم العمل بما أنزل الله في كتابه؛ من أمره، واجتناب ما نهى عنه فيه»(١).

فالتواصي يبرز صورة الأمة المتضامَّـة، المتضامِنَة، الخيرة، الواعية، القَائمة على الحق والعدل والخير.. وهذا الدين لا يقوم إلا في واقع أمة متواصية متكافلة متضامنة.

رابعاً: الصبر على الدين وتبليغه:

قـال تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ قال ابن جرير: أي «وأوصى بعضهم بعضاً بالصبر على العمل بطاعة الله»(٢).

وقال ابن كثير: «أوصى بعضهم بعضاً بالصبر على المصائب والأقدار، وأذى من يؤذي- ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر»(٣).

إن الثبـات على الإيمان والعمل الصالح، وإقامة بالحق والعدل، من أعسـر ما يواجه الدعـاة إلـى الله، لأنـه لا بد للدعاة من صبر علـى جهاد النفس والغيـر، وصبر على الأذى والمشقة، وطغيان الباطل وأهله، وصبر على طول الطريق، ولذا **يقول الله تعالى**: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [آل عمران ٢٠٠].

فالصـبر هـو زاد طريـق الدعـوة، فطريق الدعـوة طويل شـاق، حافـل بالعقبات والابتلاء.. فالدعوة تحتاج إلى صبر على أشياء كثيرة لا تصورها الكلمات. فالكلمات لا تنقـل المدلـول الحقيقي لهذه المعانـاة. إنما يدرك هذا المدلول من عانى مشـقات طريق الدعوة وتذوقها.

---

(١) جامع البيان ٢٤/ ٦١٤.

(٢) جامع البيان ٢٤/ ٦١٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٨/ ٤٨٠.

وهـذا لقمـان الحكيم يوصي ابنه بعـدة وصايا ومنها الصبر: قـال تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ [لقمان: ١٧].

أي: «واصبر على ما أصابك من الشدائد والمحن، لاسيما فيما أمرت به من إقامة الصلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[(١)].

خامساً: السؤال والاستيضاح عما يشكل:

وهذا انطلاقاً من قول الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [الأنبياء: ٧]، قال السـعدي: «هذه الآية وإن كان سـببها خاصاً بالسـؤال عن حالة الرسـل المتقدمين لأهل الذكر وهم أهل العلم، فإنها عامة في كل مسـألة من مسائل الدين أصوله وفروعه إذا لم يكن عند الإنسان علم منها أن يسأل من يعلمها، ففيه الأمر بالتعلم والسؤال لأهل العلم.. وفي تخصيص السؤال بأهل الذكر والعلم نهي عن سؤال المعروف بالجهل وعدم العلم، ونهي له أن يتصدى لذلك»[(٢)].

وقال رسـول الله ﷺ: (ألا سـألوا إذ لم يعلموا؛ فإنما شـفاء العي السـؤال)[(٣)]. والعيّ هو الجهل، وقيل لابن عباس رضي الله عنهما: كيف أصبت هذا العلم؟ قال: «بلسان سؤول، وقلب عقول»[(٤)]، وقال ابن المبارك: «فريضة على من وقع في شيء من أمر دينه أن يسأل عنه حتى يعلمه»[(٥)].

---

(١) روح المعاني ٢١/ ٨٨.
(٢) تيسير الكريم الرحمن ٥١٩.
(٣) سنن أبي داوود كتاب الطهارة، باب في المجروح يتيمم (٣٣٦)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٥٣١).
(٤) فضائل الصحابة للإمام أحمد ٢/ ٩٧٠.
(٥) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٥٣.

سادساً: احترام الدعاة وتقديرهم:

فاحترام العلماء والدعاة وتقديرهم هو أدب مع الله ورسوله المؤخوذ من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ١ - ٢].

وذلك لأن العلماء هم الذين يبلغون عن الله وعن رسول الله ﷺ، ولذا فيجب الأدب مع من يحمل كلام الله وسنة رسول الله ﷺ، وقد وعى المسلمون هذا الأدب الرفيع وتجاوزوا به شخص رسول الله ﷺ، إلى كل أستاذ وعالم، لا يزعجونه حتى يخرج إليهم ولا يقتحمون عليه حتى يدعوهم، ولا يرفعون أصواتهم عنده كما فعل ابن عباس رضي الله عنهما.

ومن أساء الأدب مع العلماء فقد أساء الأدب مع الله ومع رسول الله ﷺ لأن هذه الإساءة لن تقف عند أشخاص العلماء بل تتعدى إلى ما يحملونه من كتاب وسنة، وقد قال النبي ﷺ: (إن الله تعالى قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب)[1] فإذا لم يكن العلماء من أولياء الله تعالى فمن سيكون من أولياء الله تعالى إذاً؟؟. فقد روى الخطيب البغدادي عن الشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهما أنهما قالا إن لم يكن الفقهاء أولياء لله فليس لله ولي[2].

فيجب تقديرهم وإجلالهم واحترامهم والتواضع لهم، قال الإمام النووي رحمه الله: وينبغي أن يتواضع لمعلمه ويتأدب معه وإن كان أصغر منه سناً وأقل شهرةً ونسباً وصلاحاً، وينبغي أن ينظر إلى معلمه بعين الاحترام ويعتقد كمال أهليته ورجحانه»[3].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع (٦٥٠٢).
(٢) مصرع التصوف ص٢٠١.
(٣) التبيان في آداب حملة القرآن ص ٣٨ باختصار.

ويجب كذلك تعظيم حرمتهم ورد غيبتهم فإن عجز عن ذلك قام وفارق المجلس[١]، وهذا عام مع جميع الناس فكيف مع العلماء؟ فالواجب معهم أشد.

ومن ذلك عدم تتبع عثراتهم والتشهير بها أو عدم ذكر محاسنهم، قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وليس لأحد أن يتتبع زلات العلماء، كما ليس له أن يتكلم في أهل العلم والإيمان إلا بما هم له أهل»[٢].

ويقول الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن زلة العالم لا ينبغي أن يشنع عليها، ولا ينتقص من أجلها، أو يعتقد فيه الإقدام على المخالفة بحثاً، فإن هذا كله خلاف ما تقتضي رتبته في الدين»[٣].

ومن ذلك عدم إزعاجهم في بيوتهم، وفي وقت شغلهم، قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: إن كنت لآتي الرجل من أصحاب رسول الله ﷺ، فإذا رأيته نائماً لم أوقظه، ولئن رأيته مغموماً لم أسأله، وإن رأيته مشغولاً لم أسأله»[٤].

(١) التبيان في آداب حملة القرآن ص٣٩.
(٢) مجموع الفتاوى ٣٢/ ٢٣٩.
(٣) الموافقات ٥/ ١٣٦.
(٤) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٢١٢.

المبحث السادس

دوافع استجابة المدعو

عندما نرى استجابة المدعو للدعوة، نتيقن أن هناك بواعث تحثه على هذه الاستجابة، وتجعله ينقاد إليها، ومن خلال الأمور التالية سوف نتعرف على أهم هذه الدوافع التي تجعل المدعوين يستجيبون للدعوة، ومنها(١):

أولاً: إعمال العقل والتفكير السليم:

أودع الله تعالى في الإنسان نعمة العقل، وميزه بها عن سائر المخلوقات، وبسلامة العقل يكون الإنسان مكلفاً، وباعتلاله يرفع عنه التكليف، كما ورد ذلك في الحديثِ عَنْ أم المؤمنين عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(رفع القلم عن ثلاث: عن المبتلى، أو قال: المجنون حتى يبرأ، وعن الصبي حتى يبلغ، أو: يعقل، وعن النائم حتى يستيقظ)**(٢).

وقد وردت آيات في القرآن الكريم تحث على التفكر وإعمال العقل فيما دعاهم إليه الداعي، منها قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٤]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٤٦].

أو فيما خلقوا له من عبادة الله: كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ﴾ [الروم: ٨].

---

(١) بعض أفكار هذا المبحث من مقال بعنوان: دوافع استجابة المدعوين للدعوة. أ. زينب الراجحي، وقد أضفت عليه كثيراً من الأفكار والأدلة والنقولات.

(٢) مسند أحمد ٤١/ ٢٤٤ (٢٤٦٩٤) وقال شعيب الأرناؤوط إسناده جيد.

والمتأمل في اللقاء الأول للأنصار رضي الله عنهم بالرسول ﷺ عند العقبة يجد أنهم أعملوا عقولهم، وفكروا تفكيراً سديداً، إذ دعاهم إلى الإسلام، وتلا عليهم القرآن، فقالوا عند سماعهم للرسول الكريم ﷺ؟ قالوا: «تعلمون والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود، فلا تسبقنكم إليه»[(١)]، فاستجابوا للرسول ﷺ وقبلوا منه ما عرض عليهم.

وهذا الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه يقدم مكة، فمشى إليه رجال من قريش، وكان الطفيل شريفاً شاعراً لبيباً، فقالوا: يا طفيل إنك قدمت بلادنا وهذا الرجل بين أظهرنا قد أعضل بنا وفرق جماعتنا!! وإنما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وبين أبيه!! وبين الرجل وبين أخيه!! وبينه وبين زوجه!! وإنما نخشى عليك وعلى قومك، فلا تكلمه ولا تسمع منه. قال فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه، حتى حشوت أذني كرسفاً[(٢)] فرقاً أن يبلغني من قوله وأنا أريد أن لا أسمعه.

قال فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة، قال فقمت قريباً منه فأبى الله إلا أن يسمعني قوله، **فسمعت كلاماً حسناً**، فقلت في نفسي واثكل أمي!! والله إني لرجل شاعر لبيب ما يخفى علي الحسن من القبيح فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول؟ إن كان الذي يأتي حسناً قبلته، وإن كان قبيحاً تركته. فمكثت حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته فأتبعته حتى إذا دخل بيته. دخلت عليه فقلت: يا محمد إن قومك قالوا لي كذا وكذا، ثم إن الله أبى إلا أن أسمع قولك، فسمعت قولاً حسناً، فأعرض علي أمرك. **فعرض عليَّ الإسلام، وتلا عليَّ القرآن، فوالله ما سمعت قولاً قط أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه، فأسلمت** وشهدت شهادة الحق[(٣)].

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٤٢٩. قال الأرنؤوط في تخريج زاد المعاد ٣/ ٤٠: رجاله ثقات وإسناده حسن.

(٢) كرسفاً: الكرسف هو القطن. ينظر: النهاية في غريب الحديث ٤/ ١٦٣.

(٣) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٣٨٢، والسيرة النبوية لابن كثير ٢/ ٧٢، ودلائل النبوة للبيهقي ٥/ ٣٦٠، ودلائل النبوة لأبي نعيم ١/ ٢٣٨.

فالله سبحانه وتعالى منح الإنسان العقل لا ليعطله ولا ليعمله فيما يعود عليه بالضرر، وإنما من أجل أن يفكر ويتفكر به فيما يعود عليه بالنفع، فهو الذي يقود إلى الاهتداء بإذن الله تعالى، إذا لم تتغلب على فكره الشبهات والشهوات، فإن تغلبت هذه الشبهات والشهوات على عقل صاحبها اصبحت دماراً عليه وعلى مجتمعه وأمته.

ثانياً: إيقاظ الفطرة:

أي: أن عقيدة الاسلام وشعائره وشرائعه لا تتعارض ولا تصطدم مع المنطق القويم، والعقول السوية، والفطر المستقيمة، ولو لم يكن أصحابها مسلمين.

والفطرة: «هي الخلقة التي خلق الله عباده عليها، وجعلهم مفطورين عليها، وعلى محبة الخير وإيثاره، وكراهية الشر ودفعه، وفطرهم حنفاء مستعدين لقبول الخير، والإخلاص لله والتقرب إليه»(١).

قال الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوَيُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ**)(٢)، **وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه:** (**...وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا**)(٣).

---

(١) كتاب القول السديد ١/ ٦٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام (١٣٥٨)، ومسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة (٢٦٥٨).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الجنة، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار (٢٨٦٥).

ولأن الإسلام دين الفطرة: فقد جعل النبي ﷺ المعيار في التعرف على الإثم والخير، هو: انشراح الصدر وانقباضه، فما انشرحت له النفس ولم يكره صاحبه أن يطلع الناس عليه؛ دل ذلك على حسنه، وما ترددت فيه وكره صاحبه اطلاع الناس عليه دل على قبحه، فعن النواس بن سمعان رضي الله عنه: سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم؟ فقال: **(البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك، وكرهت أن يطلع عليه الناس)**[(١)].

فالمقصود أن أصل الاعتقاد في الإسلام عقيدة وشريعة قائم على مقتضى الفطرة العقلية، وجار على وفق ما يدركه العقل ويشهد به، ولا ينافي تلك الفطرة.

والفطرة ثابتة، والدين ثابت: ﴿لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِ﴾، فإذا انحرفت النفوس عن الفطرة لم يردها إليها إلا هذا الدين المتناسق مع الفطرة.

قال ابن القيم: «فَلَو خُلُّوا ودواعي فطرهم لما رَغِبُوا عَن ذَلِك وَلَا اخْتَارُوا سواهُ، وَلَكِن غُيرت الْفطر وأُفْسِدَت»[(٢)].

➢ ثالثاً: تحصيل الأمن:

يعدّ الأمن من أعظم النعم التي أنعم الله بها على عباده، وقد امتن الله تعالى على قريش بهذه النعمة العظيمة حيث قال تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ۝٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾ [قريش: ١ - ٤].

وقد جعل الله تعالى الأمن الحقيقي والشامل لعباده الموحدين، الذين يفردونه بالعبودية ولا يشركون بعبادة ربهم أحداً، حيث قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب تفسير البر والإثم (٢٥٥٣).

(٢) مفتاح دار السعادة ٢/ ٨٧.

ومن خلال مرويات بيعتي العقبة، نجد أن من أهم الدوافع لاستجابة الخزرج هو حاجتهم إلى الأمن و الاستقرار، واجتماع كلمتهم، وتوحيد صفوفهم، والقضاء على الحروب التي استمرت أعواماً عديدة وقُتل فيها منهم خلق كثير.

ويدل على هذا الدافع قولهم للرسول ﷺ عندما التقوا به للمرة الأولى عند العقبة وقبلوا دعوته «إنا قد تركنا قومنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم، فندعوهم إلى أمرك، وتعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك»[1].

إذن الحاجة إلى الأمن والاستقرار في الحال (الدنيا) والمستقبل (الآخرة) هي من أساسيات الحياة، التي يسعى إليها الإنسان، وهي من أهم الدوافع التي تجعله يستجيب للدعوة التي تحقق له الأمن المطلوب.

ولذلك كان من أسس دعوته ﷺ تحقيق ذلك الأمن، فعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن رسول الله ﷺ قال: (**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله**)[2].

➢ رابعاً: المعايشة الاجتماعية:

فإن الخلطة بأهل الخير تجعل المدعوين يتعرفون على الداعية، وعلى الخير الذي عنده، فإذا دعاهم إليه كانوا أقرب الناس للقبول.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٤٢٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْۚ﴾ (٢٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله (٢٢).

فقد قام جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه أمام النجاشي وبين له أسباب دخولهم في الإسلام وفرارهم به من الاضطهاد، فقال: «أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، يأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك **حتى بعث الله إلينا رسولاً نعرف نسبه وصدقه، وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد وآباؤنا من دونه، من: الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبدالله وحده، لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام. فعدد عليه أمور الإسلام**... فصدقناه، وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به. فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا، وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا، وشقُّوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلدك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك»[(١)].

وقال رسول الله ﷺ: **(مثل الجليس الصالح والجليس السوء، كمثل صاحب المسك وكير الحداد، لا يعدمك من صاحب المسك إما تشتريه، أو تجد ريحه، وكير الحداد يحرق بدنك، أو ثوبك، أو تجد منه ريحاً خبيثة)**[(٢)].

فالقدوة الحسنة والصحبة الصالحة من أهم وسائل قبول الحق من أهله.

---

(١) مسند أحمد١/ ٢٠١ (١٧٤٠)، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن. والرواية مختصرة.
(٢) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب في العطار وبيع المسك (٢١٠١)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب مجالسة الصالحين (٢٦٢٨).

المبحث السابع

موانع استجابة المدعو وسبل علاجها

ويتضمن أربعة مطالب:

المطلب الأول: أهمية علم الداعية بموانع استجابة المدعوين.

المطلب الثاني: الاستجابة للدعوة توفيق من الله.

المطلب الثالث: موانع الاستجابة من جهة المدعو.

المطلب الرابع: موانع استجابة المدعوين من جهة الداعية.

المبحث السابع

موانع استجابة المدعو وسبل علاجها

المطلب الأول

أهمية علم الداعية بموانع استجابة المدعوين[١]

لما كانت الدعوة تقوم بشكل أساسي على عرض الدعوة ومبادئها بشكل حسن، وكان من أهداف الداعية تبيين سبيل المؤمنين للناس، والتأثير في نفوسهم، وإرشادهم وهدايتهم، كان من المهم للداعية: معرفة الأسباب التي تصد الناس عن الاستجابة لها رغم حسن عرضه لها، وبذله الجهود في نشرها.

فيكون الداعية كالطبيب الذي يسعى في طلب الشفاء للمريض، فيقف على علته المرضية، بسؤاله عن تاريخ مرضه، ومراقبة أحواله لمعرفة الأسباب التي أدت به إلى هذه العلة، فيعمل حينها على إزالة هذا السبب ما استطاع، ثم يختار له الدواء الأصلح والأنفع، ويضع منه المقدار المناسب فوق الجزء المعتل، حتى يتحقق له الشفاء بإذن الله، ثم في مدة نقاهته من المرض، يجنبه الأسباب التي قد تؤدي إلى انتكاس حاله.

فيظهر مما سبق أهمية معرفة السبب وإزالته، لتحقق الفائدة وحصول النتيجة بإذن الله، لأن «قبول المحل لما يوضع فيه. مشروط بتفريغه من ضده، وهذا كما أنه في الذوات والأعيان، فكذلك هو في الاعتقادات والإرادات، فإذا كان القلب ممتلئاً بالباطل اعتقاداً ومحبة، لم يبق فيه لاعتقاد الحق ومحبته موضع»[٢].

---

(١) مقال بعنوان: أهمية علم الداعية بأسباب صدود المدعوين. د. هند شريفي، منشور على موقع الألوكة. باختصار.

(٢) الفوائد ص ٤٣.

وعلم الداعية بأسباب الصدود عند المدعوين يحقق الفوائد التالية:

١- إذا عرف الداعية هذه الأسباب حرص على إزالتها، أو التقليل من أثرها السيء في نفوس المدعوين ما أمكنه ذلك، لتصبح نفوسهم مهيأة للنبت الجديد بإذن الله[(١)]، فإذا أهمل الداعية إزالة الأسباب - الممكن إزالتها - كان كالذي يبني داراً على أرض هشة لينة قد تنهار به في أي لحظة.

٢- إن معرفة هذه الأسباب تساعد الداعية في اختيار الأسلوب الأفضل والوسيلة الأجدى في الدعوة، فأسلوب دعوة من امتلأ عقله بالمفاهيم المنحرفة، مختلف عن أسلوب دعوة من تبين له الحق، ولكن تعلق قلبه بالدنيا، وغلبت عليه شهواتها.

٣- إن معرفة أسباب الصدود في بيئة ما، يساعد على التخطيط الجيد عند إعداد الدعاة، وتثقيفهم وتعليمهم، بما يتناسب مع المجتمع الذي يدعو فيه، فيتسلح الداعية بما يساعد على الدفاع عن الإسلام عند أصحاب الشبهات، ويتحلى بسعة الصدر ولين القول، وحسن التعامل، ليتخطى عقبة كراهية الحق ومن يدعو إليه، ويتزود بما يكسب به مودة الناس وصداقتهم ويؤلف قلوبهم.

٤- في بعض المجتمعات قد يكون من الأفضل أن يتصدى للدعوة من يتمكن من ثقة الناس واحترامهم، لأن احتقار المدعوين للداعية وازدراءهم له وضعف ثقتهم به، أو بعلمه، أو نظرتهم له نظرة دونية؛ كل ذلك يحول دون الإنصات له والاستجابة لما يدعو إليه، و من الأنسب أن تُراعى المكانة الاجتماعية، والمستوى المعيشي والثقافي.

---

(١) للاستفادة انظر: دوافع إنكار دعوة الحق في العهد النبوي، وسبل علاجها من ص ٢٨٥- ٣٧١، وقد قسم المؤلف عبدالرحمن يوسف سبل علاج هذه الموانع إلى خمسة أقسام هي: الحسية والعقلية والأخلاقية والاجتماعية والنفسية، وانظر: أصول الدعوة لعبدالكريم زيدان من ص ٤٢٦ - ٤٣٦.

٥- إن معرفة الداعية لأسباب الصدود مفيد في إنجاح العملية الدعوية وإزالة العراقيل من طريقها، فإذا تمكن الداعية بحكمته تفادي الصدام مع هذه الأسباب مباشرة، وذلك بأن يبتعد عن إثارة النعرات العصبية والشخصية عند المدعوين - حال كُمون هذه الأسباب - وتأجيل ما يمكن تأجيله منها حتى تنشرح صدورهم للهدى، لأن الغالب أن يثور المدعو وتأخذه العزة بالإثم عند إثارة هذه النعرات.

٦- إن بصيرة الداعية المؤمن بمكائد الشيطان ووسائله في صد الناس عن اتباع الهدى؛ يدفعه إلى التوقي والحذر أن يقع يوماً في حبائله، فلا يسلطه على عقله ليبث فيه الشكوك والأوهام، ولا على قلبه فيزين له الدنيا ويزخرف له متاعها، أو يلوث أخلاقه بأنواع الانحرافات الخلقية.

وخلاصة هذه الفوائد أن معرفة الداعية لهذه الأسباب، تُعينه على مراعاة أحوال المدعوين، بما يهيئهم للاستجابة، وهذا ما سنتناوله في المطالب التالية بإذن الله.

المطلب الثاني

الاستجابة للدعوة توفيق من الله

من المعلوم أنه إذا أخلص الداعية، وبذل غاية وسعه، وقدَّم ما يمكنه من جهدٍ ووقتٍ ومالٍ لنشر دين الله، ولم ير استجابةً ثم راجع نفسه وحاسبها، وأعاد الدعوة كراتٍ وكراتٍ، فليعلم أن هناك مانعاً عن الاستجابة للحق، لا يملك هو أمامه إلا الدعاء - مع الاستمرار في بذل الأسباب - بالهداية لمن كتب الله عليه الضلالة.

فعلى الداعية ألا يصيبه الإحباط أو اليأس من هدايتهم، لأن (القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء)[١]، وقد قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١]. وقال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٩].

فالله تعالى: «قد أوضح السبل، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب، وأزاح العلل، ومكَّن من أسباب الهداية والطاعة، بالأسماع والأبصار والعقول، وهذا عدله، ووفق من شاء بمزيد عناية وأراد من نفسه أن يعينه ويوفقه، فهذا فضله، وخذل من ليس بأهل لتوفيقه وفضله، وخلى بينه وبين نفسه، ولم يرد سبحانه أن يوفقه، فقطع عنه فضله، ولم يحرمه عدله، وهذا نوعان:

أحدهما: ما يكون منه جزاء للعبد على إعراضه عنه، وإيثار عدوه في الطاعة والموافقة عليه، وتناسي ذكره وشكره، فهو أهل أن يخذله ويتخلى عنه.

والثاني: أن لا يشاء له ذلك، ابتداء كما يعلم منه أنه لا يعرف قدر نعمة الهداية، ولا يشكره عليه، ولا يثني عليه بها، ولا يحبه، فلا يشاؤها له، لعدم صلاح محله»[٢].

ونوع ثالث: من عرف الله تعالى أنه ليس مهيَّأً بعدُ لاستقبال الخير والحق والهدى، فيريد الله تعالى تأخر هدايته حتى تحدث له أمور وابتلاءات متنوعة، تبين له طريق الحق وتكشف له عن فساد ما كان يدين به، فتنجلي الشبه عن قلبه ويقبل على الحق[٣].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء (٢٦٥٤).
(٢) الفوائد ص ٣٨.
(٣) مقال بعنوان: أهمية علم الداعية بأسباب صدود المدعوين. د. هند شريفي، منشور على موقع الألوكة.

المطلب الثالث

موانع الاستجابة من جهة المدعو

هناك موانع كثيرة تمنع المدعو من الاستجابة للداعية والدعوة إلى الله تعالى ذكرها الله تعالى في كتابه، وبينتها السنة النبوية، أجملها في النقاط التالية:

○ أولاً: الجهل:

قال الله تعالى في شأن قوم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الأعراف: ١٣٨].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والأسباب المانعة من قبول الحق كثيرة جداً:

فمنها: الجهل به، وهذا السبب هو الغالب على أكثر النفوس، فإن من جهل شيئاً عاداه وعادى أهله، فإن انضاف إلى هذا السبب بغض من أمره بالحق ومعاداته له وحسده كان المانع من القبول أقوى، فإن انضاف إلى ذلك إلفه وعادته ومرباه على ما كان عليه آباؤه ومن يحبه ويعظمه قوي المانع، فإن انضاف إلى ذلك توهمه أن الحق الذي دعي إليه يحول بينه وبين جاهه وعزه وشهواته وأغراضه قوي المانع من القبول جداً، فإن انضاف إلى ذلك خوفه من أصحابه وعشيرته وقومه على نفسه وماله وجاهه كما وقع لهرقل ملك النصارى بالشام على عهد رسول الله ﷺ ازداد المانع من قبول الحق قوة، فإن هرقل عرف الحق وهم بالدخول في الإسلام فلم يطاوعه قومه وخافهم على نفسه فاختار الكفر على الإسلام بعد ما تبين له الهدى، كما سيأتي ذكر قصته إن شاء الله تعالى»[1].

---

(١) هداية الحيارى ص٢٤٤.

○ ثانياً: الحسد:

ومن أعظم الأسباب المانعة من قبول الحق الحسد، قال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ [البقرة: ١٠٩] وقال سبحانه: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [النساء: ٥٤] وقد يُبتلى بعض المدعوين بنوعٍ من الحسد للداعية، قال ابن القيم: «الحسد فإنه داء كامن في النفس، ويرى الحاسد المحسود قد فضل عليه، وأوتي ما لم يؤت نظيره، فلا يدعه الحسد أن ينقاد له ويكون من أتباعه. وهل منع إبليس من السجود لآدم إلا الحسد؟! فإنه لما رآه قد فضل عليه ورفع فوقه، غص بريقه واختار الكفر على الإيمان بعد أن كان بين الملائكة.

وهذا الداء هو الذي منع اليهود من الإيمان بعيسى ابن مريم، وقد علموا علماً لا شك فيه أنه رسول الله جاء بالبينات، والهدى فحملهم الحسد على أن اختاروا الكفر على الإيمان، وأطبقوا عليه، وهم أمة فيهم الأحبار والعلماء والزهاد والقضاة والملوك والأمراء[1].

وقد قال المسور بن مخرمة - وهو ابن أخت أبي جهل - يا خال، هل كنتم تتهمون محمداً قبل أن يقول ما قال؟ فقال: يا ابن أختي! والله لقد كان محمد فينا صادقاً وهو شاب، يدعى الأمين، فما جربنا عليه كذباً قط، قال: يا خال! فما لكم لا تتبعونه؟! قال: يا ابن أختي تنازعنا نحن وبنو هاشم الشرف، فأطعموا وأطعمنا، وسقوا وسقينا، وأجاروا وأجرنا، حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان، قالوا: منا نبي فمتى ندرك مثل هذه؟

وقال الأخنس بن شريق يوم بدر لأبي جهل: يا أبا الحكم! أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب؟ فإنه ليس هاهنا من قريش أحد غيري وغيرك يسمع كلامنا؟ فقال

---

(١) هداية الحيارى ص٢٤٥.

أبـو جهل: ويحك! والله إن محمداً لصادق، وما كذب محمد قط، ولكن إذا ذهبت بنو قصي باللواء والحجابة والسقاية والنبوة فماذا يكون لسائر قريش؟[(١)].

❍ ثالثاً: اتباع الهوى:

قـال تعالـى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

قـال ابن القيم: «حـذار، حذار من أمريـن لهما عواقب سـوء؛ أحدهما: رد الحق لمخالفته هواك فإنك تعاقب بتقليب القلب، ورد ما يرد عليك من الحق رأساً ولا تقبله إلا إذا برز في قالب هواك»[(٢)].

❍ رابعاً: التقليد الأعمى، والعصبية القبلية:

التعصب لما كان عليه الآباء والأجداد والرؤسـاء والكبراء وسائر أفراد المجتمع من العادات والتقاليد والدين، وما ورثوه من أخلاق وعادات عنهم، وقد بين الله تعالى قبـح وضـلال من يفعل ذلـك في العديد من آيـات القرآن كقوله تعالـى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠]، وقوله: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢].

---

(١) جامع البيان ٧/ ١٨٢، وسيرة ابن إسحاق (٢٣٢)، وسيرة ابن هشام ١/ ٣١٥، والبيهقي في الدلائل ٢/ ٢٠٦ - ٢٠٧، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ١٣٠.

(٢) بدائع الفوائد ٣/ ١٨٠.

وعندما حضرت أبا طالب الوفاة جاء زعماء الشرك وحرضوه على الاستمساك بدينه وعدم الدخول في الإسلام قائلين: أترغب عن ملة عبدالمطلب؟ وعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام قائلاً: **(قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة)** فقال أبو طالب: لولا تعيرني بها قريش، يقولون: إنما حمله عليها الجزع، لأقررت بها عينك[(١)].

ومنهج الإسلام يحث على النظر والاعتبار، ومبني الجزاء فيه على أن المسؤولية والمحاسبة مسؤولية فردية يتحملها كل إنسان عن نفسه.

○ خامساً: تقليد الأشياخ والسادة:

فقد قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]. وقال الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٧].

وتأمل هذه المحاورة بين القادة والسادة وبين التابعين لهم والمغرر بهم وذلك يوم الحسرة والندامة، يوم لا ينفع متبوعٌ تابعاً ولا سيدٌ مسوداً ولا شيخٌ مُريداً، حيث تدور بينهم هذه المحاورة التي يكشفون فيها عن الحقائق التي كانوا عليها في الدنيا؛ من رَدِّ الحق وعدم قبوله والعصيان لله ومخالفة رسله، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٤١٨، والخبر أخرجه ابن حبان في صحيحه (٦٢٧٠)، ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت (٢٥)، ورقم (٢٤) قبله بنحوه، وأخرجه البخاري كتاب الجنائز باب إذا قال المشرك عند الموت: لا إله إلا الله (١٢٩٤) وكرره (٣٦٧١، ٤٣٩٨، ٤٤٩٤، ٦٣٠٣) وغيرهم.

جَآءَكُمۖ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ٣٢ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [سبأ: ٣١ - ٣٣].

○ سادساً: الكبر والطبقية:

قال تعالى: ﴿ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ لَّيَكُونُنَّ أَهۡدَىٰ مِنۡ إِحۡدَى ٱلۡأُمَمِۖ فَلَمَّا جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ مَّا زَادَهُمۡ إِلَّا نُفُورًا ٤٢ ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕ ﴾ [فاطر: ٤٢ - ٤٣].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن شَيۡءٖ فَتَطۡرُدَهُمۡ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٢].

قال أبو جعفر: ذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ، في سبب جماعة من ضعفاء المسلمين، قال المشركون له: لو طردت هؤلاء عنك لغشيناك وحضرنا مجلسك!

فعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** مرّ الملأ من قريش بالنبيّ ﷺ، وعنده صهيب وعمار وبلال وخبّاب، ونحوهم من ضعفاء المسلمين، فقالوا: يا محمد، أرضيت بهؤلاء من قومك؟ هؤلاء الذين منّ الله عليهم من بيننا؟ أنحن نكون تبعاً لهؤلاء؟ اطردهم عنك! فلعلك إن طردتهم أن نتّبعك[1].

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ وَإِذۡ لَمۡ يَهۡتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفۡكٞ قَدِيمٞ ﴾ [الأحقاف: ١١] إنه الهوى الذي يجعل أهل الكبر لا يذعنون للحق، ولا يستمعون لصوت الفطرة، بل يُملي عليهم العناد اختلاق المعاذير،

(١) جامع البيان ١١/ ٣٧٤، وأخرجه أحمد في المسند ١/ ٤٢٠ (٣٩٨٥) قال الهيثمي ٧/ ٢١: (ورجال أحمد رجال الصحيح غير كردوس وهو ثقة).

والادعاء بالباطل على الحق وأهله، والتعالي عليهم، فقد كان الهوى هو حجة قوم نوح في رفضهم الحق، قال تعالى: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾ [هود: ٢٧].

○ سابعاً: تفلُّت المدعو من التقيُّد بالالتزام والمسؤولية:

وهذا ما دعا قوم شعيب أن ينكروا عليه دعوته بقولهم: ﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧].

«فكثيراً ما يُصادِف الدُّعاة مدعوِّين يَثقُل عليهم التقيُّد بالأوامر والنواهي، والنصائح الشرعية، فإذا لم يَتدارَك الداعية أو المربِّي حال هذا المدعوِّ وسعَى لتقويم هذه الآفَة، تفلَّت المدعوُّ مع الوقت عن المتابَعة الدعويَّة والتربويَّة للداعي والمربِّي له.

فنحن إذاً أمامَ مُشكِلة ذات جذور نفسيَّة أو تربويَّة، ينتج عنها التفلُّت وكراهية التقيُّد بالمنهج وبالبرنامج الدعوي والتربوي، وواجِب الداعية والمربِّي بجانِب تقويم هذه الآفَة مُراعاةُ هذه النفسيَّات، من حيث ترك الإثقال عليها في التوجيه والنُّصح»[(١)].

فحب الدنيا والتعلق بشهواتها هو ما منع كثيراً من الناس من الإيمان، خوفاً من بطلان مأكلهم وأموالهم التي تصير إليهم، وهؤلاء قال الله فيهم: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [إبراهيم: ٢ - ٣]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [النحل: ١٠٧].

---

(١) لماذا يبتعد المدعو عن الداعية في الدعوة د. حسن عبدالحي، مقال على موقع الألوكة بتصرف.

ثامناً: اتباع الهوى عند المدعوين:

قال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧]، وقال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠].

إن الحق في هذا القرآن لبينٌ، وحجةُ هذا الدين واضحةٌ، والهوى هو الذي يصد الناس عنه، ولذا فلا يوجد إلا طريقان: إما إخلاصٌ للحق وتخلصٌ من الهوى وإيمانٌ وتسليمٌ، وإما مجادلةٌ في الحق واتباعٌ للهوى والتكذيبُ والشقاق.

فالمقصود أنه إذا اتَّسمت شخصيَّة المدعوِّ باتباع الهوى لم يكد يستجيب للداعية في رحلة الـمُتابَعة والنصح وبِناء الشخصية؛ بل ترى هذه الشخصيَّة مُتنَقِّلة يميناً ويساراً، بلا هدفٍ تسعى إليه، أو غايةٍ ترجوها.

المطلب الرابع

موانع استجابة المدعوين من جهة الداعية

هناك موانع تمنع المدعوين من الاستجابة وهي من تصرفات الدعاة ومنها[١]:

أولاً: سوء أو عدم فَهْمِ الداعية لشخص المدعوِّ ونفسيَّته:

بحيث لا يلحظ الداعية أو المربِّي الوسائل المناسِبة في التعامُل مع المدعوِّ أو

---

(١) انظر: لماذا يبتعد المدعو عن الداعية في الدعوة د. حسن عبدالحي، مقال على موقع الألوكة بتصرف وزيادات.

المربَّى، أو في نصيحته وإرشاده؛ ممَّا يترتَّب عليه نفور المدعوِّ وانقِطاعه عن الداعية أو الدعوة القائم عليها.

ونفوس المدعوِّين تختَلِف؛ فتختَلِف وسائل نصحهم وتقويمهم، وما ينفع زيداً لا ينفع عمراً، والناظر في سنَّة النبي ﷺ يجد اختِلافاً بيِّناً في شكل ووسائل تربية أصحابه ونصحهم؛ وذلك لاختِلاف مراتبهم في القرب والبعد منه ﷺ واختِلاف أحوالهم الإيمانيَّة، واختِلاف مَدارِكهم وشخصيَّاتهم.

فهذا سائل يسأله يا رسول الله: أخبرني بما يقربني من الجنة وما يباعدني من النار؟ فقال النبي ﷺ: **(تعبدالله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم)**[(١)].

وآخر يقول له أوصني، فيقول له الرسول ﷺ: **(لا تغضب)**[(٢)].

وآخر يسأله الوصية كذلك فيقول له ﷺ: **(أوصيك أن تستحي من الله عز وجل كما تستحي من الرجل الصالح من قومك)**[(٣)].

وآخر يسأله السؤال نفسه، فيقول له: **(لا يزال لسانك رطباً بذكر الله)**[(٤)].

ثانياً: ظهور فساد بعض أحوال الداعية للمدعوِّ:

وهذا من أعظم أسباب هجر المدعوِّ للداعية، وإن كان يُفِيده علماً وتَوجِيهاً، إلاَّ أنَّه في الحقيقة يَصعُب على المدعوِّ الجمعُ بين قول شخصٍ يُخالِف فعله، وتوجيه مُرَبٍّ يَنقُضه بمخالفته في نفسه.

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة (١٤).
(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب (٦١١٦).
(٣) شعب الأيمان للبيهقي ٦/ ١٤٥(٧٧٣٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٥٤١).
(٤) مسند أحمد ٤/ ٩٠(١٧٧٣٤) قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

وعين المدعوِّ عادةً ترقُب تصرُّفات الداعية أكثرَ ممَّا تَعِي أذنه من توجيهاته وأقواله؛ ولهذا كان للاقتِداء في الدعوة أثرٌ قوي، سواء بالإيجاب أو السلب.

ولذا يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف: ٢ – ٣].

وقال تعالى عن شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ﴾ [هود: ٨٨]. وقال تعالى عن نبينا محمد ﷺ: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب ٢١].

ثالثاً: القرب الشديد للمدعوِّ من الداعية والإكثار عليه في النصح:

فهذا يخلق عند المدعوِّ نوعاً من الزهد، ونوعاً من الملل، ويتحوَّل هذا الزهد فيما بعدُ لتركٍ وابتِعاد كامل.

وكان عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُذَكِّر الناس في كلِّ خميس، فقال له رجل: يا أبا عبدالرحمن، لوددت أنَّك ذكَّرتنا كلَّ يوم، قال: «أمَا إنَّه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملَّكم، وإني أتخوَّلكم بالموعظة كما كان رسول الله ﷺ **يتخوَّلنا بها؛ مخافَةَ السآمَة علينا**»[1].

والقُرْبُ الشديد للمدعوِّ من الداعية والموجِّه فيه إهدارٌ لهيبة الداعية الواجبَة، وفيه أيضاً تعلِيق المدعوِّ بشخص الداعية نفسه لا بما يحمِله من منهج، وكذلك القُرْبُ الشديد من الداعية يُتيح للمدعوِّ الاطِّلاع الزائد على حياة الداعيَة، وما يتخلَّلها من هفوات تُحسَب على الدعوة ذاتها.

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من جعل لأهل العلم أياماً معلومة (٧٠)، ومسلم، صفات المنافقين وأحكامهم، باب الاقتصاد في الموعظة (٢٨٢١).

رابعاً: حظوظ نفس الداعية في تربية أو توجيه المدعوِّ:

عندما يكون للداعية أو المربِّي حظوظ نفس في العمليَّة الدعويَّة والتربويَّة، فإنَّه عادةً يفسد ما بينه وبين المدعوِّ والمربَّى مع الوقت؛ وذلك أنَّ مسألة الانقِياد لبشرٍ - مهما كانت منزلته ومكانته - صعبةٌ على النفس البشرية جدّاً، وإنما تتحمَّلها نفس المدعو لما يرى في حقيقتها من انقِياد للشرع، فإذا اختَلطَتْ بحظوظ نفس بشرية ربَّما ترك المدعوُّ عمليَّة التربية والدعوة كلَّها، بما فيها مصلحته الشرعيَّة من ملازمة الداعية والمربِّي؛ تجنُّباً لهذه الحظوظ الثقيلة عليه.

وحظوظ نفس الداعية أو المربِّي كثيرة ومُتفاوِتة؛ فقد تكون في حبِّ التعظيم الزائد، وقد تكون في حبِّ الخدمة، وقد تكون في شدّته بغير مُسَوِّغ، وقد تكون فيما هو أغلظ من ذلك؛ كحبِّ تملُّكه للمدعوِّ والمربَّى بحيث لا يصدر إلا عن رأيِه فحسب في أمور حياته.

على أنَّ الفارِق بين حظوظ نفس الداعية وبين كثيرٍ من وسائل التوجيه الصحيحة، فارِقٌ دقيقٌ جِدّاً، ولكنَّه يَظهَر في المحكَّات، وعند الاختِلافات، ومُحاسَبة النفس، وبصيرة الداعية أو المدعوِّ.

خامساً: ربط المدعوِّ بين سوء حاله الديني وبين ترك ملازمة الداعية:

يظنُّ كثيرٌ من المدعوِّين أنَّ العلاقة بينهم وبين مَن يُتابِعهم أو يُوَجِّههم مُعَلَّقة على حالهم، فإن كان حال المدعوِّ جيداً من حيث التِزام المنهج المُحدَّد له، تابَعَ مع مُربِّيه ومُوَجِّهه، وإن كان غير ذلك ترك المتابعة معه؛ لأنَّه يرى في نفسه التقصير والتفريط!

وأصل هذا الخطأ الكبير مُتولِّد من أزمة الاستِقلاليَّة في التفكير واتِّخاذ القرار دُون

الرُّجوع إلى أهله من أصحاب المعرفة والذكر، وأزمةُ الاستِقلاليَّة هذه يَنبَعِث منها أخطاء كثيرة في جانِب التصوُّرات وجانِب السلوك عند المدعوِّ والمربَّى، ما لم تعالج.

وعلى الداعية أو المربِّي ترسيخ واجِب الرُّجوع والمُشاوَرة لأهل الخبرة والدِّراية، كما عليه توضيح ما عليه عمله مع المدعوِّ، وعليه تقويمه ونصحه، وخطُّ مَعالِم الطريق له، سواء وُفِّق للهداية أو تعثَّر في بعض الطريق، ثم غايته ليست هداية المدعوِّ بقدر القِيام بواجب التبليغ والنصح، ومعرفة المدعوِّ كل هذا تُغَيِّر عنده هذا التصوُّر السطحي.

وقد حصل هذا الموقف للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وكان ﷺ يدفع عنهم التوهم هذا، ومن ذلك لمَّا قال حنظلة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للنبي ﷺ: نافق حنظلة. فقال: (مه) الحديث[1].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب التوبة باب فضل دوام الفكر والذكر (٢٧٥٠)، وانظر كلام النووي في شرح مسلم ١٧/ ٧٣.

المبحث الثامن

مشكلة اضطهاد المدعوين(١)

مكر الأعداء والكيد والتخطيط لمحاربة الدعوة من خلال الضغط على المدعوين وإيذائهم وتعذيبهم، سنةٌ من سنن الله الثابتة في هذه الحياة، ومَعلَمٌ من معالم الصراع بين الحق والباطل في تاريخ الدعوة، والأمثلة في ذلك كثيرة منها: ما ورد في قصة أصحاب الأخدود، قال تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٤ - ٨].

وكذلك ما فعله فرعون مع بني إسرائيل: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧ - ١٢٩].

وما فعله فرعون مع السحرة بعد إيمانهم، قال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾

[الأعراف: ١٢٣ - ١٢٦].

---

(١) هذا الأمر داخل في موانع الاستجابة ولكن أفردناه لأهميته.

وهـو ما فعله كفار قريـشٍ مع المؤمنين، مـن تعذيب وقتل، ومقاطعـة اقتصادية، بيَّنهـا الله تعالـى في كتابه بقولـه: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًاۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

وعن خباب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو يومئذٍ متوسدٌ بردةً في ظِلِّ الكعبةِ، فقلنا ألا تستنصر لنا الله تبارك وتعالى؟ أو: ألا تستنصر لنا؟ فقال ﷺ: **(قد كان الرجل فيمن كان قبلكم يؤخذ فيحفر له في الأرض فيجاء بالمنشار على رأسه فيجعل نصفين فما يصده ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب فما يصده ذلك والله ليتمن الله عَزَّ وَجَلَّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من المدينة إلى حضرموت لا يخاف إلا الله تعالى والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون)**[(١)].

فالإسلام يدعو للصبر والأمل في الفرج وعدم الاستعجال، ومن ثم يراعي الطاقة البشرية في التحمل، فهذا عمار بن ياسر يسلم هو وأبوه وأمه وأخوه، فيعذبون عذاباً شديداً فيمر عليهم الرسول ﷺ وهم يعذبون فيقول: **(صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة)**[(٢)] حتى قتلت أمه، وكانت أول شهيدة في الإسلام، ثم مات أبوه.. وظل هو يكابد العذاب، ولما أخذه المشركون ليعذبوه لم يتركوه حتى سب النبي ﷺ، وذكر آلهتهم بخير، فلما أتى النبي ﷺ قال: **(ما وراءك؟)** قال: شر، والله ما تركني المشركون حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير، قال: **(كيف تجد قلبك؟)** قال: مطمئناً بالإيمان، قال: **(فإن عادوا فعد)**، ونزل الوحي بشهادة الله تعالى على صدق إيمان عمار، قال تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة (٣٦١٢).

(٢) حلية الأولياء ١/ ١٤٠، السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٣٢٠، وصححه الألباني في فقه السيرة ص١٠٣.

﴿مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [النحل: ١٠٦][(١)].

ومكر أعداء الدين بالمدعوين ليس في التعذيب فقط، وإنما بكثرة وسائل الغواية والتأثير وتسهيلها، وإقامة الحواجز في طريق الهداية، فأعداء الإسلام تتنوع أساليبهم في الإغواء الإفساد ومنع وصول الدعوة للمدعوين، والعمل على إيصال الدعوة بصورة مشوهة مبتورة وتكوين صورة ذهنية غير صحيحة عن الإسلام والمسلمين، والدعوة والدعاة.

فيظل المدعوة في تشويشٍ داخليٍّ؛ خصوصاً إذا لم يجد القنوات الشرعية الصحيَّة التي تُغَيِّر هذا التصور وتُقاوم هذا التشويه وتتواكب معه.

فأعداء الإسلام سخروا قوة وسائلهم المادية في نشر باطلهم، وسخروا العلوم الحديثة والدراسات والتقنيات في سبيل تحقيق أهدافهم، ونشر الآراء والمبادئ الوافدة من المجتمعات الغربية، مع تخلي المسلم عن واجباته تجاه المدعوين في مواجهة هذا الخطر.

ومن مكر أعداء الدين بالمدعوين جعلهم يعيشون قلة المال وسوء الأوضاع الاقتصادية التي تؤدي إلى انصراف الناس لتحصيل لقمة العيش، وإشغالهم بالشهوات والتطلع إلى ما عند الغير، وهذه الأمور تتطلب من الدعاة أن يوجدوا البيئة الآمنة للمدعوين؛ خصوصاً في بداية الدعوة حتى يكون ذلك مثبتاً لهم، ومعيناً لدخول غيرهم في الإسلام.

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٢/ ٣٨٩ (٣٣٦٢)، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأخرجه أبو نعيم في حلية ١/ ١٤٠، والبيهقي في السنن الكبرى ٨/ ٨٠٢. وصححه ابن حجر في الدراية في تخريج أحاديث الهداية ٨/ ١٩٧ (٨٧٩)، وقال عن رواية ابن مردويه: (ورجاله ثقات مع إرساله أيضاً، وهذه المراسيل يقوي بعضها بعضاً) فتح الباري ١٢/ ٣١٢.

الفصل الثاني

معالم الخطاب الدعوي للمسلمين

ويشتمل على ثمانية مباحث:

تمهيد: حول أقسام المسلمين من حيث زيادة الإيمان ونقصانه.

المبحث الأول: الدعوة إلى أركان الإسلام والإيمان والإحسان، والبعث.

المبحث الثاني: الدعوة إلى التزام التشريعات الإسلامية في المعاملات.

المبحث الثالث: الدعوة للالتزام بالأخلاق والآداب الإسلامية.

المبحث الرابع: الدعوة لترك المنهيات والموبقات.

المبحث الخامس: الدعوة للاعتصام بالكتاب والسنة في كل مناحي الحياة.

المبحث السادس: الدعوة إلى الاهتداء بما يزيد الإيمان ويحفظه.

المبحث السابع: الدعوة إلى الاتباع لا الابتداع.

المبحث الثامن: الدعوة إلى إصلاح الغير مع إصلاح النفس.

تمهيد حول أقسام المسلمين
من حيث زيادة الإيمان ونقصانه

تبين لنا أن المدعوين أصناف عدة، وبناء عليه فلا بد من التنوع في مخاطبة كل صنف من أصناف المدعوين، بما يُلزم الداعية بالتعرف على معالم خطاب أصناف المدعوين.

والمدعوون إجمالاً صنفان: المسلمون، الثاني: غير المسلمين.

وهنا سنبين الحديث إجمالاً عن المعالم الأساسية والمنطلقات الدعوية في خطاب المسلمين، ولكن لا بد من الإشارة إلى أن المسلمين من حيث زيادة الإيمان ونقصانه ينقسمون إلى ثلاث أصناف: ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات، كما في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [فاطر: ٣٢].

والمقصود بهذا التصنيف: أمة محمد ﷺ أمّة الإجابة والاتباع؛ قال القرطبي: «والآية في أمة محمد ﷺ»[(١)].

عن أبي الدرداء، رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(قال الله: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾، فأما الذين سبقوا فأولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب، وأما الذين اقتصدوا فأولئك يحاسبون حساباً يسيراً، وأما الظالم لنفسه، فهذا الذي يكشف ويمحص)**[(٢)].

وعن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ أنه قال في هذه الآية: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ٣٤٨.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ١٤/ ٣٨٥ (١١٠٥٢) قال الهيثمي ٧/ ٩٥: (رواه أحمد بأسانيد رجال أحدها رجال الصحيح، وهي هذه وإن كان علي بن عبد الله الأزدي سمع من أبي الدرداء فإنه تابعي). وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٨/ ٨٠، وقال الهيثمي في المجمع ٧/ ٩٦: «فيه سلامة بن روح وثقه ابن حبان، وضعفه جماعة، وبقية رجاله ثقات.

﴿ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢] قال: (هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة، وكلهم في الجنة)(١).

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«**فالظالم لنفسه هو:** المفرط في فعل بعض الواجبات، أو يرتكب بعض المحرمات.

والمقتصد هو: المؤدي للواجبات، التارك للمحرمات، وقد يترك بعض المستحبات، ويفعل بعض المكروهات.

وأما السابق بالخيرات فهو: الفاعل للواجبات والمستحبات، التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات»(٢).

قال ابن القيم: «وهؤلاء كلهم مستعدون للسير موقنون بالرجعّ إلى الله، ولكن متفاوتون في التزود وتعبئة الزاد واختياره، وفى نفس السير وسرعته وبطئه:

فالظالم لنفسه مقصر في الزاد غير آخذ منه ما يبلغه المنزل لا في قدره ولا في صفته، بل مفرط في زاده الذى ينبغي له أن يتزوده، ومع ذلك فهو متزود ما يتأذى به في طريقه، ويجد غب أذاه إذا وصل المنزل بحسب ما تزود من ذلك المؤذي الضار.

والسابق بالخيرات همه في تحصيل الأرباح وشد أحمال التجارات لعلمه بمقدار الربح الحاصل، فيرى خسراناً أن يدخر شيئاً مما بيده ولا يتجر به، فيجد ربحه يوم يغتبط التجار بأرباح تجاراتهم.

والمقتصد اقتصر من الزاد على ما يبلغه، ولم يشدَّ مع ذلك أحمال التجارة الرابحة، ولم يتزود ما يضره، فهو سالم غانم لكن فاتته المتاجر الرابحة وأنواع

---

(١) جامع الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة الملائكة (٣٢٢٥)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وصححه الألباني.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٦/ ٥٤٧-٥٤٨ باختصار وتصرف يسير.

المكاسب الفاخرة»(١).

وقال القرطبي: «تقديم الظالم لنفسه على السابق بالخيرات - مع أن السابق أعلى مرتبة منه -؛ لئلا ييأس الظالم من رحمة الله، وأخر السابق؛ لئلا يعجب بعمله.

وقدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق للإيذان بكثرة الفاسقين وغلبتهم وأن المقتصدين قليل بالإضافة إليهم، والسابقون أقل من القليل»(٢).

وقد قال بعض العلماء أن هذه الآية أرجى آية في كتاب الله، قال العلامة الشنقيطي في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ [فاطر: ٣٢-٣٣].

«فالواو في ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ شاملة للظالم، والمقتصد والسابق على التحقيق، ولذا قال بعض أهل العلم: حق لهذه الواو أن تكتب بماء العينين، فوعده الصادق بجنات عدن لجميع أقسام هذه الأمة، وأولهم الظالم لنفسه يدل على أن هذه الآية من أرجى آيات القرآن، ولم يبق من المسلمين أحد خارج عن الأقسام الثلاثة، ولذا قال بعدها متصلاً بها ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر: ٣٦]»(٣).

وقوله تعالى: «﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ عند ذكر السابق إلى الخيرات؛ لئلا يغتر بعمله، بل ما سبق إلى الخيرات إلا بتوفيق الله تعالى ومعونته؛ فينبغي له أن يشتغل بشكر الله تعالى على ما أنعم به عليه»(٤).

---

(١) طريق الهجرتين ص١٨٦.
(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ٣٤٩.
(٣) أضواء البيان ٥/ ٤٨٩.
(٤) تيسير الكريم الرحمن ٦٨٩.

المبحث الأول

الدعوة إلى أركان الإيمان والإسلام والإحسان والبعث

ومنطلق هذا المبحث حديث جبريل المشهور، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه:

وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله ﷺ: **(الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً)**. قال: صدقت. قال: فعجبنا له يسأله، ويصدقه.

قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: **(أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)**. قال: صدقت.

قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: **(أن تعبدالله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)**.

قال: فأخبرني عن الساعة، قال: **(ما المسئول عنها بأعلم من السائل)**.

قال: فأخبرني عن أمارتها، قال: **(أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان)**.

قال: ثم انطلق فلبثت ملياً، ثم قال لي: **(يا عمر أتدري من السائل؟)**. قلت: الله ورسوله أعلم، قال: **(فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم)**[(١)].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة (٨).

فهذه أمور الدين التي يجب على كل مسلم: الإيمان بها أولاً، ومعرفة مسائلها وكيفية العمل بها، ثم العمل بها، بهذا يستكمل المسلم دينه، ويحفظ آخرته، ويسعد في الدارين.

فـأركان الإيمان تمثل العبـادات القلبية التي لها مقتضيـات عملية، فالإيمان قول وعمل واعتقاد.

أما أركان الإسـلام فهي تمثل العبـادات البدنية والمالية، ولا بد أن تتأسـس على الإيمان بأركان الإيمان الست.

أما مرتبة الإحسان، فهي تمثل درجة عالية من الإيمان، وهي تشمل على مقامين:

الأول: مقام المراقبة وهو أن يعمل العبد على استحضار مشاهدة الله إياه واطلاعه عليـه وقربـه منه، فإذا اسـتحضر العبـد هذا في عملـه وعمل عليه فهـو مخلص لله لأن استحضاره ذلك يمنعه من الالتفات لغير الله.

الثاني: مقام المشاهدة وهو أن يعمل العبد على استحضار مشاهدته لله بقلبه فيتنور القلـب بالإيمان وتنفذ البصيرة في العرفان حتـى يصير الغيب كالعيان، وهذا هو حقيقة الإحسان ويتفاوت أهله فيه بحسب بصائرهم.

والإحسان يوجب الخشية والخوف والهيبة والتعظيم ويوجب أيضاً النصح في العبادة وبذل الجهد في تحسينها وإتمامها وإكمالها، ولا ينفك عن أركان الإيمان والإسلام.

أما الإيمان **بالبعث**، فهو المحرك للعمل، فالذي يؤمن بالآخرة هو الذي يعمل لها في الدنيا، ويستقيم على الإسلام حتى يلقى الله وهو عنه راض.

وهذه الأمور لا يكفي فيها التعليم فقط وإنما تحتاج لتربية وممارسة وتذكير دائم، وليست كلمة تلقى أو درس لشيخ.. وإنما يتم تعلمها والتذكير بها مدى الحياة.

المبحث الثاني

الدعوة إلى التزام التشريعات الإسلامية في المعاملات

الإسلام ليس مقصوراً على عبادة بين العبد وربه، وإنما الإسلام عبودية للخالق، ورعاية للخلق في حدود تشريعات الخالق جلَّ وعلا، يؤجر عليها العبد إذا أحسن وقام بها حق القيام، ويعاقب عليها إن قصَّر أو أخل بها.

فيرتكز الإسلام على العقيدة والشريعة والسلوك معاً، ولا يمكن الفصل بينها، والمسلم لا يكتمل إيمانه ولا يستقيم إلا إذا وافق اعتقاده عمله، فلا يمكن لأي مسلم أن يتخلى عن أي جانب من الجوانب الثلاثة (العقيدة، الشريعة، السلوك) أو يهمله على حساب الآخر، فإنه بها جميعها يصبح الإنسان مؤمناً مسلماً، فالعقيدة تدفع الشخص إلى قبول كل ما يجيء من أحكامٍ وتشريعاتٍ عن الله تعالى، وتجعله يتحلى بمكارم الأخلاق التي جاء بها النبي ﷺ، فهذه الجوانب الثلاثة تحدث توازناً كاملاً لدى الإنسان المسلم، **فهو لا يفرط في حق الله تعالى أو حق نفسه أو حق الناس أو حق المخلوقات الأخرى.**

فالعقيدة بين العبد وربه، والمعاملات بين العبد والخلق، وهذه المعاملات التي لا بد للمسلم أن يتعلمها ويلتزم بها تشتمل على:

١- أداء الحقوق لأهلها مثل حق الوالدين، والأقربين، وحق الزوج والزوجة والأولاد، والجيران، وحقوق المسلمين عامة، بل وحقوق الحيوان والجماد وكل ما حوله.

٢- العلاقات الأسرية من زواج وطلاق، وما يترتب عليهما من واجبات والتزامات تحفظ الحقوق كالتكافل والتناصر، وتحفظ المجتمع.

٣- العلاقات المجتمعية، التي بها صيانة المجتمع، من حفظ النفس والعرض والنسل.

٤- العلاقات والتشـريعات المالية، التي يحفظ الإنسـان بها حق نفسه وحق غيره في المال، وما يقوم مقامه.

٥- العلاقات الدولية، التي تنظم علاقة الدولة الإسلامية بغيرها من الدول.

ومن نماذج التشـريعات التي يجب على كل مسلم تعلمها وتعتبر أساساً لا يمكن التنازل عنه، ما ورد في الوصايا العشـر في سـورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥۖ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١ - ١٥٣].

وكذلـك مـا ورد في وصايا سـورة الإسـراء، قوله تعالـى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ

مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٢٣ – ٣٧].

وفي سورة البقرة وصايا متفرقة، يقول الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ١١٠]، ويقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]، وهو القائل: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]. كذا في جانب العبادات المحضة.

أما في جانب المعاملات والتشريعات، ففي الدماء يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى﴾ [البقرة: ١٧٨].

وفي الوصية يقول الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠].

وفي الجهاد يقول الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وفي الطعام والشراب يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢].

وفي العلاقات الأسرية يقول الله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٦ - ٢٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

وفي المعاملات المالية يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨].

ويفصل تفصيلاً دقيقاً في أحكم الدين وكتابته والإشهاد عليه في أطول آية في القرآن، فيقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وهناك كثير من التوجيهات التشريعية في المعاملات في هذه السورة وفي كل سور القرآن تبين أهمية دعوة المسلمين للالتزام بالدين كله.

المبحث الثالث

الدعوة للالتزام بالأخلاق والآداب الإسلامية

من معالم الدعوة الإسـلامية ومنطلقاتها الدعوة إلى مَكارم الأخلاق ومَعاليها، ووُجوب التحلِّي بها، وذلك لكَوْن الأخلاق مِيزاناً شرعيّاً يُهذِّب الإنسانَ، ويَرقى به إلى مَدارج الإنسانيَّة الفاضلة.

فالمنهج السَّديد في إصلاح الناس وتقويم سُلوكهم، وتيسير سُبل الحياة الطيِّبة لهم، أنْ يَبدَأ الدعاة بإصلاح النُّفوس بتزكيتها وغرْس معاني الأخلاق الجيِّدة فيها[١].

فمن أجلِّ الغايات التي تريد الرسالة الإسلاميَّة تحقيقها أنْ يكون للإنسان خُلقٌ كريمٌ، وسُلوكٌ نظيفٌ، يَلِيق بكرامته كإنسانٍ، ويتَّفق مع ما خُلِقَ له من خِلافةٍ عن الله في الأرض.

إنَّ عنايةَ الإسلام وحِرصَه على تحقيق هذه الغاية الخُلقيَّة النبيلة يُقصَد بها: إيجاد عناصر قويَّة، وأفراد صالحين؛ كي يستطيعوا أنْ يُسهِموا بقلوبهم وعُقولهم في ترقية الحياة وإعلائها، وليكونوا أهلاً لجوار الله ورضوانه فيما وراء هذه الحياة.

إنَّ المثل الأعلى للأفراد: هو الشرف والنزاهة، والاستِعلاء على الهوى والشَّهوة، وعرفان الحق والواجب، والاستمساك بأهداب الفضيلة، والاندِماج في جوٍّ رُوحيٍّ خالصٍ بعيد عن نقائص المادَّة وشوائب الروح، والمثُل العُلَى للجماعة: هي التعاون، والإيثار، والتضحية، وإنكار الذات، والمحبَّة والمودَّة، والصدق والإخلاص، والأمانة، والوفاء، والتسامح، وسلامة الصدر.

---

(١) أصول الدعوة د. عبدالكريم زيدان ص٨٠.

وتحقيق المثَل الأعلى في جانبَيْه يُثمِر الحياة الطيِّبة، ويحقق المجد والسيادة والقيادة، والتمكين في الأرض[(١)].

وفي ذلك يقول النبي ﷺ: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[(٢)]. وفي رواية: **(صالح الأخلاق)**[(٣)].

ولقد كثُرت الآيات القُرآنيَّة والأحاديث والشواهد من السنة المتعلِّقة بموضوع الأخلاق؛ أمراً بالجيِّد منها، ومدحاً للمتَّصفين بها، ومع المدح الثَّوابُ، ونهياً عن الرَّديء منها، وذم المتَّصفين بها، ومع الذم العقابُ.

فقد جاء القرآن والسنة، بالأمر بالوفاء بالعهود والعقود، وحفظ الأيمان، والقول الحسن، وأمر بالعدْل والإحسان في جميع الأحوال وبالنسبة لجميع الناس حتى الكفَّار، وأمر التعاوُن على البِرِّ والتَّقوى وما ينفعُ الناس، والنهي عن التعاوُن على البغي والعدوان، وأمر بالصدق والأمانة، وأنهما من عَلامات الإيمان وثمراته؛ ولهذا أمر الإسلام بهما.

ونهى عن سيء القول، والقول على الله بلا علم، والكذب والافتراء والغيبة والنميمة، والسخرية والاستهزاء، وسوء الظن والتكبر، وكذلك نهى عن مشية التَّبختُر والتمايُل كما يفعَل المتكبِّرون، ونهي عن الإسراف والتبذير والبخل والتقتير، ونهى عن الظُّلم وأنه ظلمات يوم القيامة وعاقبته وخيمة، ونهى عن الكذب وبين أنه رذيلةٌ لا يَنال صاحبُها هداية الله، ويُثمِرُ النِّفاق في القلب.

(١) عناصر القوة في الإسلام د. السيد سابق ص٤٤.
(٢) موطأ مالك ٢/ ٩٠٤(١٦٠٩)، والمستدرك على الصحيحين ٢/ ٦٧٠(٤٢٢١)، والأدب المفرد للبخاري ١/ ١٠٤(٢٧٣)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٤٥).
(٣) مسند أحمد ٢/ ٣٨١(٨٩٣٩) وقال شعيب الأرناؤوط: صحيح وهذا إسناد قوي.

وبين آداب يحسن للمسلم أن يتأدب بها لما فيها من صلاح الفرد والأسرة والمجتمع في الدنيا والآخرة، ومن ذلك آداب النوم والاستيقاظ، ودخول الخلاء والخروج منه، وآداب الطعام والشراب، والاستئذان، والدخول والخروج من المنزل، وآداب الطعام والشراب، والحديث والمجالسة والزيارة، بل حتى آداب عند لقاء الرجل بامرأته.

فإذا طبق المسلم تلك الأخلاق والآداب صلح حاله، وصلح المجتمع كله، وجماع تلك الأخلاق والآداب في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

المبحث الرابع

الدعوة للتوبة وترك المنهيات والموبقات

من المعالم الأساسية في دعوة المسلمين عموماً، دعوتهم إلى الانتهاء عن المحرمات والموبقات، والتوبة إلى الله تعالى.

والمنهيات والموبقات كثيرة، يقول شيخ الإسلام: «أصول المحرمات التي قال الله فيها: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣] مما اتفقت عليه شرائع الأنبياء»[(١)]. «فذكر سبحانه المحرمات الأربع مبتدئاً بالأسهل منها ثم ما هو أصعب من ثم كذلك حتى ختمها بأعظمها وأشدها، وهو القول على الله بلا علم فكيف بالكذب عليه»[(٢)].

وتفصيلها في قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١ - ١٥٣].

---

(١) الجواب الصحيح ٤/ ١٥٦.

(٢) إمداد القاري بشرح كتاب التفسير من صحيح البخاري ص ١٤٨.

وفصَّلها النبي ﷺ كذلك في أحاديث كثيرة، منها قوله تعالى: «**اجتنبوا السبع الموبقات**»، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «**الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**»[(١)].

وبيَّن النبي ﷺ وجوب الكف عن المنهيات تماماً، فقال: «**فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم**»[(٢)].

والمسلم مُطَالَبٌ بمعرفة الحرام لتركه، وعدم الوقوع فيه، يقول حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: «**كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني**»[(٣)].

بل على المسلم أن يتحرى الحلال ويتوقى مقدمات الحرام وطرقه ومداخله، والمشتبهات التي بين الحلال والحرام، لقوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢١].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء: ١٠] (٢٧٦٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها (٨٩).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ (٧٢٨٨)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله مما لا ضرورة إليه (١٣٣٧).

(٣) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة (٣٦٠٦)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن (١٨٤٧).

وقول النبي ﷺ: (**الحلال بين والحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا إن لكل ملك حمى، وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**)[١].

وإذا وقع فيه عليه الانتهاء والتوبة والاستغفار، ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣٨].

ولا يجوز لهم أن يتمادوا في الحرام، لقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

ولا ييأس المسلم من وقوعه في الذنب عدة مرات، وألا ييأس من التوبة ومن مغفرة الله له، لقوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

ولقوله ﷺ: (**والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون، فيستغفرون الله فيغفر لهم**)[٢]، وقال ﷺ يقول: (**كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون**)[٣].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه(٥٢)، ومسلم، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات (١٥٩٩)

(٢) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب سقوط الذنوب بالاستغفار توبة (٢٧٤٩).

(٣) مسند أحمد ٢/ ٣٨١(٨٩٣٩) وقال شعيب الأرناؤوط: صحيح وهذا إسناد قوي.

المبحث الخامس

الدعوة للاعتصام بالكتاب والسنة في كل مناحي الحياة

المطلب الأول: أهمية الاعتصام بالكتاب والسنة.

المطلب الثاني: مقتضيات الدعوة للاعتصام بالكتاب والسنة.

المبحث الخامس
الدعوة للاعتصام بالكتاب والسنة في كل مناحي الحياة

لا شك أن الاعتصام بالكتاب والسنة، والعمل بكل ما ورد فيهما من عقائد وعبادات وتشريعات هو أساس وأصل النجاة في الدنيا والآخرة.

فالاعتصام: الاستمساك بالشيء[١]، ويقال: استعصم: استمسك[٢]، قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ومن اعتصم بالقرآن الكريم فقد اعتصم بالله، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران:]، أي يتوكل عليه ويحتمي بحماه[٣].

فالاعتصام بالكتاب والسنة يعني ثلاثة أمور:

١- تعلم ما في الكتاب والسنة.

٢- العمل بما في الكتاب والسنة وتطبيقه في الواقع وعلى السلوك.

٣- تبليغ ما في الكتاب والسنة ودعوة الناس إليها.

ونبين هذه القضية والدعوة إليها من خلال مطلبين:

---

(١) لسان العرب ١٢/ ٤٠٤، مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني ص٥٦٩.
(٢) مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني ص٥٧٠.
(٣) تيسير الكريم الرحمن ص ١٥٩.

المطلب الأول
أهمية الاعتصام بالكتاب والسنة

الهداية والصلاح والفلاح لمن اتبع القرآن والسنة وتمسك بهما، قال الله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥ - ١٦]، وقال تعالى: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣].

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «تكفّل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه: أن لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة، ثم قرأ هذه الآية»(١).

وأما الأمر بطاعة الرسول ﷺ فقد أمر الله بطاعته في أربعين موضعاً(٢)، كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤].

فالقرآن والسنة أعظم وصايا النبي ﷺ لأمته، فقد قال النبي ﷺ في حجة الوداع: (تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب الله وسنة نبيه)(٣).

ففي حديث عبدالله بن أبي أوفى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حينما سُئل: هل أوصى النبي ﷺ؟ فقال بعد ذلك: (أوصى بكتاب الله)(٤).

ومن ثمرات الاعتصام بالكتاب والسنة الاجتماع وترك الفرقة، قال الله تعالى:

---

(١) مجموع الفتاوي ١٩/ ٧٧.
(٢) مجموع الفتاوي ١٩/ ٨٣.
(٣) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، برقم ١٢١٨، وما بين المعقوفين للحاكم في المستدرك، ١/ ٩٣، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/ ٢١.
(٤) صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب الوصايا (٢٧٤٠)، ومسلم، كتاب الوصية، باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه (١٦٣٤).

﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣]. فأمر بعد الاعتصام بالكتاب بعدم التفرق.

كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (**إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً، ولا تفرقوا، ويكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**)[1].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

والمعنى من سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها محمد ﷺ فصار في شق والشرع في شق عن عَمْدٍ منه بعدما ظهر له الحق، واتّبع غير سبيل المؤمنين فيما أجمعوا عليه، فإنا نجازيه على ذلك[2].

وقد بيّن ذلك النبي ﷺ بقوله: (**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة**)، قيل: من هم يا رسول الله، قال: (**ما أنا عليه وأصحابي**)، وفي لفظ: (**الجماعة**)[3] أي: هم من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي.

وجاءت الأحاديث الصحيحة الكثيرة التي تدل على أن من استمسك بما كان عليه النبي ﷺ كان من الناجين، ومن ذلك حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة السؤال من غير حاجة، والنهي عن منع وهات (١٧١٥).
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ص٣٦١.
(٣) جامع الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة (٢٦٤١)، وسنن أبي داوود، كتاب السنة، باب شرح السنة (٤٥٩٦)، وسنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب افتراق الأمم (٣٩٩٢)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٢/ ٣٦٤.

منهـا القلـوب، فقال قائل: يا رسـول الله كأن هذه موعظـة مودع، فماذا تعهـد إلينا؟ فقال: (أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن عبداً حبشيّاً، فإنه من يعشْ منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسـنتي وسـنة الخلفاء الراشـدين المهديين، تمسّـكوا بها، وعضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل مُحدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة)[(١)].

وحـذر الله تعالـى من ترك الكتاب والسـنة، فقـال تعالى: قـال الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وقـال تعالـى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٤ - ١٢٦].

وقال تعالى فيمن خالف أمر النبي ﷺ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: (... وجُعِلَ الذلّ والصغار على من خالف أمري)[(٢)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (كلّ أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى) قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: (من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى)[(٣)].

قال شـيخ الإسـلام ابن تيمية: «فعلى كل مؤمن أن لا يتكلّم في شيء من الدين إلا تبعاً لما جاء به الرسول ﷺ، ولا يتقدَّم بين يديه، بل ينظر ما قال فيكون قوله تبعاً لقوله،

---

(١) سنن أبي داوود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة (٤٦٠٧)، وجامع الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة (٢٦٧٦)، وغيرهما، قوله: (ذرفت) أي: دمعت، وقوله: (وجلت) أي خافت وفزعت، وقوله: (تعهد) يقال: عهد إليه بكذا: إذا أوصى إليه، وقوله: (وإن عبداً حبشياً) أي: أطع صاحب الأمر، واسمع له وإن كان عبداً حبشياً، فحذف كان وهي مزادة. قوله: (عضوا عليها بالنواجذ) النواجـذ: الأضراس التي بعد الناب، وهذا مثل في شـدة الاستمسـاك بالأمر. قولـه: (محدثات الأمور) أي: ما لم يكن معروفاً في كتاب ولا سنة، ولا إجماع. انظر: جامع الأصول لابن الأثير، ١/ ٢٨٠.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في الرماح تعليقاً قبل حديث (٢٩١٤).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ (٧٢٨٠).

وعملـه تبعاً لأمره، فهكذا كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومن سـلك سـبيلهم مـن التابعين لهم بإحسـان، وأئمة المسـلمين؛ فلهذا لم يكن أحد منهم يعارض النصوص بمعقوله، ولا يؤسِّس ديناً غير ما جاء به الرسول ﷺ، وإذا أراد معرفة شيء من الدين نظر فيما قاله الله والرسول ﷺ فمنه يتعلم، وبه يتكلم، وفيه ينظر، وبه يستدلّ، فهذا أصل أهل السنة»[(١)].

المطلب الثاني
مقتضيات الدعوة للاعتصام بالكتاب والسنة

للدعوة للاعتصام بالكتاب والسنة مقتضيات كثيرة، نبرز هنا أهمها في النقاط التالية:

✧ أولاً: الاعتصام بالكتاب والسنة عند الحكم والتنازع:

لأن الناس يمكن أن يلتزموا بما في الكتاب والسنة فيما يخص العبادات والعقائد، وتجد القصور والغفلة فيما يخص المعاملات، والسلوكيات فيما بينهم.

قال تعالـى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النسـاء: ٥٩].

قال الإمام ابن كثير: «قال مجاهد وغير واحد من السـلف: أي إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهـذا أمر من الله عَزَّ وَجَلَّ بأن كل شـيء تنازع النـاس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسـنة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الشـورى: ١٠]»[(٢)]، وقـال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ [النساء: ٦٥].

---

(١) مجموع الفتاوي ١٣/ ٦٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير٢/ ٣٤٥.

✧ ثانياً: شمول الأخذ بكل ما في الكتاب والسنة:

فالقـرآن الكريم أَمَرَ بالأخذ بكل ما جاء به الرسـول ﷺ، والانتهاء عن كل ما نهى عنه، قال الله ﷻ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[الحشر: ٧].

فالقرآن الكريم والسـنة بيَّن الله للناس فيهما كل شـيء، فهماً المرجع في كل زمان وكل مـكان، وفي كل مـا يحتاجـه الناس في دنياهـم وأخراهم، قـال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩] قال ابن مسعود رضي الله عنه: «قد بيَّن لنا في هذا القرآن كل علم، وكل شيء»[(١)].

وذم الله تعالـى وتوعد من يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض، كما في قوله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾[البقرة: ٨٥].

✧ ثالثاً: الدعوة إلى ترك أقوال الكفار والمنافقين والبعد عنهم:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [الأحـزاب: ١ - ٢].أي: «لا تسـمع منهـم ولا تستشرهم، فالله سبحانه وتعالى أحق أن تتبع أوامره وتطيعه، فإنه عليم بعواقب الأمور، حكيم في أقواله وأفعاله»[(٢)].

وعلى غرار هذا التوجيه يأتي التحذير الدائم من الله تعالى في كتابه العزيز من أعداء الله في مواضع كثيرة من القرآن، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾ [آل عمـران ١٤٩]، وهـذا هـو السـبب في تحذير الله لعبـاده من طاعة الكفـار والمنافقين، فإنهـم يبعدون الناس عن ديـن الله ويوقعونهم في الضلال والخسران والكفر بالله تعالى.

---

(١) المصدر السابق ٤/ ٥٩٤.

(٢) المصدر السابق ٦/ ٣٧٥.

ويبقى ذلك النهي قائماً في كل مكان وزمان، يحذر المؤمنين أن يتبعوا آراء الكافرين والمنافقين إطلاقاً، سواء أمر العقيدة أو التشريع، ليبقى منهجهم من الله، متجهاً إلى الله، غير مشوب بتوجيه من سواه، ولا يتجه لأحد إلا الله.

وبهذا لا ينخدع المؤمن بما يكون عند الكافرين والمنافقين من ظاهر العلم والتجربة والخبرة، فإن الله هو العليم الحكيم، هو الذي اختار للمؤمنين منهجهم، وفق علمه وحكمته، وما عند البشر إلا قشور وقليل.

أما قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴾ فبعد أن نبه الله تعالى على عدم اتباع الكافرين والمنافقين والحذر منهم، بين الله سبحانه وتعالى المصدر الذي يأخذ عباده منه التشريع والتنظيم والحكم، وهو الوحي المنزل على نبينا محمد ﷺ. وهو كتاب الله.

فقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ﴾: بيان أن الوحي من عند الله هو المصدر الحقيق بالاتباع.

فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى رسول الله بنسخة من التوراة، فسكت، فجعل يقرأ ووجه رسول الله يتغير، قال أبو بكر: ثكلتك الثواكل، ما ترى وجه رسول الله ﷺ؟ فنظر عمر إلى وجه رسول الله، فقال: أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله ﷺ، وقال: **(والذي نفس محمد بيده لو بدا لكم موسى فاتبعتموه وتركتموني لضللتم عن سواء السبيل، ولو كان حياً وأدرك نبوتي لاتبعني)**[1].

---

(١) مسند أحمد ٣/ ٣٨٧(١٥١٩٥)، شعب الإيمان ١/ ١٩٩(١٧٦)، مجمع الزوائد ١/ ١٧٣-١٧٤ وله شواهد كثيرة تقويه. وأخرج الألباني رواية جابر بن عبدالله أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض الكتب قال فغضب وقال: (أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية) قال الألباني: حديث حسن إسناده ثقات غير مجالد وهو ابن سعيد فإنه ضعيف ولكن الحديث حسن له طرق أشرت إليها في المشكاة١/ ٨ (١٧٧) ثم خرجت بعضها في الإرواء ٦/ ٣٨.

✧ رابعاً: البعد عن الرأي غير المنضبط بالشرع:

لأن الأخذ بالرأي المجرّد عن الدليل الشرعي يُوصل إلى المهالك؛ ولهذا قال سهل بن حنيف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اتهموا رأيكم، فلقد رأيتني يوم أبي جندل لو أستطيع أن أردّ على رسول الله أمره لرددته، والله ورسوله أعلم»(١). قال الحافظ ابن حجر: «أي لا تعملوا في أمر الدين بالرأي المجرد الذي لا يستند إلى أصل من الدين»(٢).

وقد ذمّ السلف رحمهم الله الرأي المجرد عن الدليل، فعن ابن الأشجِّ عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «إياكم وأصحاب الرأي؛ فإنهم أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها فقالوا بالرأي فضَلُّوا وأَضَلُّوا»(٣).

والحاصل أنه لا يجوز الاعتماد على الرأي، بل يُرجع إلى الكتاب والسنة، أو إلى أحدهما، فإن لم يجد فيرجع إلى الإجماع، فإذا لم يجد الأمور الثلاثة رجع إلى أقوال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فإن وجد قولاً لأحدهم ولم يخالفه أحد من الصحابة، ولا عُرِفَ نص يخالفه، واشتهر هذا القول في زمانهم أخذ به؛ لأنه حجة عند جماهير العلماء، فإذا لم يجد قولاً يحتجّ به من أقوال الصحابة، واحتاج إلى القياس رجع إليه بدون تكلّف، بل يستعمله على أوضاعه، ولا يتعسّف في إثبات العلة الجامعة التي هي من أركان القياس، بل إذا لم تكن العلّة الجامعة واضحة، فليتمسّك بالبراءة الأصلية(٤).

وقال جمهور أهل العلم: الرأي المذموم في الآثار المذكورة هو القول في أحكام شرائع الدين بالاستحسان والظنون، والاشتغال بحفظ المعضلات والأغلوطات، ورد الفروع والنوازل بعضها على بعض قياساً دون ردّها على أصولها من الكتاب أو من السنة(٥).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب حدثنا عبدان (٣١٨١)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية في الحديبية (١٧٨٥).

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر ١٣/ ٢٨٨.

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ١/ ١٣٩ (٢٠١)، سنن الدارمي ١/ ٤٧ (١٢١)، وجامع بيان العلم وفضله، ٢/ ١٠٤١ (٢٠٠١).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى ٢٠/ ١٤، و١٩/ ١٧٦، وإعلام الموقعين ١/ ٣٠، وفتح الباري ١٣/ ٢٨٢.

(٥) فتح الباري ٢/ ١٠٥٤.

المبحث السادس

الدعوة إلى الاهتداء بما يزيد الإيمان ويحفظه

من المعلوم أننا في زمانٍ القابض على دينه كالقابض على الجمر، وحاجة المسلمين إلى زيادة الإيمان مما يعين على الثبات على هذا الإيمان، أما لو ترك الإيمان خاملاً لا يزيد فبلا شك سينقص، حيث إن مغريات الحياة يوماً بعد يوم في زيادة، وأعداء الباطل يوماً بعد يوم يطورون وسائلهم اقتداء بإبليس الذي توعد بني آدم بقوله: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦ – ١٧]. وقوله: ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١١٨ – ١١٩].

ومن هنا فلا بد من دعوة المسلمين إلى ما يزيد في إيمانهم ويقيهم عوامل نقصانه، ومن أهم عوامل زيادة الإيمان التي لا بد من مراعاتها في الدعوة:

➢ أولاً: تعريف المدعوين بالله جل وعلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى:

وذلك لقول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]، ووجه ذلك أن العلماء أعرف الناس بأسماء الله تعالى وصفاته، فاستحضروها في دعائهم وفي جميع شؤون حياتهم حتى كانوا أخشى الناس، والخشية أثر لقوة الإيمان في قلوبهم، وإلا فعلمٌ لا يورث الخشية علمٌ مدخول نسأل الله السلامة والعافية.

ثانياً: حث المدعوين على التأمل في آيات الله الكونية ومخلوقاته جل وعلا:

وذلك لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠ - ١٩١]. فإن العبد إذا تفكر في آيات الله تعالى في هذا الكون عرف عظمة الله تعالى فازداد إيمانه، قال عامر بن عبد قيس: «سمعت غير واحد ولا اثنين ولا ثلاثة من أصحاب محمد ﷺ يقولون: إن ضياء الإيمان أو نور الإيمان التفكر»[(١)].

ثالثاً: حث المدعوين على إدامة قراءة القرآن وتدبره:

ففي قراءته وتلاوته يزداد الإيمان ويدل على ذلك: قول الله ﷻ في وصف المؤمنين الصادقين: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

وكذلك تدبره ففيه أعظم النفع لزيادة الإيمان وأما القلوب الغافلة فلا تتدبره، ويدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، قال ابن القيم رحمه الله: «قراءة آية بتفكر وتفهم خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم وأنفع للقلب وأدعى في حصول الإيمان وذوق حلاوة القرآن»[(٢)].

وقال أيضاً: «فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده، وأقرب إلى نجاته من تدبر

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ١٨٥، الدرر المنثور ٢/ ٤٠٩.

(٢) مدارج السالكين ١/ ٤٥٠.

القرآن، وإطالة التأمل، وجمع الفكر على معاني آياته، فإنها تطلع العبد على معالم الخير والشر بحذافيرها.. وتثبت قواعد الإيمان في قلبه وتشيِّد بنيانه وتوطِّد أركانه»(١).

فإذا تدبر العبد آيات الله تعالى وما فيها من وعد ووعيد وجنة ونار والأعمال التي تسوق إليهما زاد إيمانه ويقينه بوعد ربه ووعيده.

➢ رابعاً: حث المدعوين على الإكثار من ذكر الله تعالى:

وذلك لقول الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢].

فذكر الله ﷻ فيه حياة للقلب فيزداد إيمان العبد كلما أكثر من ذكر ربه، ويموت القلب وينقص إيمان العبد كلما كان بعيداً عن ذكر ربه قال الله تعالى في وصف المنافقين الذين ملأت قلوبهم كفراً وبعداً عن الله تعالى: ﴿وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [النساء: ١٤٢].

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: «لكل شيء جلاء، وإن جلاء القلوب ذكر الله ﷻ»(٢).

➢ خامساً: تربية المدعوين على تقديم ما يحبه الله ورسوله على هوى النفس:

وذلك لقوله ﷺ: **(ثلاث من كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار)**(٣).

قال ابن حجر: «قال البيضاوي: وإنما جعل هذه الأمور الثلاثة عنواناً لكمال

---

(١) المصدر السابق ١/ ٤٨٥.

(٢) شعب الإيمان للبيهقي ١/ ٣٩٦، والوابل الصيب (٦٠).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان (١٦). ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان (٤٣).

الإيمان لأن المرء إذا تأمل أن المنعم بالذات هو الله تعالى، وأن لا مانح ولا مانع في الحقيقة سواه، وأن ما عداه وسائط، وأن الرسول هو الذي يبين مراد ربه، اقتضى ذلك أن يتوجه بكليته نحوه: فلا يحب إلا ما يحب، ولا يحب من يحب إلا من أجله... »[١].

وكذا مما يزيد الإيمان الحب في الله، وكراهة الوقوع في الكفر فيبتعد عن كل ما يهوي به إلى ذلك.

➢ سادساً: تربية المدعوين على حضور مجالس الذكر، ومجالسة الصالحين:

وذلك لقول الله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

وفي حديث حنظلة الأُسيدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت: نافق حنظلة يا رسول الله، فقال ﷺ: (وما ذاك؟) قلت يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة، حتى كأنّا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، نسينا كثيراً، فقال ﷺ: (والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة)[٢].

وقال معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لأحد أصحابه يتذاكر معه: «اجلس بنا نؤمن ساعة»[٣].

---

(١) فتح الباري ١/ ٦١.

(٢) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات والاشتغال بالدنيا (٢٧٥٠).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: (بني الإسلام على خمس) تعليقاً قبل حديث (٨).

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «يا أبا موسى ذكرنا ربنا فيقرأ وهم يستمعون»[١].

سابعاً: تحذير المدعوين من المعاصي:

فلا شك أن اقتراف المعاصي سبب في نقصان الإيمان والبعد عنها ومدافعتها سبب زيادته، حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأي قلب أُشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين، على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة مادامت السموات والأرض، والآخر أسود مُرباداً كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أَشرب من هواه)[٢].

وهكذا المؤمن كلما كان من الفتن والمعاصي أبعد كان حفاظه على سلامة قلبه وازدياد إيمانه أكثر، وكلما تهاون بالذنوب وتعرض للفتن كلما نقص إيمانه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «غض البصر يورث ثلاث فوائد: حلاوة الإيمان ولذته، نور القلب والفراسة... قوة القلب وثباته وشجاعته»[٣].

ثامناً: حث المدعوين على الإكثار من النوافل والطاعات:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ قال الله عز وجل: (وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه)[٤].

---

(١) سنن الدارمي ٢/ ٤٧٢، الطبقات الكبرى لابن سعد ٤/ ١٠٩.
(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً (١٤٤).
(٣) مجموع الفتاوى ١٠/ ٢٥٢.
(٤) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع (٦٥٠٢).

➢ تاسعاً: حث المدعوين على تنوع العبادات والترقي في مراتب الإيمان:

لقول النبي ﷺ: (**الإيمان بضع وسبعون - أو بضع وستون - شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**)(١).

ومن ذلك استحضار النية عند كل عمل، حتى إن العادة لتتحول بالنية الصالحة إلى عبادة، فعن أبي ذر رضي الله عنه، أن ناساً من أصحاب النبي ﷺ قالوا للنبي ﷺ: يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم، قال: (**أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون؟ إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة**) **قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال**: (**أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر**)(٢).

➢ عاشراً: حث المدعوين على زيادة الإيمان وتجديده:

قال رسول الله ﷺ: (**إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب، فاسألوا الله تعالى أن يجدد الإيمان في قلوبكم**)(٣).

وهذا عبدالله بن مسعود رضي الله عنه يقول: (**اللهم زدنا إيماناً ويقيناً وفقهاً**)(٤).

وبضد أسباب زيادة الإيمان يتربى المدعوين على الوقاية من أسباب نقصانه.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان (٣٥).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الكسوف، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف (١٠٠٦).

(٣) المستدرك على الصحيحين ١/ ٥٤ (٥)، وقال: هذا حديث لم يخرج في الصحيحين ورواته مصريون ثقات، وأقره الذهبي، وقال الهيثمي في المجمع ١/ ٥٢: إسناده حسن، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٥٨٥).

(٤) السنة لعبدالله بن أحمد ١/ ٣٦٨ (٧٩٧)، وقال الحافظ في الفتح ١/ ٤٨: رواه أحمد في الإيمان وإسناده صحيح.

المبحث السابع

الدعوة إلى الاتباع لا الابتداع

⌑ أولاً: مفهوم الدعوة للاتباع ونبذ الابتداع:

أي الدعوة إلى «الاهتداء بالكتاب الكريم والسنة النبوية والتأسي بما سار عليه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وبقية السلف الصالح ومن تبعهم بإحسان، وعدم الخروج من هذا المسار»[١].

فحقيقة الاتباع: تصديق النبي ﷺ فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يعارض الأمر والنهي بترخص جاف، ولا بتشدد غالٍ، ولا يحملا على علة توهن الانقياد[٢].

أما البدعة في الاصطلاح العامّ: خلاف السُّنة[٣].

وتطلق على الحدث في الدين بعد الإكمال، وما استحدث بعد النبي ﷺ من الأهواء والأعمال[٤].

ويقول شيخ الإسلام البدعة: ما خالف الكتاب والسنة أو إجماع سلف الأمة من الاعتقادات والعبادات[٥].

وقال الشاطبي البدعة: طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الطريقة الشرعيّة، يقصد

---

(١) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية ١/ ٢٩٧.
(٢) معالم في أصول الدعوة د. محمد يسري ص٥٩.
(٣) التعريفات للجرجاني ص ٥، بصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي ٢/ ٢٣١.
(٤) القاموس المحيط ص ٩٠٦.
(٥) مجموع الفتاوى ١٨/ ٣٤٦.

من السلوك عليها المبالغة في التعبد لله تعالى[١].

«هناك فرق دقيق بين البدع في الدين وهي المذمومة شرعاً، والمصالح المرسلة التي لم يرد دليل على اعتبارها ولا إلغائها فتكون محل نظر، فإذا أدت إلى مصالح خالصة أو راجحة كانت مشروعة وإلا صارت ممنوعة، والوسائل الدعوية من هذا الباب»[٢].

مع التنبيه إلى أن جواز التمذهب بلا تعصب، وتقديم الراجح بدليله بلا تردد، والعالم المنتهي فرضه الاجتهاد، والعامي فرضه التقليد، فمذهبه مذهب من أفتاه»[٣].

⌑ ثانياً: أهمية الدعوة إلى الإتباع ونبذ الابتداع في القرآن:

فالاتباع شرط القبول الثاني بعد تجريد الإخلاص، قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء٥٦].

وقد نهى الله تعالى عن اتباع ما سوى القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت ٥١].

والاتباع سبيل إقامة الأمر، وحصول الأجر، والأمن من الفتنة ومغفرة الوزر، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

---

(١) الاعتصام ١/ ٣٧.

(٢) ينظر: مقال بعنوان: الاتباع لا الابتداع في الدعوة، د. خالد الربيع منشور على موقع الفرقان، باختصار.

(٣) معالم في أصول الدعوة د. محمد يسري ص٦٤ باختصار.

والاتباع دليل محبة الله ﷻ، قال سبحانه وتعالى، ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

والدعوة إلى الاتباع أمر واجب وحتم لازم، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[الأنعام: ١٥٣].

وعن سوار بن عبدالله بن سوار، قال حدثنا أبي، قال: قال سفيان بن عيينة: «ليس في الأرض صاحب بدعة إلا وهو يجد ذلة تغشاه، قال: وهي في كتاب الله، قالوا: وأين هي من كتاب الله؟ قال: أما سمعتم قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأعراف: ١٥٢] قالوا: يا أبا محمد، هذه لأصحاب العجل خاصة قال: كلا اتلوا ما بعدها ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُفْتَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٢] فهي لكل مفتر، ومبتدع إلى يوم القيامة»[(١)].

وقال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة، فقد زعم أن محمداً خان الرسالة. لأن الله تعالى يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة: ٣]. فما لم يكن يومئذ ديناً، فلن يكون اليوم ديناً»[(٢)].

⌑ ثالثاً: أهمية الدعوة إلى الاتباع ونبذ الابتداع في السنة:

قال النبي ﷺ: **(من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)**[(٣)].

وقال النبي ﷺ: **(عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها، وعضوا**

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم ٧/ ٢٨٠.
(٢) الاعتصام للشاطبي ١/ ٤٩.
(٣) صحيح مسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة (١٧١٨).

عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة)[١].

قال القارىء في المرقاة: «**(فعليكم بسنتي)** أي بطريقتي الثابتة عني واجباً أو مندوباً، **(وسنة الخلفاء الراشدين)** فإنهم لم يعملوا إلا بسنتي، فالإضافة إليهم إما لعملهم بها، أو لاستنباطهم واختيارهم»[٢].

قال ابن رجب: «والسُّنة: هي الطريقة المسلوكةُ، فيشمل ذلك التمسُّك بما كان عليه هو وخلفاؤه الرَّاشدون من الاعتقادات والأعمال والأقوال، وهذه هي السُّنةُ الكاملةُ، ولهذا كان السلف قديماً لا يُطلقون اسم السُّنَّةِ إلا على ما يشمل ذلك كلَّه»[٣].

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر)**[٤].

قال المباركفوري: «ليس المراد بسنة الخلفاء الراشدين إلا طريقتهم الموافقة لطريقته ﷺ»[٥].

وقال عمر بن عبدالعزيز: «سنَّ رسولُ الله ﷺ وولاةُ الأمر من بعده سُنناً، الأخذُ بها: اعتصامٌ بكتابِ الله، وقوَّةٌ على دين الله، ليس لأحدٍ تبديلُها، ولا تغييرُها، ولا النظرُ في أمرٍ خالفَها. من اهتدى بها فهو مهتدٍ، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن تركها

---

(١) سنن أبي داوود في كتاب السنة، باب لزوم السنة (٤٦٠٧)، جامع الترمذي، باب ما جاء في الأخذ بالسنة ونبذ البدع (٢٦٦٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٧٣٥).

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للملا علي قارئ ٢/ ٤٦.

(٣) جامع العلوم والحكم لابن رجب ٣/ ١٥.

(٤) سنن ابن ماجه في افتتاح الكتاب، باب فضل أبي بكر (٩٧)، وجامع الترمذي، كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر (٣٦٦٢)، ومسند أحمد ٥/ ٣٩٩(٢٣٤٣٤) قال شعيب الأرناؤوط: حديث حسن بطرقه وشواهده.

(٥) تحفة الأحوذي للمباركفوري ٣/ ٤٠.

-واتَّبع غيرَ سبيل المؤمنين- ولاَّه اللهُ ما تولَّى، وأصلاه جهنَّم وساءت مصيراً»[١].

ومن الأمر بالاتباع والدعوة إليه النهي عن أخذ العلم من غير الكتاب والسنة: فعن جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أتى رسول الله بنسخة من التوراة، فسكت، فجعل يقرأ ووجه رسول الله يتغير، فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ثكلتك الثواكل، ما ترى وجه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فنظر عمر إلى وجه رسول الله، فقال: أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(والذي نفس محمد بيده لو بدا لكم موسى فاتبعتموه وتركتموني لضللتم عن سواء السبيل، ولو كان حياً وأدرك نبوتي لاتبعني)**[٢] وفي رواية **(ما وسعه إلا اتباعي)**[٣].

⌑ رابعاً: أقوال السلف في الدعوة إلى الاتباع والتحذير من البدع:

وعن أُبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «عليكم بالسبيل والسنة، فإنه ما على الأرض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله ففاضت عيناه من خشية ربه فيعذبه الله أبداً، وما على الأرض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله إلا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها فهي كذلك إذا أصابتها ريح شديدة فتحات عنها ورقها إلا حط الله عنه خطاياه، كما تحات عن تلك الشجرة ورقها، وإن اقتصاداً في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة، فانظروا أن يكون عملكم إن كان اجتهاداً أو اقتصاداً أن يكون على منهاج الأنبياء وسنتهم»[٤].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٤/ ١٠٦٧ (٥٩٦٩)، والشريعة للآجري ص ٤٨.

(٢) مسند أحمد ٣/ ٣٨٧(١٥١٩٥)، شعب الإيمان للبيهقي ١/ ١٩٩(١٧٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ١/ ١٧٣-١٧٤ وله شواهد كثيرة تقويه، وأخرج الألباني رواية جابر بن عبدالله أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكتاب أصابه من بعض الكتب قال فغضب وقال: **(أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية)** قال الألباني: حديث حسن إسناده ثقات غير مجالد وهو ابن سعيد فإنه ضعيف ولكن الحديث حسن له طرق أشرت إليها في المشكاة١/ ٨(١٧٧) ثم خرجت بعضها في الإرواء ٦/ ٣٨.

(٣) شعب الإيمان للبيهقي ١/ ١٩٩(١٧٦)، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح ١/ ٣ (١٧٧).

(٤) الزهد لابن المبارك ٢/ ٢١، مصنف ابن أبي شيبة ٧/ ٢٢٤ (٣٥٥٢٦)، حلية الأولياء لأبي نعيم ١/ ٢٥٢.

وعن أسلم المنقري قال: سمعت عبدالله بن عبدالرحمن بن أَبْزَى يحدث عن أبيه قال: لما وقع الناس في أمر عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قلت لأُبيّ بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أبا المنذر، ما المخرج من هذا الأمر؟ قال: «كتاب الله، وسنة نبيه ما استبان لكم فاعملوا به، وما أشكل عليكم فكلوه إلى عالمه»(١).

قال أبانُ: «دخلت على الحسن البصري المسجد، فقلت: هل صليت رحمك الله؟ فقال: لا! قلت: فإن أهل السوق قد صلَّوْا، فقال: ومن يأخذ عن أهل السوق دينَه! إن نفَقت سلعتهم أخَّروا الصلاة، وإن كسدت قدموها»(٢).

وعن الأوزاعي قال: «عليك بآثار من سلف، وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال، وإن زخرفوه لك بالقول، فإن الأمر ينجلي، وأنت على طريق مستقيم»(٣).

وقال الأوزاعي: «اصبر نفسك على السنة وقف حيث وقف القوم وقل بما قالوا، وكف عما كفوا عنه واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما وسعهم، ولا يستقيم الإيمان إلا بالقول ولا يستقيم القول إلا بالعمل ولا يستقيم الإيمان والقول والعمل إلا بالنية موافقة للسنة»(٤).

وعن الأوزاعي، قال: «ما ابتدع رجل بدعة، إلا سلب الورع»(٥).

وقال: «إذا ظهرت البدع ولم ينكرها أهل العلم صارت سُنَّة»(٦).

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم ٣/ ٣٤٣ (٥٣٢١).
(٢) آداب الحسن البصري لابن الجوزي ص٥٤.
(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي ٧/ ١٢٠.
(٤) حلية الأولياء ٦/ ١٤٣.
(٥) سير أعلام النبلاء للذهبي ٧/ ١٢٥، تذكرة الحفاظ للذهبي ١/ ١٣٥.
(٦) التعديل والتجريح للباجي المالكي ١/ ٤٦.

وقال: «إنكم لا ترجعون عن بدعة إلاَّ تعلقتم بأخرى، هي أضرُّ عليكم منها»[(١)].

وقال: «من سمع ببدعة، فلا يحكها لجلسائه، لا يلقها في قلوبهم»[(٢)].

قال الذهبي تعليقاً على قول سفيان: «أكثر أئمة السلف على هذا التحذير، يرون أن القلوب ضعيفة، والشبه خطافة».

⌑ خامساً: تحذير السلف من مجالسة أهل البدع وأخذ العلم عنهم:

قال الحسن البصري: «من وقَّر صاحب بدعة، فقد سعى في هدم الإسلام»[(٣)].

وقال سفيان الثوري: «من أصغى بسمعه إلى صاحب بدعة -وهو يعلم- خرج من عصمة الله، ووكل إلى نفسه»[(٤)].

وقال ابن المبارك: «ليكن مجلسك مع المساكين، وإياك أن تجلس مع صاحب بدعة»[(٥)].

وعن مالك، قال: لا يؤخذ العلم عن أربعة: سفيه يعلن السفه؛ وإن كان أروى الناس، وصاحب بدعة يدعو إلى هواه. ومن يكذب في حديث الناس، وإن كنت لا أتهمه في الحديث. وصالح عابد فاضل إذا كان لا يحفظ ما يحدث به[(٦)].

قال أبو داود: قلت لأبي عبدالله أحمد بن حنبل: أرى رجلاً من أهل السنة مع رجل من أهل البدعة أترك كلامه؟ قال: لا، أو تُعْلِمهُ أنَّ الرجل الذي رأيته معه صاحب

---

(١) ذم الكلام للهروي ٩١٢.
(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ٧/ ٢٦١.
(٣) حلية الأولياء ٥/ ٢١٨.
(٤) حلية الأولياء ٧/ ٣٣، سير أعلام النبلاء للذهبي ٧/ ٢٦١.
(٥) حلية الأولياء ٨/ ١٦٨، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٨/ ٣٩٩.
(٦) سير أعلام النبلاء للذهبي ٨/ ٦٨.

بدعة. فإن ترك كلامه فكلّمه، وإلاّ فألحقه به[١].

المبحث الثامن

الدعوة إلى إصلاح الغير مع إصلاح النفس

الدعـوة إلى إصلاح الخلق مع إصلاح النفس من الواجبات المهمة التي لا بد أن ينتبه لها الدعاة في توجيههم ودعوتهم للمدعوين، فلا يكتفي المدعوين بصلاح أنفسهم بل لا بد أن ينطلقوا بعد إصلاح أنفسهم لإصلاح غيرهم.

وهـذا الأمر منطلقه قـول الله تعالـى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ١ - ٣].

«فبالإيمـان، والعمل الصالح، يكمل الإنسـان نفسـه، وبالتواصي بالحـق، والتواصي بالصبر، يكمل غيره، وبتكميل الأمور الأربعة، يسلم من الخسار، ويفوز بالربح العظيم»[٢].

قال ابن القيم: «وهذا نهاية الكمال. فإن الكمال أن يكون الشخص كاملاً في نفسه، مكمـلاً لغيره. وكماله بإصلاح قوتيه العلمية والعملية. فصلاح القوة العلمية بالإيمان، وصـلاح القـوة العمليـة بعمل الصالحـات. وتكميله غيـره، بتعليمه إيـاه وصبره عليه وتوصيته بالصبر على العلم والعمل»[٣].

وقال الشـنقيطي: «جاء الحـث على التواصي بالرحمة أيضاً مـع الصبر، في قوله تعالى:

(١) طبقات الحنابلة ١/ ١٦٠.

(٢) دورة: مهارات مجالس التدبر، د. محمد الربيعة.

(٣) محاسن التأويل ٩/ ٥٣٦.

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ﴾ [البلد: ١٧]، وبهذه الوصايا الثلاث بالتواصي بالحق، والتواصي بالصبر والتواصي بالمرحمة، تكتمل مقومات المجتمع المتكامل، قوامه الفضائل المثلى، والقيم الفضلى. لأن بالتواصي بالحق إقامة الحق، والاستقامة على الطريق المستقيم، وبالتواصي بالصبر، يستطيعون مواصلة سيرهم على هذا الصراط، ويتخطون كل عقبات تواجههم. وبالتواصي بالمرحمة يكونون مرتبطين كالجسد الواحد، وتلك أعطيات لم يعطها إلا القرآن وأعطاها في هذه السورة الموجزة. وبالله التوفيق»[1].

وقال الرازي: «﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ إشارة إلى التعظيم لأمر الله، وقوله: ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ﴾ إشارة إلى الشفقة على خلق الله ومدار أمر الطاعات ليس إلا على هذين الأصلين، وهذا يدل على أنه يجب على المرء أن يدل غيره على طريق الحق ويمنعه من سلوك طريق الشر والباطل ما أمكنه»[2].

وقال: «صاروا لشدة محبتهم للطاعة لا يقتصرون على ما يخصهم بل يوصون غيرهم بمثل طريقتهم ليكونوا أيضاً سبباً لطاعات الغير كما ينبغي أن يكون عليه أهل الدين.. ففيها وعيد شديد وذلك لأنه تعالى حكم بالخسار على جميع الناس إلا من كان آتياً بهذه الأشياء الأربعة وإنه كما يلزم المكلف تحصيل ما يخص نفسه فكذلك يلزمه في غيره أمور منها الدعاء إلى الدين والنصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن يحب له ما يحب لنفسه ثم كرر التواصي ليضمن الأول الدعاء إلى الله والثاني الثبات عليه والأول الأمر بالمعروف والثاني النهي عن المنكر»[3].

---

(١) أضواء البيان ٩/ ٩٦- ٧٩.

(٢) مفاتيح الغيب ٣١/ ١٧٠.

(٣) المصدر السابق ٣٢/ ٨٤ -٨٥ باختصار.

قال الشيخ ابن عثيمين: «فهم لم يقتصروا على نفع أنفسهم بل نفعوا أنفسهم وغيرهم»[(١)].

فالمقصود التواصي بين العديد من الناس، وهو ترسيخ لقضية الاجتماع على الخير والبر والتقوى.. وفيه معنى التفاعل بين الطرفين، أي أنا أوصيك وأنت توصيني.

فسورة العصر مؤسسة للعلاقات الإيجابية الفاعلة بين المؤمنين بما تضمنته من التواصي بالحق والصبر المبني على الإيمان والعمل الصالح.

وهناك آيات أخرى كثير جمع الله تعالى فيها بين إصلاح النفس وإصلاح الغير منها ومن الآيات كذلك قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، فلا بد من إقامة مجتمع فاعل للخير، معيناً عليه، وصانع الشر فيه يجد مقاومة وخذلاناً.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣] «فمراتب السعادات اثنان: كامل وأكمل. أما الكامل فهو أن يكتسب من الصفات الفاضلة ما لأجلها يصير كاملاً في ذاته. فإذا فرغ من هذه الدرجة، اشتغل بعدها بتكميل الناقصين»[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

قال البقاعي: «حب لأخيك ما تحب لنفسك، تكميلاً لعبادتك، لأنه ما عبدالله أحد ترك غيره يتعبد لغيره.. أي: كل من تقدر على أمره تهذيباً لغيرك شفقة على نفسك،

---

(١) تفسير جزء عم لابن عثيمين ص٣١١.
(٢) محاسن التأويل ٨/ ٣٣٨.

بتخليص أبناء جنسك، توفية لحق الخلق بعد تقديم حق الحق سبحانه»[١].

وقال تعالى: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [التوبة: ٧١].

إن طبيعة المؤمن هي طبيعة الأمة المؤمنة، طبيعة الوحدة والتكافل، والتضامن في تحقيق الخير ودفع الشر.

وقال تعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢].

فجعل الله تعالى ضمن صفات المؤمنين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، «فليس المسلم الحق من يدَّعي أنه يقارع الشيطان ويتقوقع على نفسه مُمَنياً النفس بأنه سيقفز إلى الجنة بغير حساب، بل هو من يتفاعل بإخلاص وحيوية مع بيئته ومجتمعه ليُحدث التغيير المنشود.. فالمسلم لا يعيش في فراغ، وإنما يتواصل مع من حوله باستمرار لأن الشهادة على أعمال البشر ليست لله وللرسول فحسب، بل للآخرين أيضاً، كما قال تعالى: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا﴾[البقرة: ١٤٣].

فالصلاة والصيام والذكر والتسبيح ليست المعيار الوحيد لتقويم صلاح المسلم، وإنما المعيار هو مدى نفع المرء لغيره من الناس»[٢]، وليس أعظم من نفع الناس في دينهم ودلالتهم على الخير والهدى لتصلح أمور دينهم ودنياهم، قال تعالى: ﴿وَمَنۡ

(١) نظم الدرر للبقاعي ٦/ ١٩- ٢٠ باختصار.

(٢) دليل التدريب القيادي ص٣ وما بعدها بتصرف واختصار.

﴿أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

والنبي ﷺ يقول: (**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**)[١]، وعن جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه قال: (**بايعت النبي ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم**)[٢].

قال الشيخ ابن عثيمين «هذه ثلاثة أشياء: حق محض لله، وحق للآدمي محض، وحق مشترك»[٣].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه (١٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه (٤٥).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: (**الدين النصيحة: لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**) (٥٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة (٥٦).

(٣) شرح صحيح مسلم لابن عثيمين ٢/ ٣٩٩.

الفصل الثالث

معالم الخطاب الدعوي لغير المسلمين

ويتضمن ثمانية مباحث:

المبحث الأول: مراعاة مراتب دعوة غير المسلمين.

المبحث الثاني: بيان الاعتقاد السليم.

المبحث الثالث: علاج المخالفات العقدية والأخلاقية السائدة.

المبحث الرابع: عرض محاسن الإسلام.

المبحث الخامس: التعريف بالنبي ﷺ.

المبحث السادس: التعريف بالكتاب المعجز القرآن الكريم.

المبحث السابع: رد الشبه المثارة حول الإسلام.

المبحث الثامن: بيان بطلان وتحريفات الديانات الأخرى.

تمهيد حول مفهوم: (غير المسلمين)

غير المسلمين: هم من لم يؤمن برسالة نبينا محمد ﷺ، أو لم يؤمن بأصل معلوم منها بالضرورة، ويسمون في المصطلح الشرعي (الكفار)، وهم صنفان:

الصنف الأول: غير المسلمين ظاهراً وباطناً، ويسمون «الكفار الصرحاء»، وهم نوعان:

النوع الأول: أصليون: وهم من لم يسبق لهم الدخول في دين الإسلام، وهؤلاء منهم أهل كتاب، ومجوس، وغيرهم؛ ولهم أحكام تختلف بحسب دينهم.

النوع الثاني: مرتدون: وهم من دخل في دين الإسلام ثم خرج منه، سواءً أكان بالغاً حين دخل في دين الإسلام ثم ارتد، أم كان صغيراً وأبواه أو أحدهما مسلمٌ ثم وقع في الكفر بعد بلوغه وثبوت الكفر عليه بشروطه.

الصنف الثاني: من أظهر الإسلام وأبطن الكفر، ويسمون «المنافقين».

وأما من لم يبلغهم دين الإسلام ولم يسمعوا به أبداً، أو بلغهم على وجه لا تقوم به الحجة عليهم كأن يبلغهم مشوهاً، ولم يمكنهم التعرف على الحق والبحث عنه، فهؤلاء يسمون أهل الفترة، يمتحنهم الله في الآخرة والدليل على ذلك قول الله ـ جل وعلا ـ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ١٥﴾ [الإسراء: ١٥].

ولهم أحكام فقهية مفصلة في كتب الفقه الإسلامي في العبادات والمعاملات[(١)].

وأما عن دعوة غير المسلمين فينقسمون إلى: أهل الكتاب، والوثنيين والمشركين، والملحدين.

---

(١) انظر: أحكام التعامل مع غير المسلمين، خالد بن محمد الماجد (٣-٦).

المبحث الأول

مراعاة مراتب دعوة غير المسلمين

ومراتب دعوة غير المسلمين هي الدرجات التي يتبعها الداعي في دعوته لغير المسلمين بحسب ما تقضيه الأحوال[١].

وهو ما يتعلق بأسلوب الدعوة فلا بد من مراعاة هذا الجانب لتأليف قلوبهم إلى الإسلام وتحبيبهم له والأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، قال ابن القيم: «جعل الله مراتب الدعوة بحسب مراتب الخلق فالمستجيب القابل الذكي الذي لا يعاند الحق ولا يأباه يدعى بطريقة الحكمة والقابل الذي عنده نوع غفلة وتأخر يدعى بالموعظة الحسنة وهي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب والمعاند يجادل بالتي هي أحسن»[٢].

فمراتب أسلوب الدعوة لغير المسلمين تكون كما يلي:

○ أولاً: القول اللين:

فقد أمر الله موسى وأخاه هارون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عندما أرسلهما إلى فرعون وملئه بأن يقولا له قولاً ليناً فقال: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [طه: ٤٣ - ٤٤].

والقول اللين هو الكلام الدال على معاني الترغيب والعرض واستدعاء الامتثال،

---

(١) تم تلخيص أفكار هذا المبحث من بحث بعنوان: مراتب دعوة غير المسلمين د. فاطمة بنت صالح الجارد، منشور على موقع صيد الفوائد.

(٢) مفتاح دار السعادة ١/ ١٥٣.

بأن يظهر المتكلم للمخاطب أن له من سداد الرأي ما يتقبل به الحق ويميز به بين الحق والباطل، مع تجنب أن يشتمل الكلام على تسفيه رأي المخاطب أو تجهيله.

ومن اللين في دعوة موسى عليه السلام لفرعون قوله تعالى: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ [النازعات: ١٨ - ١٩].

وكذلك في دعوة إبراهيم عليه السلام، ويظهر ذلك في دعوته لأبيه في قوله: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝٤١ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ۝٤٢ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ۝٤٣ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ۝٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٤١ - ٤٥].

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي: «وقد أمرنا الله باتباع ملة إبراهيم، فمن اتباع ملته، سلوك طريقه في الدعوة إلى الله بطريق العلم والحكمة، واللين والسهولة، والانتقال من رتبة إلى رتبة، والصبر على ذلك، وعدم السآمة منه، والصبر على ما ينال الداعي من أذى الخلق، بالقول والفعل، ومقابلة ذلك بالصفح، والعفو، بل بالإحسان القولي والفعلي»[1].

وسبق ذكر أمثلة تتعلق بالنبي ﷺ مع المشركين.

○ ثانياً: الموعظة الحسنة والترغيب والترهيب:

الموعظة هي: نصحٌ وتذكيرٌ مقترنٌ بتخويفٍ وترقيقٍ[2].

وللموعظة الحسنة أهمية بالغة في الدعوة إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ﴾ [النحل: ١٢٥].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص٤٤٤.
(٢) انظر: وسائل الدعوة ص٥٦.

فالموعظـة هي: المقالة المشـتملة على ما يتفع به السـامع مـن الحجج الإقناعية المؤثرة للتصديق بمقدمات مقبولة[١]، وترجع أهمية الموعظة في الدعوة إلى ما لها من تأثير بالغ في النفوس[٢].

فهي من الأساليب الجيدة في التأثير على المدعو، ولابد للداعي أن يستفيد منها في تبليغ دعوته لغير المسـلمين، والدعوة إلى الله تعالى بالموعظة الحسنة تكون بأسلوبي الترغيب والترهيب.

والترغيـب: هـو كل ما يرغب المدعـو للإذعان، وقبـول الدعـوة، والثبات على الحـق، والأصل فيه: أن يكون في طلـب مرضاة الله ومغفرته، وجزيل أجره في الدارين، ويأتي من خلال أسلوب الترغيب بيان النعيم الذي يعده الله تعالى لمن يؤمن من هؤلاء، فيظهـر الداعية لغير المسـلمين مـا أعده الله تعالى لمن آمن، واتبـع طريق الهداية يقول تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾﴾ [المائدة: ٦٥]، وهذا الأسلوب تمثل في دعوة النبي ﷺ للنصارى وغيرهم، وذلـك حينما كتـب كتاباً للمقوقس ملك مصر قال فيه عليه الصلاة والسـلام: **(أسـلم تسـلم يؤتـك الله أجرك مرتيـن)**[٣]، أما الترهيب: فهـو كل ما يخيـف المدعو من عدم الثبات على الحق، والإذعان له، وعدم اتباع أوامر الله[٤].

والترهيـب: يكـون بالتخويف من عاقبة السـيئات لأنهـا مجلبة لغضـب الله تعالى،

(١) هذا مستفادٌ مما ذكره الشوكاني في فتح القدير ٣/ ٢٨١.
(٢) انظر: وسائل الدعوة ٦٣-٦٥.
(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، باب: جعل لأهل العلم أياماً معلومة رقم ٧٠ (١٢٩).
(٤) انظر: مسـتلزمات الدعوة في العصر الحاضر للشـيخ علي بن صالح المرشد ص١٦٠، وأصول الدعوة زيدان ص٤٢٧.

ويلجأ إليه الداعية لتخويف المدعو من عدم الإذعان للحق، أو البعد عن اتباعه؛ مع علمه به فكما أن الله تعالى غفور رحيم؛ فإنه ﷻ شديد العقاب لمن عصاه قال تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٨﴾ [المائدة: ٩٨]، والداعية إلى الله تعالى ينتقل بحكمته إلى أسلوب الترهيب والتخويف، ويستند على ما جاء في القرآن الكريم مع النصارى وغيرهم؛ حيث جاء تأنيبهم لعدم استجابتهم للحق قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ٧٠﴾ [آل عمران:٧٠]، وجاء الترهيب من عدم اتباع الحق في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ٤٧﴾ [النساء:٤٧]، وخاطب الله سبحانه النصارى مهدداً لهم على لسان عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال تعالى: ﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾ [المائدة:٧٢]، واستعمل النبي ﷺ أسلوب الترهيب مع غير المسلمين فقال ﷺ: **(والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهودي، ولا نصراني، ثم يموت لم يؤمن بالذي أرسلت به؛ إلا كان من أصحاب النار)**[1].

ومنه التهديد:

يكون التهديد إما بالقول أو بالفعل، والتهديد بالقول كما في قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [آل عمران: ٦٣].

وكما في تهديد الرسول ﷺ لهرقل الروم: **(فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ)**[2]

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب: وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس (٢١٨).

(٢) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي (٧)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل (١٧٧٣).

الأريسيين جمع الأريس، قال ابن حجر: الأريس قيل معناها الأكار، أي الفلاح، وقيل معناها الأمين، أي تقال للتابع والمتبوع، والمعنى في الحديث صالح على الرأيين، فإن كان المراد التابع فالمعنى أن عليك مثل إثم التابع لك ترك الدخول في الإسلام، وإن كان المتبوع فكأنه قال فإن عليك إثم المتبوعين، وإثم المتبوعين يضاعف باعتبار ما وقع لهم من عدم الإذعان إلى الحق من إضلال أتباعهم[(١)].

أو تهديد بفعل كتهديد إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ قومه بتكسير أصنامهم في قوله تعالى: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴾ [الأنبياء: ٥٧].

○ ثالثاً: المجادلة:

هي دفع القول على طريق الحجة بالقوة[(٢)]، والأصل فيها قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]؟

والأمر هنا لم يخصص لذا فتكون المجادلة للمسلمين وغير المسلمين، ولكن تختلف لغير المسلمين باختلاف المدعوين.

ومن ذلك مجادلة مدعي الربوبية، كجدال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ للنمرود، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

وفي جدال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لفرعون: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ

(١) فتح الباري لابن حجر ٨/ ١٧٨.
(٢) الجامع لأحكام القرآن ٧/ ٧٧.

وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِى لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣ - ٢٩].

ومن ذلك مجادلة منكري الربوبية، ويكون الجدال معهم لإثبات قدرة الله على الخلق والتدبير والملك والإحياء والإماتة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يَجۡمَعُكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَخۡسَرُ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٖ جَاثِيَةٗۚ كُلُّ أُمَّةٖ تُدۡعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٤ - ٢٨].

وجعل الله لمجادلة أهل الكتاب شرطاً بأن تكون كذلك بالأحسن، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وقد بيَّن القرآن الكريم نموذج هذه المجادلة، ومن ذلك الدعوة إلى كلمة سواء وهي لا إله إلا الله قال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [آل عمران: ٦٤-٦٥]. والآيات بعدها حتى قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَأَنتُمۡ شُهَدَآءُۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [آل عمران:٩٩].

رابعاً: المباهلة:

المباهلة: الملاعنة و الابْتِهَالُ الاسترسال في الدعاء والتضرع فيه[١].

وقد بين القرآن والسنة كيفية المباهلة مع اليهود والنصارى:

فقد كان **اليهود** يزعمون أنهم شعب الله المختار، وأنهم وحدهم الفائزون بمغفرة الله ورضوانه، وأنهم ليس لغيرهم من الأمم في الآخرة عند الله نصيب، وقد نقض الله تعالى تلك الدعاوى الباطلة بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ﴾ [البقرة: ٩٤ - ٩٦][٢].

فكانت المباهلة بالموت لأن الحياة عندهم عزيزة عظيمة لما يعلمون من سوء مآلهم بعد الموت[٣] فامتنعت اليهود من إجابة النبيّ ﷺ إلى ذلك لعلمها أنها إن تمنت الموت هلكت فذهبت دنياها وصارت إلى خزي الأبد في آخرتها[٤].

وقد جاءت دعوة **النصارى** إلى المباهلة عندما قدم وفد من نجران فجعلوا يحاجون في عيسى ويزعمون فيه ما يزعمون من البنوة والإلهية: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١].

---

(١) المفرادت في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص٦٣.
(٢) انظر أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي ص: ٤٤ ـ ٤٥.
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٢٢٠.
(٤) جامع البيان ١/ ٣٣٦.

خامساً: الجهاد والغلظة:

وتكون الغلظة بالقول وبالفعل وهذا الأسلوب يستخدم مع من دُعِيَ بالأساليب السابقة وعاند وجحد ومن هذه الأساليب، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [التوبة ٧٣والتحريم: ٩].

قال القرطبي: «أمر الله نبيه أن يجاهد الكفار بالسيف والمواعظ الحسنة والدعاء إلى الله. والمنافقين بالغلْظة وإقامة الحجة، وأن يعرّفهم أحوالهم في الآخرة»[١].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةً﴾ [التوبة: ١٢٣]، قال القرطبيُّ: «أي: شدة وقوة»[٢]، وقال ابن كثير: أي: «وليجد الكفار منكم غلظة عليهم في قتالكم لهم، فإنّ المؤمن الكامل هو الذي يكون رفيقاً لأخيه المؤمن، غليظاً على عدوه الكافر»[٣]

«أي: ابدءوا بقتال الأقرب فالأقرب إليكم داراً دون الأبعد فالأبعد. وكان الذين يلون المخاطبين بهذه الآية يومئذ الروم، لأنهم كانوا سكان الشام يومئذ، والشام كانت أقرب إلى المدينة من العراق. فأما بعد أن فتح الله على المؤمنين البلاد، فإن الفرض على أهل كل ناحية قتال من وليهم من الأعداء دون الأبعد منهم ما لم يضطرّ إليهم أهل ناحية أخرى من نواحي بلاد الإسلام»[٤]، «وقال قتادة: الآية على العموم في قتال الأقرب فالأقرب، والأدنىٰ فالأدنىٰ»[٥].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢٠١.
(٢) الجامع لأحكام القرآن ٨/ ٢٩٧.
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٤١.
(٤) جامع البيان ١١/ ٥٢.
(٥) الجامع لأحكام القرآن ٨/ ٢٩٧.

المبحث الثاني

بيان الاعتقاد السليم

بيـن القـرآن الكريم أن البدء بالتوحيد هو أسـاس دعوة الرسـل عليهم السلام وهو أول ما يجـب علـى المكلف معرفته، وبناء علـى ذلك فهو أول ما يجب علـى الداعية إلى الله البدء به في دعوة غير المسلمين أيا كانوا.

وهذا الأمر مُسَـلّم به عند أصحاب المنهج السـليم في الدعوة إلى الله، **ولكن يبقى السؤال: كيف أبدأ دعوة غير المسلمين للتوحيد.**

فلتصحيـح الاعتقـاد والبدء بالتوحيد لا بد أن تكون هنـاك رؤية واضحة متدرجة لنبني التوحيد في نفوس المسـلمين الجدد أو المقبلين على الإسلام، بناءً قوياً وأصيلاً، وسنحاول بيان تلك الرؤية من خلال النقاط التالية:

◆ أولاً: التعريف بربوبية الله وبأسمائه وصفاته:

أي لا بـد أولا من غرس حقيقة أن لهـذا الكون خالقا مالكاً عالماً حكيماً ومدبراً، خلق الكون بما فيه و أوجده من العدم، وهذا الخالق هو الله الذي لا إله إلا هو، انطلاقاً مـن قـول الله تعالـى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤] وغيرها من الآيات.

ولأهمية هذا الأمر فقد أخذ نصيباً في القرآن تفصيلاً وإجمالاً؛ لأهمية هذه القضية،

حيث إن القرآن يوقظ الفطرة ويزيل الشبهات والغفلة والإلف، ببيان قدرة الله تعالى في الكون والنفس.

وهذا الأمر له وسائله الكثيرة سواء بعرض آيات الله المتلوة، أو المشاهدة في الكون والنفس، والحث على النظر والتأمل فيها، ومن المهم الاستفادة من جهود العلماء في بيان القرآن والسنة ودلالتهما على معرفة الله فلهم جهود كبيرة في ذلك.

• ثانياً: بيان سبب الخلق والإيجاد:

وهذا انطلاقاً من قول الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

فإذا أدرك العبد أن الله تعالى هو الخالق والمالك والمدبر يبدأ يبحث عن سر خلقه وفائدة إيجاده وهنا سيشعر بقيمته في هذه الحياة وبدوره الذي يجب أن يقوم به لكي يتميز عن البهائم والجمادات.

فالإنسان لم يخُلق عبثاً ولم يترك سُدى، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [الدخان:٣]، بل إن وراء خلقه هدف وحكمة، وهو مراقَبٌ في كل حركاته وسكناته من قبل رب العالمين، ومسؤول عن أعماله وأفعاله أمام الله ﷻ، فيُثاب على الحَسن منها، كما يعاقب على السيئ منها.

• ثالثاً: بيان أن الله الخالق هو صاحب الأمر:

أي: غرس حقيقة أن الله تعالى رسم للإنسان منهج حياته و عرّفه ما يُصلح شأنه ودلّه على ذلك بواسطة الأنبياء و المرسلين الذين هم أنوار الهداية ومصابيح الدُجى،

وهـذا المنهج هو الكفيل بإسـعاد الإنسـان في الحياة الدنيا وفي الآخرة على حدّ سـواء إذا ما سـار عليه الإنسـان والتـزم بتعاليم الأنبياء، انطلاقاً من قـول الله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]، وقوله: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ٢ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢ – ٣].

وفي الحـوار في ذلـك قـول الله تعالـى: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ٥٥ قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٥٦﴾ [الأنبياء:٥٥-٥٦].

حيث إن الإنسـان إذا أدرك أن الله هو الخالق المدبر وعرف سـبب خلقه وتسخير ما في الكون له بدأ يتساءل كيف أصل إلى الله تعالى؟ وكيف أعبده؟

وهنا يأتي دور القرآن والسنة في بيان المنهج الذي لا بد وأن يسير عليه المسلم.

• رابعاً: الأمر بتوحيد العبادة لله وحده والتحذير من الشرك:

والأدلـة علـى ذلك كثيـرة، فقد بيـن الله تعالى في كثيـر من الآيـات أن غاية دعوة الرسـل عليهم الصلاة والسـلام هو الدعوة إلـى التوحيد، ومن تلك الشـواهد القرآنية على سـبيل المثال: قولـه تعالـى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء٢٥]وقولـه: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] قال شـيخ الإسـلام ابن تيمية «فدلَّت الآية على أن التوحيد هو أصل الدِّين الذي لا يقبل الله من الأولين والآخرين ديناً سواه»(١).

وقال رسـول الله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن: **(إنك سـتأتي قوماً**

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١/ ١٥٤.

أهل كتاب فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله..)[١]. وفي رواية: (فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى)[٢].

◆ خامساً: غرس حقيقة البعث والجزاء:

وذلك انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [الحج: ٦ - ٧].

وقوله: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٦ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٦ - ٨].

فالإنسان لا يتلاشى ولا ينتهي بالموت، بل إن حياته سوف تتجدد مرة أخرى في عالم آخر يلي هذا العالم يُسمى بعالم الآخرة، فيُحيى فيها ويحاسب على أعماله، فيثاب أو يعاقب حسب ما قدمه من أعمال فترة حياته في عالم الدنيا.

من هذه النقاط الخمسة وتفصيلاتها تنطلق عملية بناء الاعتقاد السليم وإزالة الاعتقاد الخاطئ، حيث إنه لا يمكن دخول أحد في الإسلام عن قناعة إلا لو تحقق التصور الصحيح لتلك القضايا الأربع، فإذا تمكنت من القلب سهل بعد تلك تحويل هذه العقيدة إلى سلوك يتمثل في عبادة وتشريعات يمكن تطبيقها والثبات عليها.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا (١٤٩٦).
(٢) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى (٧٣٧١) ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (١٩).

المبحث الثالث

علاج المخالفات العقدية والسلوكية السائدة

في هذا العصر مع كثرة الأديان كالنصرانية واليهودية والبوذية والإلحاد، انتشرت كذلك كثير من النظريات كالشيوعية والرأسمالية والوجودية والديمقراطية والليبرالية، والوطنية والقومية، والبراجماتية..، وتتبنى هذه النظريات دول وحكومات واصطبغت المجتمعات بصبغة تلك النظريات، وهذا يتطلب من الداعية دراسة المجتمع الذي يعيش فيه، ومعرفة دينه والنظريات التي يتبناها ليستطيع القيام بالدعوة إلى الإسلام المناقض لتلك النظريات لعلاج تلك المخالفات.

وهذه الطريقة سنة نبوية، فقد كان كل نبي يبعث إلى قومه لتقرير التوحيد بصفة عامة أولاً، وكذلك علاج المشكلة العقدية أو الأخلاقية المنتشرة في مجتمعه، ويتضح ذلك من خلال الشواهد التالية:

ما أثبته القرآن في دعوة أبينا إبراهيم عليه السلام، فقد قام بدعوة ثلاث فئات:

الأولى: قوم انتشرت فيهم الأصنام وتقديسها واتخاذها صناعة، فكان يدعوهم للتوحيد الخالص ويركز في دعوة قومه على علاج هذه المخالفة العقدية قال تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ﴾ [العنكبوت:١٦-١٨]. حتى وصل به الأمر إلى أن كسر تلك الأصنام وجادلهم فيها جدالاً قوياً، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ

ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟
عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ
﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ
بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ [الصافات: ٨٣ – ٩٨].

الثانيـة: قوم عبـدوا الكواكب مـن دون الله، فقـد دعاهم إلى التوحيـد الخالص، وركز على إبطال عبادة الكواكب، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ
لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى
لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ
أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٧٤ – ٧٨].

الثالثة: دعوة من يدعي الربوبية، فقد دعاه إلى التوحيد وركز على إبطال قضية ادعاء الربوبيـة، قـال تعالـى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

ويبرز كذلك في **دعوة شـعيب** عليه السلام، حيث انتشـر في قومه تطفيـف الميزان وأكل أموال الناس بالباطل، فدعاهم للتوحيد، وركز على علاج هذه المشكلة الاقتصادية، قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟
ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾
وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟
فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ

﴿٨٦﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾ [هود: ٨٤ - ٨٧].

وهـذا الأمر غايـة في الأهمية، حيث إن التطفيف في الميـزان ظلم يقع على الناس وخصوصاً الفقراء منهم.

ويـبرز كذلـك في **دعـوة لـوط** عَلَيهِ السَّلَامُ، حيث انتشـر في قومه مـع الشـرك جريمتان؛ الأولى: الفاحشة، والثانية: انتكاسة الفطرة حيث كانت تلك الفاحشة هي إتيان الرجل الرجـل، فقام ﷺ بدعوتهم للتوحيد مع علاج تلـك الجريمة الأخلاقية، قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ ﴾ [الشعراء: ١٦٠ - ١٦٦]. وقـال تعالـى: ﴿ وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ تَجۡهَلُونَ ﴾ [النمل: ٥٤ - ٥٦]، وقال تعالـى: ﴿ وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٍ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢٨].

فمـن الآيات السـابقة تبيـن أن من فظاعـة هذه الجريمـة أن لـوط عَلَيهِ السَّلَامُ كان يبدأ بعلاجها مع التوحيد.

ويبرز كذلك في **دعوة موسـى** عَلَيهِ السَّلَامُ، حيث أرسـل إلى قوم نزل عليهم الظلم، من قبـل طاغية يدعـي الربوبية فبدأ مع دعوتهـم للتوحيد محاولة إزالة ذلـك الظلم عنهم، والتركيز على علاج مشـكلة ادعاء الربوبية، قـال تعالى: ﴿ فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ

فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾
إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا
ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي
كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدٗا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلٗا وَأَنزَلَ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُواْ وَٱرْعَوْاْ أَنْعَٰمَكُمْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي
ٱلنُّهَىٰ﴾ [طه: ٤٧- ٥٤].

ومن تتبع قصص الأنبياء ودعواتهم في القرآن والسنة يلحظ ذلك، فينبغي للداعية أن لا يهمل ذلك من مشروعه الدعوي.

المبحث الرابع

عرض محاسن الإسلام

من معالم الدعوة الأساسية في دعوة غير المسلمين عرض محاسن الإسلام ومقاصده التي تلاقي قبولاً واهتماماً لدى المخاطبين لأهميتها في حياتهم أو لمعاناة من فقدها، مثل: التركيز على عناية الإسلام بالأسرة في المجتمعات المتفككة أسرياً، والتأكيد على مكانة المرأة في الإسلام مقابل المجتمعات التي جعلتها سلعة رخيصة، أو التأكيد على عدل الإسلام أو عنايته بالبيئة أو نظامه الاقتصادي، فلا بد من مراعاة المداخل الأعظم تأثيراً في قلوب الناس واهتماماتهم وثقافاتهم[١].

إن الحديث عن محاسن الدين الإسلامي هو حديث عن مظاهر رحمة الله بعباده، وعرض إجمالي للدين بصورته الواضحة، إذ شرع لهم من الدين أحكاماً وآداباً يسيرة وسمحة وكلها حسن وحكمة بالغة، ولذلك امتنّ الله على المؤمنين بهذه المنة العظيمة إذ يقول: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران:١٦٤].

وإن إبراز هذه المحاسن للمسلمين يثبتهم ويزيد في إيمانهم، وإبرازها لغير المسلمين، من أعظم الوسائل في دعوتهم للإسلام، وذلك لما يلي:

أولاً: يظهر من خلال عرض محاسن الإسلام أن دين الإسلام الذي جاء به محمّد ﷺ هو أكمل الأديان وأفضلها، وقد حوى من المحاسن والكمال والرحمة ما يشهد لله ﷻ بالكمال المطلق، وسعة العلم والحكمة، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾

(١) ينظر: دليل الداعية الفقهي، د. عبدالله باهمام ص٧٣.

[الملك: ١٤] ويشهد كذلك لرسوله ﷺ أنه رسول الله حقاً، وأنه ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣ - ٤].

ثانياً: أن عرض محاسن الإسلام يجذب الخلق ويحببهم إلى هذا الدين ذي المحاسن الجمة، والتي لم ترق إليها البشرية إلا في ظلّ دين الإسلام، وذلك لما يرون من موافقته للمصالح الدينية والدنيوية، ولما فيه من الواقعية والوسطية واليسر مما جعله دين يوافق الفطرة السليمة ويسعى للرقي بها وإبعادها عن الانتكاسة، حيث إن الوعي والإدراك لمحاسن هذا الدين من الوسائل المثبتة والمؤنسة في طريق الهداية.

ثالثاً: أن هذا البيان والإبراز لهذه المحاسن يغني عن التعرض لدفع شبه المعارضين، والطعن في أديان المخالفين، فعند ظهور الحق يضمحل الباطل، وإذا أحييت سنة ماتت بدعة، وإذا علم وعمل الناس بالمعروف وساد بينهم اختفى المنكر، قال تعالى: ﴿ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴾ [الإسراء: ٨١].

رابعاً: أن إظهار محاسن الدين الإسلامي يزيل الحواجز النفسية والثقافية التي تكتنف نظرة الغرب إلى الإسلام والمسلمين، هذه الحواجز التي تعود أسبابها بالدرجة الأولى إلى عدم فهم الإسلام فهماً صحيحاً؛ ومثقفو الغرب وعوامّهم لم تسنح لهم الفرصة الكاملة لفهم الدين الإسلامي عقيدةً وشريعةً بسبب تقصير المسلمين في البيان، وبسبب تقصير الغربيين في البحث والاستقصاء، ولهذا يأتي دائماً حكمهم على الإسلام حكماً جائراً لا يقوم على العلم والعقل والمنطق؛ مما يستدعي المعرفة الصحيحة والفهم الدقيق؛ إذ الحكم على الشيء فرع عن تصوره، ولو بنيت أحكام الغربيين على الإسلام والمسلمين وفق هذا المنهج العلمي لما صدرت منهم تلك الاتهامات الشنيعة للإسلام بأنه دين لا يعرف حقوق الإنسان، ومنها حقوق المرأة،

وأنه دين إرهاب وترويع للآمنين؛ وأن المسلمين أمة من الهمج التي تعشق الدماء وتتنكر للمدنية والحضارة!

والإخلال في بيان محاسن الإسلام سينتج عنه خسارة كبيرة، ويتسبب في حرمان العالم من خير عظيم هم في أمسّ الحاجة إليه وهم يتلمسون المخرج من مشاكلهم العويصة التي يرزحون تحت نيرها وقسوتها من الخواء الروحي، والتفكك الأسري، وانعدام الأمن، وشيوع الفواحش والمنكرات التي حيّرت العقلاء منهم(١)!

«ولكن ينبغي التأكيد على أن بيان محاسن الدين يعتبر وسيلة لتبليغ المقصد الرئيس والرسالة الأولى للرسل عليهم السلام وهي توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة ولذا فينبغي ألا يستغرق فيها المعرف بالإسلام فتشغله عن تقرير الإيمان بالله تعالى أولاً.

وكذلك المبالغة الشديدة في بعض القضايا والمفاهيم الصحيحة قد يحدث اضطراباً في فهم الإسلام لدى المتلقي فينظر إليه من زاوية واحدة برؤية منقوصة تؤثر في قبوله للإسلام أو في امتثاله شرع الله فيما بعد»(٢).

---

(١) لم نتعرض هنا لذكر محاسن الإسلام حيث إن الهدف من هذا المبحث هو لفت النظر إلى أهمية عرض محاسن الإسلام في الخطاب الدعوي المعاصر خصوصاً عند التعريف بالإسلام في الغرب، وسيكون في الباب القادم تفصيلاً لذكر مجموعة من محاسن هذا الدين، وينظر: بحث بعنوان بيان محاسن الإسلام ودوره في بناء الجسور الثقافية بين العالم الإسلامي والغرب بحث مقدّم للمؤتمر العالمي عن العالم الإسلامي والغرب: الحواجز والجسور، إعداد: د. أحمد بن عثمان المزيد، أستاذ قسم الثقافة الإسلامية كلية التربية، جامعة الملك سعود.

(٢) ينظر: دليل الداعية الفقهي، د. عبدالله باهمام ص٧٣- ٧٤ باختصار وتصرف يسير.

المبحث الخامس: التعريف بالنبي ﷺ

ويتضمن أربعة مطالب:

المطلب الأول: التعريف به على أنه بشر مرسل برسالة خاتمة.

المطلب الثاني: التعريف بصفات النبي ﷺ وموافقتها لصفات الأنبياء والرسل قبله.

المطلب الثالث: التعريف بصفاته الخَلْقية والخُلقية ﷺ.

المطلب الرابع: التعريف بمعجزات النبي محمد ﷺ.

المبحث الخامس

التعريف بالنبي ﷺ

التعريـف بالنبي ﷺ من أهم المعالم في دعوة غير المسـلمين وأكثرها تأثيراً، ولذا كان أول عمـل فعلـه الرسـول ﷺ قبل أن يدعو قومـه أن دخل لهم من بـاب معرفتهم الجيـدة بـه حيث قال لهم: **(أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيـلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتـم مصدقي)** قالـوا: نعم ما جربنا عليـك إلا صدقاً، قال: **(فإني نذيـر لكم بين يدي عذاب شديد)**[١] وفي رواية: «أنت عندنا غير متهم، وما جربنا عليك كذباً قط»[٢].

وأكـد هـذا المعنـى جعفر بن أبي طالـب رضي الله عنه عندما دخل على النجاشـي وأراد النجاشـي التعرف على الإسـلام، حيث قال جعفر: **(حتى بعث الله إلينا رسـولاً نعرف نسبه وصدقه، وأمانته وعفافه)**[٣].

وتكمـن أهميـة التعريف بالنبي ﷺ وسـجاياه وصفاته الخلُقيـة والخَلقية لتبصير النـاس بحامل تلك الرسـالة المطبق لها عمليـاً، وإزالة التصـورات المفتراه عليه ﷺ، لتعظيمه والاطمئنان إليه وإلى شرعه ومحبته.

فلا بد من التعريف بشخصيته ﷺ وإبراز شمائله ومكانته في قلوب المسلمين وفي العالم، والتعريف بسـنته وهديه ومآثره العظيمة وإبراز منهاجه في معالجة المشكلات المعاصرة وبيان حقيقـة النبـي محمد ﷺ لغير المسـلمين والتصدي لمحـاولات النيل من شـخصيته ومكانته العظيمة، وكذلك إبراز جوانب الرحمة والسماحة والعدل والخلق الكريم في شخصيته ﷺ.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤](٤٧٧٠).

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ١/ ٢٠٠ ولم أقف على الحكم عليها.

(٣) مسند أحمد١/ ٢٠١ (١٧٤٠)، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن. وقد أوردتها مختصرة.

والتعريف بالنبي ﷺ لا بد وأن يشمل ثلاثة جوانب رئيسة نجملها في أربعة مطالب[(١)]:

المطلب الأول

التعريف به على أنه بشر مرسل برسالة خاتمة

من المهم جداً عند التعريف بالنبي ﷺ الربط بين بشريته ورسالته الخاتمة، حتى لا يقع الغلو فيه أو التفريط في حقه، أو ادعاء أحد شيئاً من خصائصه.

فمن أخطر ما تعرضت له كتابات العصريين عن النبي ﷺ إبرازهم لبعض الصفات بعيدا عن كونه رسولاً، كمن وصفه بالعبقرية كما في كتاب العقاد، أو بطل الحرية في كتابات عبدالرحمن الشرقاوي، أو بالقائد العسكري أو بالمصلح الاجتماعي.. إلخ.

وهذه مسمياتٌ تحجب القارئ عن الصفة البارزة والمهمة الأساسية وهي (النبوة) المؤيدة بالوحي، بل إن أحدهم ألف كتاباً سماه «عظماء في التاريخ» وجعل أولهم نبينا محمد ﷺ[(٢)]. وضم الكتاب أسماء أرسطو، وبوذا، وكونفوشيوس، وهتلر، وأفلاطون، وذرادشت.

نعم. لقد كان رسول الله ﷺ عظيماً، توفرت فيه هذه الصفات وغيرها! ولكن لا بد من التركيز على النبوة أولاً وإبرازها في كل تعريف، أو وصفٍ للرسول ﷺ؛ لأن دراسة حياة النَّبيِّ ﷺ تحت أي اسم من شأنها أنْ تعجز عن استيفاء جوانب هذه الشخصية العظيمة، وليس ثمة غير منهجٍ واحدٍ هو أنه نبيٌّ مرسلٌ من قبل الله -تبارك وتعالى-، فإن هذا الفهم وحده هو الذي يكشف عن الحقائق الناصعة، ويكشف عن صفحات السمو والكمال الخلقي والعقلي والنفسي.

---

(١) هنا سنبرز مجموعة من الأدلة الجامعة لإبراز هذا المطلب فقط، ويمكن الرجوع للكتب المتخصصة في ذلك ككتاب زاد المعاد، والشمائل المحمدية، وكتاب نضرة النعيم في أخلاق سيد المرسلين.

(٢) ألف هذا الكتاب عالم الفلك والرياضيات والمؤرخ «مايكل هارت»، لقد قام بالبحث في التاريخ عن الرجال الذين كان لهم أعظم تأثير على البشر، وقد ذكر في هذا الكتاب أكثر من مائة رجل.

ومن الآيات الجامعة في ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٤٥ - ٤٦]. وقال تعالى: ﴿قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا﴾ [الإسراء: ٩٣]، وقال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا﴾ [الإسراء: ١]. وقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وقول النبي ﷺ: **(لا تطروني، كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا عبدالله، ورسوله)**[1].

فكل هذه الأدلة وغيرها تبين أن النبي ﷺ عبدالله ورسوله، أرسله الله تعالى برسالة وبمهمة خاصة وهي هداية الناس إلى الله تعالى وإخراجهم من عبادة غير الله إلى عبادة الله تعالى.. ولهذا لا بد أن يُعرَّفَ بالنبي ﷺ.

المطلب الثاني

التعريف بصفات النبي ﷺ وموافقتها لصفات الأنبياء والرسل

ويتضح هذا الأمر من خلال الحوار الذي دار بين هرقل وأبي سفيان قبل إسلامه، حيث قال هرقل لأبي سفيان بعدما أجابه عن كثير من الأسئلة عن النبي ﷺ وأبو سفيان يومئذ غير مسلم: «**سألتك** عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تُبْعَثُ في نسب قومها.

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا﴾ [مريم: ١٦] (٣٤٤٥).

وسألتك هل قال أحدٌ منكم هذا القول، فذكرت أن لا، فقلت: لو كان أحدٌ قال هذا القول قبله، لقلت رجل يأتسي بقولٍ قيل قبله.

وسألتك هل كان من آبائه من ملكٍ، فذكرت أن لا، قلت فلو كان من آبائه من ملكٍ، قلتُ: رجلٌ يطلب ملك أبيه.

وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله.

وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم، فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل.

وسألتك أيزيدون أم ينقصون، فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم.

وسألتك أيرتد أحدٌ سخطةً لدينه بعد أن يدخل فيه، فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب.

وسألتك هل يغدر، فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر.

وسألتك بما يأمركم، فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين»[(١)].

فهذه الرواية تبين أن صفات النبي ﷺ هي صفاتٌ متفقٌ عليها بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في كل الشرائع.. فإذا عرف غير المسلمين ذلك كان سبباً في قربهم من الإسلام خصوصاً وأن صفات النبي ﷺ موجودة في كتبهم، كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ؟ (٧)، ومسلم، كتاب المغازي، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل (١٧٧٣).

﴿يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

المطلب الثالث

التعريف بصفاته الخَلْقية والخُلقية

ومن الآيات الجامعة في ذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

ومن الآثار الجامعة في ذلك ما ثبت في وصف أم معبد[١] لرسول الله ﷺ في حادثة الهجرة، حيث وصفت رسول الله ﷺ لزوجها فقالت: «مر بنا رجل مبارك..»، قال: صفيه لي يا أم معبد قالت: رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة[٢]، أبلج الوجه[٣]، حسن الخلق، لم تعبه

---

(١) أم معبد: هي: عاتكة بنت خالد الخزاعية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، صحابية مشهورة بكنيتها، لها حديثان. ينظر: الإصابة ٨/ ٢١٨، ٢٨٢.

(٢) ظاهر الوضاءة: الْوَضَاءَة النَّظَافَة وَالْحسن وَمِنْه قيل فلَان وضيء الْوَجْه أَي نظيفه وَحسنه تعنى أنه ظاهر الجمال والحسن، ينظر: غريب الحديث لابن قتيبة ١/ ١٥٣.

(٣) أبلج الوجه: مشرق الوجه مسفرة. ينظر: النهاية في غريب الحديث مادة «بلج» ١/ ١٥١.

ثجلة[١]، ولا تزر به صعلة[٢]، وسيم[٣] قسيم[٤]، في عينيه دعج[٥]، وفي أشفاره وطف[٦]، وفي صوته صحل[٧]، وفي عنقه سطع[٨]، وفي لحيته كثاثة[٩]، أزج[١٠]، أقرن[١١]، إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلم سما[١٢] وعلاه البهاء[١٣]، أجمل الناس وأبهاه من بعيد، وأحلاه وأحسنه من قريب، حلو المنطق[١٤]، فصل[١٥] لا هذر[١٦] ولا نزر[١٧]، كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن، ربع[١٨]، لا تشنؤه من طول[١٩]، ولا تقتحمه العين من قصر[٢٠] غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظراً، وأحسنهم قدراً، له رفقاء يحفون به، إن قال استمعوا

---

(١) الثجلة: ضخم البطن، أي ليس بضخم البطن. المصدر السابق ١/ ٢٠٨.
(٢) لا تزر به الصعلة: صغر الرأس وهي أيضاً الدقة والنحول في البدن، وهي تعني أنه لا يعاب بالدقة والنحول في البدن. ينظر: المصدر السابق ٣/ ٣٢.
(٣) وسيم: المشهور بالحسن كأنه صار الحسن له سمة، ينظر: المصدر السابق ٥/ ١٨٥.
(٤) قسيم: القسامة: الحسن. ورجل مقسم الوجه: أي جميل كله، كأن كل موضع منه أخذ قسماً من الجمال. ينظر: المصدر السابق ٤/ ٦٣.
(٥) الدعج: شدة سواد العين في شدة بياضها. المصدر السابق مادة ٢/ ١١٩.
(٦) في أشفاره وطف: في شعر أجفانه طول. ينظر: المصدر السابق مدة ٥/ ٢٠٤.
(٧) في صوته صحل: بالتحريك كالبحة وأن لا يكون حاد الصوت. ينظر: المصدر السابق ٣/ ١٣.
(٨) سطع: ارتفاع وطول. ينظر: المصدر السابق ٢/ ٣٦٥.
(٩) كثاثة: أي كثيف اللحية. وكثت اللحية تكث كثثاً، ينظر: لسا ن العرب ٢/ ١٧٩.
(١٠) أزج: تقوس في الحاجب مع طول في طرفه وامتداد. ينظر: النهاية ٢/ ٢٦٩.
(١١) وأقرن: أي مقرون متصل الحاجبين، ينظر: المصدر السابق ٤/ ٥٤.
(١٢) سما: أي ارتفع وعلا على جلسائه. والسمو: العلو. ينظر: المصدر السابق ٢/ ٤٠٥.
(١٣) البهاء: المباهاة: المفاخرة، ينظر: المصدر السابق ١/ ١٦٩. أي: إذا تكلم عليه الفخر.
(١٤) حول المنطق: أي حلو الكلامُ. ينظر: الصحاح ٤/ ١٥٥٩.
(١٥) فصل: أي بين ظاهر، يفصل بين الحق والباطل، ينظر: النهاية، ٣/ ٤٥١.
(١٦) لا هذر: الهذر: الكثير، أي ليس كثير الكلام، ينظر: المصدر السابق ٥/ ٢٥٦.
(١٧) نزر: النزر: القليل. أي ليس بقليل الكلام فيدل على عي، ينظر: السابق ٥/ ٤٠٤٠.
(١٨) الربعة: بين الطويل والقصير يقال ربعة ومربوع. ينظر: المصدر السابق: ٢/ ٦٢.
(١٩) ولا تشنؤه من طول: لا يبغض لفرط طوله. ينظر: المصدر السابق: ٢/ ٢٣٧.
(٢٠) لا تقحمه عين من قصر: لا تتجاوزه إلى غيره احتقاراً له. المصدر السابق: ٣/ ٢٣١.

لقوله، وإن أمر تبادروا إلى أمره، محفود[١]، محشود[٢]، لا عابس[٣] ولا مُفنَّد[٤]»[٥].

وعن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: **(كان أحسن الناس خلقاً، لم يكن فاحشاً، ولا متفحشاً[٦]، ولا صخاباً[٧] بالأسواق، ولا يجزئ بالسيئة مثلها، ولكن يعفو ويصفح)**[٨]، وقالت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عندما سئلت عن خلقه ﷺ: **(كان خلقه القرآن)**[٩]. «وَمَنْ تَخَلَّقَ بِأَوَامِرِ الْقُرْآنِ أَوْ نَوَاهِيهِ كَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقاً»[١٠].

فقد كان النبي ﷺ أحسن الناس خَلْقاً وخُلُقاً، وألينهم كفّاً، وأطيبهم ريحاً، وأكملهم عقلاً، وأحسنهم عشرة، وأعلمهم بالله وأشدهم له خشية، وأشجع الناس، وأكرم الناس، وأحسنهم قضاء، وأسمحهم معاملة، وأكثرهم اجتهاداً في طاعة ربه، وأصبرهم وأقواهم تحمّلاً، وأخشعهم لله قلباً، وأرحمهم بعباد الله تعالى، وأشدهم حياء، ولا ينتقم لنفسه، ولا يغضب لها؛ ولكنه إذا انتُهِكت حرمات الله، فإنه ينتقم لله تعالى، وإذا غضب لله لم

(١) محفود: المحفود: الذي يخدمه أصحابه ويسرعون في طاعته، ينظر: المصدر السابق١/ ٤٠٦.
(٢) محشود: الحشد: الجماعة. واحتشدوا لفلان: تجمعوا له وتأهبوا، ينظر: المصدر السابق ١/ ٣٨٨.
(٣) عابس: العابس: الكريه الملقى، الجهم المحيا، ينظر: المصدر السابق ٣/ ١٧١.
(٤) لا عابس ولا مفند: ليس عابس الوجه ولا مفند: ليس منسوباً إلى الجهل وقلة العقل.
(٥) دلائل النبوة لأبي نعيم ١/ ٣٣٧ (٢٣٨)، ودلائل النبوية للبيهقي ١/ ٢٨٧، والمعجم الكبير للطبراني ٤/ ٥٥، والمستدرك على الصحيحين ٣/ ٩، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ،وقال ابن كثير في البداية والنهاية٣/ ٢٣٣: وقصتها – أي أم معبد- مشهورة مروية من طرق يشد بعضها بعضاً.
(٦) فاحشاً ولا متفحشاً: الفاحش: ذو الفحش في كلامه وفعاله. والمتفحش: الذي يتكلف ذلك ويتعمده، ينظر: النهاية في غريب الحديث٣/ ٤١٥.
(٧) صخاباً: الصَخَبُ: الصِياح والجَلَبَةُ، ينظر: الصحاح مادة «سخب»١/ ١٦٢.
(٨) مسند أحمد ٤٣/ ١٣١ (٢٥٩٨٩)، صحيح ابن حبان ١٤/ ٣٥٥ (٦٤٤٣)، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح، ورجاله ثقات.
(٩) مسند أحمد ٤١/ ١٤٨ (٢٤٦١٠)، قال شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح.
(١٠) المنتقى في شرح الموطأ للإمام سليمان بن خلف الباجي ٧/ ٢١٣.

يقـم لغضبـه أحد، القوي والضعيف، والقريب والبعيد، والشـريف وغيـره عنده في الحق سـواء، وما عاب طعاماً قط إن اشـتهاه أكله، وإن لم يشتهه تركه، ويأكل من الطعام المباح ما تيسـر ولا يتكلـف في ذلك، ويقبل الهدية ويكافئ عليهـا، ولا يقبل الصدقة، ويخصف نعليه، ويرقع ثوبه، ويخدم في مهنة أهله، ويحلِبُ شـاته، ويخدِمُ نفسـه، وكان أشد الناس تواضعـاً، ويجيـب الداعي: من غني أو فقير، أو دنيء أو شـريف، وكان يحب المسـاكين ويشـهد جنائزهم ويعود مرضاهـم، ولا يحقر فقيراً لفقره، ولا يهاب مَلِـكاً لِمُلْكِهِ، وكان يركـب الفـرس، والبعير، والحمار، والبغلـة، ويردف خلفه، ولا يدع أحداً يمشـي خلفه. وخاتمه فضة وفصه منه، يلبسـه في خنصره الأيمن وربما لبسـه في الأيسـر، وكان يعصب على بطنه الحجر من الجوع، وقد آتاه الله مفاتيح خزائن الأرض، ولكنه اختار الآخرة[(١)].

فهذه نماذج لبعض من صفاته ﷺ يمكن من خلالها التعريف به ﷺ.

المطلب الرابع

التعريف بمعجزات النبي محمد ﷺ

مـن أعظـم دلائل النبوَّة مـا يؤتيـه اللهُ تعالى أنبيـاءَه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ من معجـزات[(٢)] تخرق

(١) جمـع هذه الصفات ورتبها هذا الترتيب الجميل، الشـيخ سـعيد بن وهف القحطـاني في خطبة جمعة، وكل هذه الصفات وغيرها لها أدلتها الثابتة عن النبي ﷺ ينظر إليها في كتب السنة تركتها لعدم التطويل، ويمكن الرجوع لكتاب الشـمائل المحمدية لشـيخ الإسـلام ابن تيمية، وكذلك كتـاب نضرة النعيم في مكارم أخلاق سيد المرسلين وهو من الموسوعات المعاصرة في ذلك.

(٢) الإعجاز: مشتق من العجز. والعجز: الضعف أو عدم القدرة، وهو مصدر أعجز بمعنى الفوت والسبق. ينظر: لسان العرب مادة «عجز» ٥/ ٣٧٠. والمعجزة في اصطلاحاً: «أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم من المعارضة». ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٩٦، وفتح الباري ٦/ ٥٨١.

العادات، وتعطِّل نواميس الكون وسننه، ويعجز عن فعلها سائر الناس؛ وذلك تأييداً لهذا الذي أكرمه الله بالنبوة أو الرسالة، وتكريماً له، وشاهداً وبرهاناً على صدق ما جاء به من البيِّنات والهدى.

وقد أكرم الله تعالى نبيَّه ﷺ بألوان متعدِّدة من المعجزات التي أجراها على يديه تأييداً لرسالته، ودفعاً لمن شاهدها إلى التصديق بنبوَّته، وهي من الآيات الباهرة والدلالات الواضحة على صدقه ﷺ.

فقد جرت سنة الله تعالى أن يظهر على يد كل نبي من أنبيائه معجزة من جنس ما برع فيه قومه حتى يكون تحديه لهم فيما يعرفون وفيما يتقنون ليكون التحدي أعظم وأشد، فجاءت معجزة محمد ﷺ وقد تفوق قومه في البيان والفصاحة والبلاغة فجاءت معجزته ﷺ من جنس ما برع فيه قومه فأنزل الله القرآن وأعجزهم ولم يستطيعوا الإتيان بمثله أو بعضه.

ولذا فقد ظهر كذابين ادعوا النبوة ولم يستطيعوا أن يبرهنوا على نبوتهم، فافتضح أمرهم كمسيلمة الكذاب، والأسود العَنْسِيِّ، والمختار بن أبي عبيد الثقفي.. وغيرهم.

فالقرآن أعظم معجزة للنبي ﷺ حيث قال: **(ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة)**[1].

وطالما أن القرآن هو معجزة النبي الخاتم ﷺ فهي تخاطب كل زمان ومكان فأوجه إعجازه لا تقتصر على بيانه ولغته بل على ما شمل من كثير من أوجه الإعجاز

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل برقم (٤٩٨١)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد برقم (١٥٢).

كالأعجاز التشريعي والعملي والغيبي والتأثيري وغيرها من أوجه الإعجاز.

ومع التنبيه أن معجزة القرآن مع أنها كانت أعظم معجزة فهي ليس المعجزة الوحيدة بل كانت هناك معجزات أخرى شاهدها قومه كانشقاق القمر، وانفجار الماء من بين أصابعه ﷺ، وتكثير الطعام القليل ونحو ذلك[1].

(١) ألف الإمام البيهقي كتاباً بعنوان دلائل النبوة وكذلك أبو نعيم، جمع كل واحد منهما في كتابه مجموعة كبيرة من الدلائل على نبوته ﷺ، وكذلك ألف شيخ الإسلام كتاب النبوات يمكن الرجوع إليه.

المبحث السادس
التعريف بالقرآن الكريم

ويتضمن ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: القرآن هو المعجزة الخاتمة لنبينا محمد.

المطلب الثاني: ظهور أثر القرآن على من عرفه.

المطلب الثالث: القرآن منهج حياة.

المبحث السادس

التعريف بالقرآن الكريم

بما أن القرآن الكريم هو معجزة الرسول الخاتم ﷺ فلا بد من تعريف غير المسلمين به وهذا أمر رباني أمر الله تعالى به نبيه ﷺ وذلك في آيات كثيرة من القرآن منها قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦].

فقوله: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ أي: «يتدبره، ويطلع على حقيقة الأمر»[(١)]. وقيل: «لأجل أن يسمع كلام اللّه، وينظر حالة الإسلام»[(٢)].

وأهمية تعريف غير المسلمين بالقرآن تبرز في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول

القرآن هو المعجزة الكبرى لنبينا محمد ﷺ

تحدى الله تعالى البشر جميعاً من مبعثه إلى يوم القيامة بأن يأتوا بمثل هذا القرآن فقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٣ - ٢٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان ٥/ ٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص٣٢٩.

وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس: ٣٧-٣٩].

وقال تعالى: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [هود: ١٣-١٤].

وقال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا﴾ [الإسراء: ٨٨].

وقال تعالى: ﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبٖ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمَآ أَتَّبِعۡهُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٤٩-٥٠].

وقال تعالى: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ بَل لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ﴾ [الطور: ٣٣-٣٤].

يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: «لما صرح تعالى هنا بأن هذا القرآن ما كان أن يفترى على الله، أقام البرهان القاطع على أنه من الله، فتحدى جميع الخلق بسورة واحدة مثله، ولا شك أنه لو كان من جنس كلام الخلق لقدر الخلق على الإتيان بمثله، فلما عجزوا عن ذلك كلهم حصل اليقين والعلم الضروري أنه من الله جل وعلا»[(١)].

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي ٢/ ١٥٦.

المطلب الثاني

ظهور أثر القرآن على من عرفه[(١)]

فقد كان للقرآن دور كبير في دخول كثير من الناس في الإسلام فهذا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أسلم عندما سمع آيات من القرآن وقال: «ما أحسن هذا الكلام وأكرمه.. - وقال-: فلما سمعت القرآن رق له قلبي، فبكيت ودخلني الإسلام»[(٢)].

وهذا أسيد بن حضير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وسعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يسلمان على يد مصعب بن عمير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقط عند سماعهما للقرآن، فيقول أسيد: «ما أحسن هذا الكلام وأجمله»، وقال الناس لما شاهدوا وجه سعد بعد قراءة مصعب عليه: «فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم في إشراقه وتهلله»[(٣)].

بل إن من عاند وكابر منهم لما سمع القرآن وعرفه؛ جعل يصف القرآن بأوصاف تعبر عن مدى دور معرفة القرآن في دخول الناس في الإسلام، فهذا الوليد بن المغيرة يقول لما سمع القرآن من رسول الله ﷺ: «إن لقوله الذي يقول حلاوة[(٤)]، وأن عليه

(١) ينظر: بحث بعنوان أثر تدبر القرآن في التعريف بالإسلام، د. عبدالرحمن جويل بحث مقدم للمؤتمر العالمي الأول للتعريف بالإسلام في دولة قطر في الفترة من ٢٣- ٢٦/ ٨/ ١٤٣٤هـ. ففيه كثير من النماذج في هذا الموضوع.

(٢) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام١/ ٣٤٣- ٣٤٤، ودلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٢٢٠-٢٢١، والسيرة النبوية لابن كثير ٢/ ٣٥، والمستدرك على الصحيحين للحاكم ٤/ ٦٥ (٦٨٩٧)، وفضائل الصحابة للإمام أحمد واللفظ له ١/ ٢٧٩، ومجموع روايات هذه القصة يثبت أن لها أصلاً وإن كان في إسنادها ضعف.

(٣) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام١/ ٤٣٦، والسيرة النبوية لابن كثير٢/ ١٨٢ باختصار.

(٤) حلاوة: قد تكون الْحَلَاوَة بالذوق وَالنَّظَر وَالْقلب. ينظر: جمهرة اللغة مادة «حلو» ١/ ٥٧. فهو تعبير يوحي بالجمال والتذوق والتلذذ بالقرآن، فهو شهي جذّاب للنفوس، جلاّب للميول، خلاّب للعقول، ترتاح إليه الأرواح. كما قال ﷺ: **(ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان..)** قال ابن حجر: «حلاوة الإيمان: استلذاذ الطاعات» ينظر: فتح الباري١/ ٦١.

لطلاوة[١]، وأنه لمثمر أعلاه، مغدق[٢] أسفله، وأنه ليعلو وما يعلى عليه»[٣].

وكذلك الطفيل بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أسلم عند سماع القرآن من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويقول: «فسمعت كلاماً حسناً.. فوالله ما سمعت قولاً قط أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه فأسلمت»[٤].

المطلب الثالث

القرآن منهج حياة

الإسـلام الذي هو ديـن الله منهجُ حياةٍ، والقرآن الذي هو كتاب الله ودسـتور هذا الدين منهجُ حياةٍ، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣].

لا بد من التعريف بالقرآن لأنه يمثل منهج الإسلام الشامل الكامل لكل احتياجات البشـر الدينية والإجتماعيـة والأخلاقية والنفسـية والاقتصادية، بواقعية تسـاير الواقع واحتياجات البشرية في كل زمان ومكان، بسهولة ويسر وتدرج،

قال الشـافعي: «فليسـت تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليلُ على سبيل الهدى فيها»[٥].

(١) طلاوة: الحسن والبهجة والقبول، أي رونقاً وحسناً. ينظر مادة «طلي»: لسان العرب ١٥/ ١٤.
(٢) مغدق: الغَدَق المطر الكثير العامّ، ينظر: لسان العرب مادة «غدق» ١٠/ ٢٨٣. ويريد أنّ القرآن كشجرة كبيرة، غصونها مليئة بالثمار وجذورها مستحكمة واسعة الانتشار في أعماق الأرض.
(٣) المستدرك على الصحيحين ٢/ ٥٥١ (٣٨٧٢) وصححه الألباني في صحيح السيرة للغزالي ص١٥٩.
(٤) ينظر: السـيرة النبوية لابن هشـام ١/ ٣٨٢، والسـيرة النبوية لابن كثير ٢/ ٧٢، ودلائل النبوية للبيهقي ٥/ ٣٦٠، ودلائل النبوة لأبي نعيم ١/ ٢٣٨.
(٥) الرسالة ص١٩.

قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[الأنعام: ٣٨]: «أي: ما تركنا في القرآن شيئاً من الأشياء المهمة؛ التي من جملتها بيان أنه تعالى مراعٍ لمصالح جميع مخلوقاته»[١]، و: «لم نترك شيئاً من الحجج وغيرها إلا ذكرناه، فكيف يحتاج إلى آية أخرى»[٢].

وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]. يقول السعدي: «وقوله: ﴿تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ في أصول الدين وفروعه، وفي أحكام الدارين، وكل ما يحتاج إليه العباد، فهو مبين فيه أتم تبيينٍ، بألفاظٍ واضحةٍ ومعانٍ جليةٍ.. فلما كان هذا القرآن تبياناً لكل شيءٍ صار حجة الله على العباد كلهم. فانقطعت به حجة الظالمين وانتفع به المسلمون فصار هدًى لهم يهتدون به إلى أمر دينهم ودنياهم، ورحمةً ينالون به كل خيرٍ في الدنيا والآخرة.

والرحمة ما ترتب على ذلك من ثواب الدنيا والآخرة، كصلاح القلب وبره وطمأنينته، وتمام العقل الذي لا يتم إلا بتربيته على معانيه التي هي أجل المعاني وأعلاها، والأعمال الكريمة والأخلاق الفاضلة، والرزق الواسع والنصر على الأعداء بالقول والفعل ونيل رضا الله تعالى وكرامته العظيمة التي لا يعلم ما فيها من النعيم المقيم إلا الرب الرحيم»[٣].

إنه منهج حياةٍ لقوة حجته في إثبات الحق والرد على العقائد المنحرفة.

و**إنه منهج حياةٍ** لصدقه وهدايته وجماله وبيانه وشفائه وتأثيره في النفوس.

(١) إرشاد العقل السليم ٣/ ١٣١.
(٢) محاسن التأويل ٤/ ٤٥٢.
(٣) تيسير الكريم الرحمن ص٤٤٧.

المبحث السابع
رد الشبه المثارة حول الإسلام

ويتضمن مطلبين:

المطلب الأول: أهمية الدعوة من خلال رد الشبهات حول الإسلام.

المطلب الثاني: تنبيهات حول رد الشبهات عن الإسلام.

المبحث السابع

رد الشبه المثارة حول الإسلام

من المعلوم أن لدعوة غير المسلمين وسيلتان أساسيتان:

الأولى: عرض حقائق الإسلام على غير المسلمين.

والثانية: الرد على الشبهات المثارة حول الإسلام والمسلمين، والعمل على إزالتها عن نفوس غير المسلمين.

وبيان ذلك في مطلبين:

المطلب الأول

أهمية الدعوة من خلال رد الشبهات حول الإسلام

إن أعداءَ الدين لا يدّخرون جهداً في إثارة الافتراءات والشبهات حول الإسلام العظيم، وهم يعملون عملاً منظّماً، ومن خلال دراساتٍ وخططٍ وتجاربَ وبحوث، حتى صار الافتراءُ على الإسلام علماً يُدرّس في كليات اللاهوت ومراكز التنصير، ويحظى المنصّرون بتدريب مدروس في كيفية طرح الافتراء وإثارة الشبهات.

وهم يهدفون بذلك إلى تنفير الناس عامة عن الإسلام، وإلحاق العيب والنقص بدين الله ليفتحوا أبواب التهكم عليه وإزالة قدسيته من النفوس.

لذا فمن الواجب أن يكون هناك ردٌّ على تلك الافتراءات بعلمٍ مدروسٍ لمواجهة الحملات المسعورة التي يشنها الأعداءُ لتشويه الإسلام، بحيث تخرج الردود على

قـدرٍ كبيرٍ من الإجادة والإتقان، وتحقق المقصـود منها؛ وهو إجهاض الفرية والقضاء على كل أثرٍ لها.

فالبنـاء الصحيـح لا يكون إلا على أسـاسٍ ثابتٍ متينٍ، ومتى امتـلأ عقل المتلقي بالشبهات والعوائق فسيصعب إيصال الرسالة الصحيحة إليه بعد ذلك.

والـرد على الشـبهات منهـجٌ قرآنيٌّ ونبويٌّ مشـروعٌ أكـد عليه الإسـلام وبذل فيه العلماء جهداً كبيراً من خلال أسلوب الحوار والمناظرة والتأليف[1].

فقد ردَّ الله تعالى في كتابه شبه أهل الكتاب ومشركي العرب والدهريين وردَّ عليها وبيَّن بُطلانها مع دعوته لهم بالإيمان والتوحيد، ومنها:

- رد الله على شـبهة عدم إمكانية أن يكون النبي من البشـر بقوله: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝٨ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ۝٩﴾ [الأنعام: ٨ - ٩].

- ورد على شبهة إنكارهم البعث بقوله: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ۝٤٩ ۞ قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝٥٠ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء: ٤٩ - ٥١].

---

(١) مـن أهـم المؤلفات في هذا: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسـيح لابن تيمية، وموسـوعة بيان الإسـلام الرد على الإفتراءات والشبهات المؤلف: نخبـة مـن كبـار العلماء في ٢٤ مجلد، ودفع شـبهات المستشـرقين حول السـنة للأسـتاذ أحمد محمد بوقرين، وشـبهات النصارى حول الإسلام للأستاذ وليد كمال شكر، موسوعة الرد على شبهات أعداء الإسلام للشيخ علي بن نايف الشحود، وغيرها من المؤلفات.

- ورد الله على شبهة أن هذا القرآن كلام بشر، بقوله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

وعن عدي بن حاتم قال: أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: (يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك) فطرحته فانتهيت إليه وهو يقرأ سورة براءة فقرأ هذه الآية: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ﴾ [التوبة: ٣١] حتى فرغ منها، فقلت: إنا لسنا نعبدهم، فقال: (أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتستحلونه؟) قلت: بلى، قال: (فتلك عبادتهم)[١].

والأمثلة في ذلك كثيرة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرةً تقطع دابرهم لم يكن أعطى الإسلام حقه، ولا وفَّى بموجب العلم والإيمان، ولا حصل بكلامه شفاءُ الصدور وطمأنينة النفوس، ولا أفاد كلامه العلم واليقين»[٢].

المطلب الثاني

تنبيهات حول رد الشبهات عن الإسلام

لا بد أن ينتبه الدعاة في ردهم على شبهات غير المسلمين إلى منهجيات مهمة في ذلك ومنها[٣]:

١- لا يتصدى لرد الشبهات إلا من فقه في الدين فلا يمكن أن نرد على شبهة ونحن

(١) المعجم الكبير للطبراني ١٧/ ٩٢ (٢١٨)، والسنن الكبرى للبيهقي ١٠/ ١٩٨.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٠/ ١٦٥.

(٣) للاستزادة حول هذا الموضوع ينظر: رسالة دكتوراه في جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، بعنوان: منهج الدعوة الإسلامية في الرد على الشبهات د. شميم بن أحمد عبدالكريم. وقواعد ومنطلقات في أصول الحوار ورد الشبهات، الدكتور عبدالله بن ضيف الله الرحيلي.

في الواقع لا نعرف من أصول الدين شيئاً؛ دع عنك الفروع، ولأن العلم يعصم من الوقوع في تلك الشبهات.

٢- لا بد للذي يرد على الشبهات بلغةٍ غير عربيةٍ أن يكون دقيقاً في نقل النصوص من العربية للغة الأجنبية وأن لا يترجم هو بنفسه بل يستعين بمترجم أمين له خبرة في الترجمة، حتى يكون دقيقاً في استخدام الألفاظ.

٣- يلزم على الداعية التعرف على الشبهات المثارة أولاً، وعلى المناهج والأساليب المناسبة للرد عليها ثانياً، ليتمكن من إزالتها عن قلوب وأذهان غير المسلمين.

٤- الرفق واللين في إزالة الشبهات عن غير المسلمين، خصوصاً أن كثيراً من الذين تقع في قلوبهم الصورة السيئة والشبهات عن الإسلام ليسوا هم من آثارها، وإنما كما ذكرت في البداية أن أصل الشبهات مؤسساتٌ ومراكز أبحاثٍ ودراساتٌ أكاديميةٌ تثير مثل تلك الشبهات، ومن هنا فيجب الترفق بصاحب الشبهة، وتوجيهه التوجيه المناسب بالحكمة والجدال بالتي هي أحسن.

٥- لا بد أن يكون لدى الداعية اليقين الجازم بأنه لا يوجد في الإسلام نقطة ضعفٍ واحدةٍ تجعلنا نستحي أو نتخوف منها، فلا بد أن يكون لدينا ثقةٌ متناهيةٌ في هذا الدين، حيث إن كل منهج خصائصه تتبع خصائص من وضعه؛ فكل ما هو إنساني ليس بكامل، لأن الإنسان ليس بكامل، وكل ما هو من عند الله تعالى فهو الكامل لأنه الله ﷻ له الكمال المطلق، فإذا وصلنا لهذه الدرجة من اليقين استطعنا الرد على كل الشبهات.

المبحث الثامن

بيان بطلان وانحرافات الديانات الأخرى

◆ أولاً: أهمية دعوة غير المسلمين ببيان تحريفات دينهم:

من المعالم الأساسية في دعوة غير المسلمين بيان تحريف الديانات الأخرى غير الإسلام ومناقضتها للفطرة والعقل، بما لا يثير النفوس ويؤجج المشاعر.

ولذا فلا بد من دراسة علم مقارنة الأديان، فهو يقدم للداعية أهم العناصر للدفاع عن الإسلام ضد التحديات التي تواجهه، ليس فقط تحديات الأديان الأخرى وإنما تحدي الحركات الإلحادية الكبرى المنتشرة في العالم أيضاً.

والداعية الناجح يستطيع أن يدعو غير المسلمين بالتي هي أحسن إذا درس ما عندهم من دياناتٍ، ووقف على الملل والنحل التي يدين بها غير المسلمين، لذا كان من واجب الداعية ذي البصر النافذ والبصيرة أن يقف على الأمور من حوله يتبصرها ويرقبها حتى يعلم الحق من الباطل والهدى من الضلال.

فبيان تحريف الديانات الأخرى وعدم صلاحيتها ونقدها يقدم لغير المسلمين معرفة قيمة عن الإسلام وقوة دليله ونصاعة برهانه ومتانة حجته ويسر كتابه، ومكانته العظمى من الكتب الأخرى ووضوح عقائده وكمال شرائعه وعلو آدابه وأخلاقه، وهذا هو الذي جذب كثيراً من أكابر علماء اليهود والنصارى إليه، حيث هالهم ضعف دياناتهم واختلال عقائدهم وتناقض كتبها وانقطاع سندها، فأسلموا وكتبوا وثائق نادرةً أسهمت في تنمية علم مقارنة الأديان.

وقد بين الله تعالى أن الكتب المنزلة تم تحريفها والتبديل فيها، كما قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩]. وقال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨].

◆ ثانياً: شواهد دعوة غير المسلمين من خلال بيان بطلان دينهم:

ومما يدل على هذا المبحث ويؤكد أهميته وأصالته ما ذكره القرآن عن دعوة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، حيث بين لهم فساد معتقدهم بقوله: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ [الشعراء: ٦٩ - ٧٣]. وقوله لأبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٤٢].

وكذلك ما ثبت في قصة إسلام عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حيث قال: دخلت على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: **(يا عدي، أسلم تسلم)**. فقلت: إني من أهل دين. قال: **(أنا أعلم بدينك منك)**. فقلت: أنت أعلم بديني مني؟ قال: **(نعم، ألست من الركوسية[١]، وأنت تأكل مرباع[٢] قومك؟)**. قلت: بلى. قال: **(فإن هذا لا يحل لك في دينك)**. قال: فلم يعد أن قالها فتواضعت لها[٣].

---

(١) الرَّكُوسِيَّة: عَن ابْن سِيرِين أَنه قَالَ: هُوَ دِينٌ بَين النَّصارى وَالصَّابِئِينَ. ينظر: تهذيب اللغة مادة ١٠/ ٣٦.

(٢) مرباع: يقال ربعت القوم أربعهم: إذا أخذت ربع أموالهم، مثل عشرتهم أعشرهم؛ لأن الملك كان يأخذ الربع من الغنيمة في الجاهلية دون أصحابه. ينظر: النهاية في غريب الحديث مادة «ربع» ٢/ ١٨٦.

(٣) مسند أحمد ٣٠/ ١٩٦ (١٨٢٦٠)، المستدرك على الصحيحين للحاكم ٤/ ٥١٨ وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين.

فقد كان من أسباب إسلام عدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علم النبي ﷺ بدين النصارى وبيان مخالفته له.

وعن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال لأبيه حصين قبل إسلامه: (كم تعبداليوم من إله)؟ قال: سبعة آلهة، ستة في الأرض وواحداً في السماء. قال ﷺ: **(فمن تعد لرغبتك ورهبتك)**؟ قال: الذي في السماء[1].

◆ ثالثاً: تنبيهات حول دعوة غير المسلمين من خلال بيان انحراف وبطلان دينهم:

مع التنبيه إلى أن لا يتحول بيان بطلان دينهم إلى سب دينهم، مما قد يسبب حميةً ودفاعاً مستميتاً عن ذلك الدين من قبل أتباعه، وربما تجاوز الأمر ذلك إلى حرب على الإسلام والمسلمين واتهام لعقائدهم ورموزهم كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

قال الشيخ السعدي: «ينهى الله المؤمنين عن أمرٍ كان جائزاً، بل مشروعاً في الأصل، وهو سب آلهة المشركين، التي اتخذت أوثاناً وآلهةً مع الله، التي يتقرب إلى الله بإهانتها وسبها، ولكن لما كان هذا السب طريقاً إلى سب المشركين لرب العالمين؛ الذي يجب تنزيه جنابه العظيم عن كل عيبٍ، وآفةٍ، وسبٍّ، وقدحٍ؛ نهى الله عن سب آلهة المشركين، لأنهم يحمون لدينهم، ويتعصبون له، لأن كل أمةٍ زَيَّن الله لهم عملهم، فرأوه حسناً، وذبوا عنه، ودافعوا بكل طريق، حتى إنهم ليسبون الله رب العالمين؛ الذي رسخت عظمته في قلوب الأبرار والفجار، إذا سب المسلمون آلهتهم»[2].

---

(١) جامع الترمذي، كتاب الدعوات، باب ٧٠ (٣٤٨٣)، والمعجم الكبير للطبراني ١٨/ ١٧٤، قال ابن القيم: حديث صحيح. الوابل الصيب ص١٣٧، وحسنه شعيب الأرناؤوط في جامع الأصول ٤/ ٣٤٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص٢٦٨.

الفصل الرابع

أصناف غير المسلمين وكيفية دعوتهم

وفيه ثلاث مباحث:

المبحث الأول: دعوة أهل الكتاب.

المبحث الثاني: دعوة الوثنيين.

المبحث الثالث: دعوة الملحدين.

تمهيد في صورة دعوة غير المسلمين

غير المسلمين أصناف كثيرة جدّاً، وأديانهم متفرعة، وفي كل دين إنقسامات وفرق كثيرة، وهنا سنحاول أن نعرض أصول الديانات العالمية الموجودة، والتي هي ثلاثة:

١- أهل الكتاب (اليهود والنصارى).

٢- الوثنيون (عباد الأصنام، والأشجار، والأحجار، والأشخاص، والكواكب والنجوم، الحيوانات، والأزمان).

٣- الملحدون.

مع التنبيه إلى أمورٍ عامةٍ في هذا الباب، وهي إجمالاً:

١- لا يلزم للداعية أن يتعلم معالم دعوة هؤلاء كلهم، ولكن على الدعاة أن يحصل بينهم تنوعٌ وشمولٌ وتكاملٌ في دراسة هذه الأديان، ليكون لدى الدعوة متخصصون في دعوة أهل كلِّ دين، مع أهمية المعرفة المجملة بكل الأديان المخالفة للإسلام.

٢- لا بد للدعاة أن يدرسوا كيفية دعوة الأديان المنتشرة في بلادهم، أو التي توجد لها دعوات أو منظمات تدعو لاعتناقها في منطقة عملهم الدعوي.

٣- نذكر هنا معالم عامة لدعوة أصحاب تلك الأديان، ولن نتطرق للتفصيل في عقائد وشرائع تلك الأديان، وكيفية الرد على شبهاتهم، حيث إن ذلك لأهل التخصص في العقيدة والأديان.

٤- لا يصلح لدعوة أصحاب الأديان المختلفة إلا أهل الاختصاص، مع الإتقان والفهم للدين الإسلامي أولاً، ثم للدين الذي سيتم دعوة أهله حتى لا تكون فتنة للداعي والمدعو.. حيث إن هذا الأمر يحتاج إلى علمٍ وخبرةٍ ودربةٍ وشخصيةٍ مميزةٍ في الإقناع والتأثير وحسن الحوار والجدال.

المبحث الأول

دعوة أهل الكتاب

ويتضمن ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معالم دعوة أهل الكتاب عموماً.

المطلب الثاني: معالم دعوة اليهود.

المطلب الثالث: معالم دعوة النصارى.

المبحث الأول

دعوة أهل الكتاب

أهـل الكتاب: هم اليهـود والنصارى وسـموا بذلك؛ لأنهم أهل كتـاب منزل من عنـد الله وهو التوراة لليهـود، والإنجيل للنصارى، وقد أصاب هـذه الكتب التحريف والتبديل، ثم نسخت بنزول القرآن الكريم.

وسنبرز معالم دعوة أهل الكتاب في النقاط التالية(١):

المطلب الأول

معالم دعوة أهل الكتاب عموماً

ومن أهم الطرق والأساليب في دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام عموماً ما يلي(٢):

◘ أولاً: إقامة الأدلة لأهل الكتاب على صدق النبي ﷺ:

وذلك بتنبيههم إلى ما يجدونه في كتبهم من صفة النبي ﷺ، وأن علماءهم يعرفون أمره معرفة تامة كما يعرف أحدهم ولده، وبتنبيههم إلى أن محمد ﷺ الذي يدعوهم للإسـلام إنما هو الذي بَشَّـر به آخرُ أنبياء بني إسرائيل عيسى بن مريم عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقـرة: ١٤٦]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ

---

(١) تم تلخيص مادة هذا المبحث من كتاب: دعوة أهل الكتاب د. سعيد بن وهف القحطاني.

(٢) انظر: المفصل في فقه الدعوة إلى الله تعالى، جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود، وكيفية دعوة أهل الكتاب إلـى الله تعالـى في ضـوء الكتاب والسـنة، لـ د. سـعيد بن علي بن وهف القحطاني. رؤية شـرعية في الجدال والحوار مع أهل الكتاب، للشريف محمد بن حسين الصمداني، واليهودية والنصرانية د. أحمد شلبي.

﴿مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٖ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٞ مُّبِينٞ﴾ [الصف: ٦].

ثانياً: إرشادهم إلى وحدة دعوة الأنبياء عليهم السلام:

وذلك بدعوتهم وإرشادهم إلى أن دعوة محمد ﷺ موافقة في الأصول إلى ما دعا إليه الأنبياء السابقون، وأن الإسلام دين الرسل جميعاً، فالرسل يصدق بعضهم بعضاً، ودين الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ مصدق لما قبله مما جاء به موسى وعيسى وإخوانهم الأنبياء من قبل، وإن اختلفت بعض الشرائع لكن أصل الدين واحد، وهو الدعوة إلى توحيد الله عز وجل وعبادته وحده، وتنزيهه عن كل نقص وعيب، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾ [الشورى:١٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[النحل: ٣٦].

ثالثاً: بيان أن التكذيب برسولٍ تكذيبٌ بِكُلِّ الرسل:

فقد جعل الله عز وجل المكذب لرسول واحد من هؤلاء الرسل مكذباً للجميع، وهذا كثير في القرآن، فقد قال الله: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:١٢٣]، وقال عز وجل: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:١٧٦]. مع أن عاداً لم يرسل إليها إلا رسول واحد، وكذا ثمود وأصحاب الأيكة، ولكن من كذب واحداً، فقد كفر بجميعهم.

رابعاً: ترغيبهم بصلاح حالهم في الدنيا والآخرة:

ترغيبهم في أنهم لو حققوا منهج الله في التوراة والإنجيل بدون تحريفٍ ولا تبديلٍ؛ ثم آمنوا بما أنزل على محمدٍ ﷺ لصلحت حياتهم في الدنيا، ولأدخلهم الله جنات النعيم في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ

سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٦٥ - ٦٦]، بل ويؤتون أجرهم مرتين، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [القصص: ٥٢-٥٤].

⌑ خامساً: أسلوب التهديد والإنذار بالعقوبة:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [النساء: ٤٧].

⌑ سادساً: بيان محاسن الشريعة الإسلامية:

أي بيان مميزاتها، وبيان موافقة الإسلام للفطرة السليمة، وموافقته للعقل الصحيح، فالنظر الصحيح في الكون يقضي بأن يكون لهذا الكون إلهاً واحداً، كما قال الله ﷻ: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء: ٢٢]، وقد أُولف في هذا الموضوع كتب خاصة.

⌑ سابعاً: الجدال بالتي هي أحسن(١):

أي يُجَادَلُوا بحسن خلق ولُطْفٍ ولين كلام، ودعوة إلى الحق، بالأدلة العقلية والنقلية، ورد الباطل بأقرب طريق وأنسب عبارة، وأن لا يكون القصد من ذلك مجرد المجادلة والمغالبة وحب العلو، بل لابد أن يكون القصد بيان الحق، وهداية الخلق(٢).

(١) هذه النقطة وما يتلوها، تم تلخيصها من كتاب دعوة أهل الكتاب د. سعيد بن وهف القحطاني.
(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم ١/ ٣٧٢، ٣/ ٤١٦، وفتح القدير ١/ ٣٤٨، وأضواء البيان، ٣/ ٣٨٥.

كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

⌑ ثامناً: استخدام القول الحكيم في دعوة أهل الكتاب:

قال ﷻ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤].

فقد كان النبي ﷺ يستخدم القول الحكيم في دعوته إلى الله ﷻ ومن ذلك ما روته عائشة قالت: دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا: السَّامُ[١] عليك. قالت عائشة: ففهمتها، فقلت: وعليكم السَّامُ واللعنة! قالت: فقال رسول الله ﷺ: **(مهلاً يا عائشة، إن الله يحب الرّفق في الأمر كله)**. فقلت: يا رسول الله! أولم تسمع ما قالوا! قال رسول الله ﷺ: **(قد قلت: وعليكم)**[٢].

وكان يستخدم ذلك حتى في رسائله، ففي كتابه إلى هرقل: «من محمد رسول الله، إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى. أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليتَ فإن عليك إثم الأريسيين[٣]، و ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢][٤].

---

(١) السام: الموت، وقيل: الموت العاجل، وقيل: تسأمون دينكم. انظر: فتح الباري ١١/ ٤٢، ٤٣، ١٠/ ١٣٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله (٦٠٢٤)، ومسلم، كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف الرد عليهم (٢١٦٥).

(٣) الأريسيين: أي إثم الفلاحين، والمعنى: فإن لم تدخل في الإسلام فإن عليك إثمك وإثمهم إذا لم يسلموا تقليداً لك. انظر: فتح الباري، ١/ ٣٩.

(٤) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي (٧)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل (١٧٧٣).

⌑ تاسعاً: بيان الأدلة العقلية والنقلية على نسخ الإسلام لجميع الشرائع:

أهل الكتاب من اليهود والنصارى أنكروا نسـخ الإسـلام للشرائع السابقة، فلا بد من الرد عليهم ببيان الأدلة على نسـخ جميع الشـرائع برسالة النبي ﷺ، وإقامة الحجة علـى من أنكروا نبوة محمـد ﷺ مطلقاً بالأدلة الواردة في التـوراة والإنجيل، بالإضافة إلى الأدلة من القرآن والسنة والعقل.

فقد ختم الله تعالى الشرائع كلها بشريعة محمد ﷺ، فأرسله الله إلى جميع الثقلين: من إنسٍ وجنٍّ، ونسـخت شريعته جميع الشـرائع السابقة: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقـال ﷺ: **(والذي نفس محمـد بيده لا يسـمع بي أحد من هـذه الأمة: يهودي أو نصراني، ثـم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به إلا كان من أصحاب النار)**(١).

⌑ عاشراً: الفقه والوعي بآليات التعامل مع أهل الكتاب:

فـلا بد للداعيـة من معرفة آليـات التعامل معهـم في الأمور المشـتركة كالربوبية، والإيمان، والعمل الصالح، والأخلاق، والتعبد مع تصحيح ما حرفوه فيها، مع الحذر مما ابتدعوه فيها.

ولا بد مـن معرفة المنطلقات الدعوية للتعامل مع عوامهم ومع علمائهم، وحكم دخول معابدهم لدعوتهم، وعقد مقارنة بين شـريعتهم المحرفة وبين شـريعة الإسلام، مع الاحتجاج عليهم بما في كتبهم، ومعرفة حدود وآداب ذلك.

---

(١) صحيح مسـلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسـالة محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته (١٥٣).

المطلب الثاني

معالم دعوة اليهود

اليهود هم مثل بقية البشر يعتزون بهويتهم، ولكن ليس كل من يسمي نفسه يهودي هو بالضرورة مؤمن بالديانة اليهودية، أو مؤمن بأن الكتاب المقدس (التوراة) وحيٌ من الله، وذلك يعني بالنتيجة بأن اليهودي قد يقبل الإسلام كدينٍ له؛ خصوصاً في هذا الزمن.

ولكن الصعوبة في دعوة اليهود تتمثل في ثقافتهم، فصورة اليهودي في هذه الثقافة هو قديس وشخص خيّر، أما صورة المسلمين فهم شياطين شريرون، أي صورة نقيضة لليهودي.

وموقف اليهود من دعوة الإسلام، ومن رسول الإسلام ﷺ موقفٌ في غاية السوء والعداوة، كما يتجلَّى ذلك في موقف يهود المدينة: بني قينقاع، وبني النضير، وبني قريظة.

رغم أنهم كانوا يبشرون قبل ذلك بنبيٍّ قد قَرُب زمانه، وكانوا يهددون جيرانهم من العرب -الأوس والخزرج- أنهم سيؤمنون به، وينضمون إليه، ويقتلونهم معه قتل عادٍ وإرم! فقد كانوا يظنونه من بني إسرائيل، فلمَّا وجدوه من بني إسماعيل، منعهم البغي والحسد أن يؤمنوا به، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [البقرة: ٨٩- ٩٠].

ونزلت آيات القرآن تندد بموقف اليهود وشدة عداوتهم للمسلمين، كما في قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ

﴿وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: ٨٢].

فاليهود أشد المعادين للإسلام، ولهذا تجد الذين دخلوا في الإسلام من اليهود معدودين؛ نتيجة لتعصبهم وغرورهم وزعمهم أنهم شعب الله المختار، ولذا فدعوة اليهود مليئةٌ بالتحديات التي لا بد للداعية أن يكون على وعيٍ بها، حتى يستطيع أن ينطلق في دعوتهم.

ويمكن بيان المعالم الأساسية في دعوة اليهود في النقاط التالية[(١)]:

المعلم الأول

بيان الأدلة القطعية على وقوع التحريف والتبديل في التوراة

أي أن يبيَّن لهم بالجدال بالتي هي أحسن أن الكتب التي بأيديهم قد دخلها التحريف والتبديل والتغيير، وليست هي الكتب التي أنزلها الله على رسله عليهم الصلاة والسلام.

واليهود والنصارى يُقرّون أن التوراة كانت طول مملكة بني إسرائيل عند الكاهن الأكبر الهاروني وحده، وتقرّ اليهود أن سبعين كاهناً اجتمعوا على اتفاق من جميعهم على تبديل ثلاثة عشرة حرفاً من التوراة، وذلك بعد المسيح عليه السلام في عصر القياصرة الذين كانوا تحت قهرهم، ومن رضي بتبديل موضعٍ واحدٍ من كتاب الله فلا يُؤْمَنُ من تحريف غيره.

واليهود تقر أيضاً أن السامرة حرفوا مواضع التوراة، وبدَّلوها تبديلاً ظاهراً، وزادوا ونقصُوا والسامرة تدَّعي على اليهود بأن التوراة التي بأيديهم محرّفة مبدّلة[(٢)].

---

(١) ينظر: كتاب: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن قيم، وكيفية دعوة أهل الكتاب أ. د سعيد بن وهف القحطاني.

(٢) انظر: الفصل لابن حزم، ١/ ١٠٢، ١٨٧، ١٩٧، والجواب الصحيح ٢/ ١٨، وهداية الحيارى ص٥٨١.

وقد ذكر الله لنا في القرآن التحريف وأثبته على أهل الكتاب، ونسب إليهم أنواعاً من التحريف للتوراة، مثل: **إلباس الحق بالباطل، وكتمان الحق وإخفائه، ولي اللسان وتحريف الكلم عن مواضعه**، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧١]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [المائدة: ١٥]. وقال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦].

ومن أعظم ما كتمه أهل الكتاب هو ما وجدوه في كتبهم من صفات محمد ﷺ، واختيار الله له رسولاً إلى الناس أجمعين، وقد كانوا يعرفونه في كتبهم كما يعرفون أبناءهم، ولكنهم إذا سُئِلُوا عن ذلك كتموه[1]، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦].

وقد بيّن ﷻ من صفاته ﷺ المذكورة في التوراة والإنجيل، فقال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

ومع هذه الأوصاف العظيمة التي كانوا يعرفونها مكتوبة عندهم، أنكروا نبوته ﷺ، وكتموا ما علموه[2].

---

(١) انظر: معالم التنزيل ١/ ٦٧، ١٦٢، ٣١٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٨٥، ٩٥، ٣٧٤.

(٢) انظر الأمثلة من نصوص التوراة التي بينت صفات النبي ﷺ، ولكن اليهود كتموا ذلك، في: الملل والأهواء والنحل لابن حزم،١/ ٢٠١-٣٢٩، والجواب الصحيح ٣/ ٢٩٩-٣٣٢، وهداية الحيارى ص٥٢٢-٥٨٠، وإغاثة اللهفان ٢/ ٣٥١-٣٦٣، وإظهار الحق لرحمة الله الهندي ١/ ٣٣٥-٥٠٨.

ومن الأحكام التي أخفاها اليهود حكم رجم الزاني المحصن، فقد جاءوا إلى النبي ﷺ برجل وامرأة قد زنيا، فقال لهم: (كيف تفعلون بمن زنى منكم؟). قالوا: نُحَمِّمهما ونضربهما. فقال: (لا تجدون في التوراة الرجم؟) فقالوا: لا نجد فيها شيئاً. فقال لهم عبدالله بن سلام: كذبتم، فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين، فوضع مدراسها الذي يدرسها منهم كفه على آية الرجم، فطفق يقرأ ما دون يده وما وراءها، ولا يقرأ آية الرجم، فنزع يده[1] عن آية الرجم، فقال: ما هذه؟ فلما رأوا ذلك قالوا: هي آية الرجم، فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما... الحديث[2].

ولهذا قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [آل عمران: ٢٣].

فأنكر سبحانه على أهل الكتاب المتمسكين فيما يزعمون بكتابيهم: التوراة والإنجيل، وإذا دعوا إلى التحاكم إلى ما فيهما من طاعة الله فيما أمرهم به فيهما من اتباع محمد ﷺ تولوا وهم معرضون عنهما، وهذا في غاية ما يكون من ذمهم[3].

ومن أنواع تحريف اليهود للتوراة: ليُّ اللسان، فهم يلوون ألسنتهم ويعطفونها بالتحريف، ليلبسوا على السامع اللفظ المنزل بغيره، ويفلتون ألسنتهم حين يقرءون كلام الله تعالى لإمالته عما أنزله الله عليه إلى اللفظ الذي يريدونه[4]، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨].

---

(١) وفي رواية أخرى قال عبدالله بن سلام: ارفع يدك، فرفع يده، فإذا فيها آية الرجم. انظر: الفتح، ٢/ ١٦٦.
(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب: ﴿قُلْ فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَاةِ فَٱتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾، (٤٥٥٦).
(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٣٥٦، وأضواء البيان للشنقيطي، ٢/ ٥٧.
(٤) انظر: معالم التنزيل ١/ ٣٢٠، وتفسير القرآن العظيم ١/ ٣٧٧، وفتح القدير ١/ ٣٥٤.

ولهذا أمثلة كثيرة من التوراة لا يتسع المقام لذكرها[(١)].

وقد بيَّن الله ﷻ أن أهل الكتاب يعلمون أن ما جاء به محمد ﷺ هو الحق، لما يجدونه في كتبهم من نعته ﷺ وأمته، وما شرفه الله به من الشريعة الكاملة[(٢)]، قال سبحانه: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٤].

المعلم الثاني

إثبات اعتراف المنصفين من علماء اليهود

أي: الاستشهاد بشهادة علماء اليهود المنصفين، الذين قبلوا الحق، وبيّنوه ولم يكتموه، وهذا من باب قوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ [يوسف: ٢٦]، ومن هؤلاء:

☜ أولاً: عبدالله بن سلام رضي الله عنه وأرضاه:

فعن أنس رضي الله عنه قال: بلغ عبدالله بن سلام رضي الله عنه مقدم النبي ﷺ المدينة فأتاه فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبيٌّ، قال: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة، وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه؟ فقال رسول الله ﷺ: (خبَّرني بهنَّ آنفاً جبريلُ) قال ابن سلام: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقال رسول الله ﷺ:

(١) انظر: أمثلة تحريف التبديل في الفصل لابن حزم، ١/ ٢٠٧-٢٤٤، وإغاثة اللهفان ٢/ ٣٤٢-٣٤٤، وهداية الحيارى، ص٥٨٢، والمناظرة الكبرى، ص٤٦٥-٤٧٥، وأمثلة تحريف الزيادة في: إظهار الحق ١/ ٣٣٨-٣٤٧، والتوراة دراسة وتحليل، ص٩٠-٩٤، وأمثلة النقص في: إظهار الحق، ١/ ٤١٤-٤٥٦، والتوراة دراسة وتحليل، ٩٥-٩٨، وأمثلة التأويل في إغاثة اللهفان، ٢/ ٣٣١، ٣٣٢، ٣٦١-٣٦٢، وهداية الحيارى، ص٥٢٦-٥٣٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ١٩٤.

(أما أول أشـرط السـاعة فنار تحشـر الناس من المشـرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكلـه أهل الجنـة فزيادة كبد الحوت، وأما الشـبه في الولد فإن الرجل إذا غشـي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها)، قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسـول الله، قال: يا رسـول الله، إن اليهود قوم بُهْتٌ، إن علموا بإسـلامي قبل أن تسـألهم بَهَتُوني عندك، فادعهم فاسـألهم عني قبل أن يعلموا بإسلامي، فأرسل نبي الله ﷺ فأقبلوا، فدخلوا عليه فقال لهم رسـول الله ﷺ: **(يا معشـر اليهود، ويلكم اتقوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقاً، وأني جئتكم بحق، فأسلِمُوا)**، قالوا: ما نعلمه قالوا للنبي ﷺ، قالها ثلاث مراراً فقال رسول الله ﷺ: **(فأي رجل فيكم عبدالله بن سـلام؟)** قالوا: ذاك سيدنا وابن سـيدنا، وأعلمنا وابن أعلمنا، وأخيرنا وابن أخيرنـا، وأفضلنـا وابن أفضلنا، قـال: **(أفرأيتم إن أسـلم؟)** قالوا: أعـاذه الله من ذلك، حاشـا لله ما كان ليسـلم، قال: **(أفرأيتم إن أسـلم؟)** قالوا: حاشا لله ما كان ليسلم، قال: **(أفرأيتم إن أسـلم؟)** قالوا: حاشـا لله ما كان ليسـلم، قال: **(يا ابن سلام اخرج عليهم)**، فخرج عليهم عبدالله فقال: أشـهد أن لا إله إلا الله وأشـهد أن محمداً رسول الله، معشر اليهود، اتقوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله، وأنه جاء بحق، فقالوا: كذبت، شرُّنا وابن شرِّنا، ووقعوا فيه، فأخرجهم رسولُ الله ﷺ[1].

وعـن عبدالله بن سـلام رضي الله عنه قال: لما قدم النبـي ﷺ المدينة انجفل النـاس قِبَلَهُ، فجئـت في النـاس لأنظر، فلما تبيّنـت وجهه عرفت أن وجهه ليـس بوجه كذّاب، فكان

---

(١) صحيـح البخـاري، كتاب الأنبياء، بـاب خلق آدم وذريته، (٣٣٢٩)، ومناقب الأنصـار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة (٣٩١١)، وباب حدثني حامد بن عمر، عن بشر بن المفضل (٣٩٣٨)، وكتاب التفسير باب قوله: ﴿مَن كَانَ عَدُوّاً لِّجِبْرِيلَ﴾ (٤٤٨٠)، وألفاظ الحديث من المواضع الأربعة.

أول شـيء سـمعته تكلم به أن قال: (يا أيها الناس، أفشُـوا السـلام، وأطعِمُـوا الطعامَ، وصِلُوا الأرحامَ، وصلُّوا بالليلِ والناسُ نيامٌ، تدخُلُوا الجنّةَ بسلام)[١].

☜ ثانياً: زيد بن سعنة، أحد أحبار اليهود:

قـال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مـا من علامات النبوة شـيءٌ إلا وقـد عرفتها في وجه رسـول الله ﷺ حين نظـرت إليـه إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يسـبق حلمه جهله، ولا تزيده شـدة الجهل عليه إلا حلمـاً، وقد اختبرتهما، فأشـهدك يا عمـر أني قد رضيت بالله ربّاً، وبالإسـلام ديناً، وبمحمد نبيّاً، وأشـهدك أن شـطر مالي -فإني أكثرها مالاً- صدقة على أمـة محمد ﷺ. قال عمر: أو على بعضهم، فإنك لا تسعهم. قلت: أو على بعضهم. فخرج عمر وزيد إلى رسول الله ﷺ، فقال زيد: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وآمن به، وصدّقه، وبايعه، وشهد معه مشاهد كثيرة، ثم توفي في غزوة تبوك مُقبلاً غير مدبر[٢]، رضي الله عنه ورحمه.

☜ ثالثاً: من أسلم عند الموت:

أتـى رسـول الله ﷺ وأبو بكـر وعمر على رجل من اليهود ناشـراً التـوراة يقرؤها يُعزِّي بها نفسـه على ابن له في الموت كأحسـن الفتيان وأجمله، فقال رسـول الله ﷺ: (أنشـدك بالذي أنزل التوراة، هـل تجد في كتابك هذا صفتي ومخرجي)؟ فقال برأسـه هكـذا، أي: لا. فقال ابنه: إي والذي أنزل التوراة إنا لنجد في كتابنا صفتك ومخرجك، وأشـهد أن لا إله إلا الله وأنك رسـول الله. فقال: (أقيموا اليهودي عن أخيكم)، ثم وليَ

---

(١) سـنن ابن ماجه، كتاب الأطعمة، باب إطعام الطعام (٣٢٥١) بلفظه، وجامع الترمذي في صفة القيامة، باب حدثنا محمد بن بشار (٢٤٨٥)، وصحيح ابن ماجه ٢/ ٢٢٢.

(٢) ذكـره الهيثمـي في مجمـع الزوائـد، وعزاه إلـى الطبراني، وقـال: رجالـه ثقـات ٨/ ٢٤٠، والقصة هنا مختصرة، فارجع إليها في مجمع الزوائد ٨/ ٢٣٩، ٢٤٠.

كفنه، وحنطهُ، وصلى عليه ﷺ[١].

وقد سطر أحدهم قصة إسلامه، ورده على اليهود، وهو السموأل بن يحيى المغربي في كتابه: إفحام اليهود وقصة السموأل، وغير ذلك كثير.

المعلم الثالث

بيان الأدلة على إثبات رسالة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام

وإثبات نبوة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام من المعالم المهمة في دعوة اليهود، وذلك بما ظهر على يديهما من المعجزات الباهرات، والآيات البينات الظاهرة التي لا يقدر أحد أن يأتي بمثلها، كالآتي:

أولاً: البراهين والبينات على صدق نبوة عيسى ابن مريم عليه السلام:

ثبتت نبوة عيسى بما ظهر على يده من المعجزات الخارقة للعادات من: إحياء الموتى، وإخراجهم من قبورهم، وإبراء الأكمه، والأبرص، وخلق الطير من الطين بإذن الله، والإخبار بالغيوب، وإنزال الطعام من السماء، وولادته من أم بغير أبٍ، وكلامه في المهد[٢]، وغير ذلك من المعجزات[٣].

ومعجزات عيسى لم تكن دون معجزات موسى عليهما الصلاة والسلام، فكلا

(١) مسند أحمد ٥/ ٤١١، وقال ابن كثير: هذا حديث جيد قوي، له شواهد في الصحيح عن أنس رضي الله عنه، انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٢/ ٢٥٢، ومجمع الزوائد، ٨/ ٢٣٤.

(٢) انظر الأدلة على هذه المعجزات في آل عمران، الآية ٤٩، وسورة المائدة، الآية: ١١٠، والآيتان: ١١٤- ١١٥.

(٣) انظر: كتاب الداعي إلى الإسلام، للأنباري ص٣٤٧، وإغاثة اللهفان لابن القيم، ٢/ ٣٤٧.

الرسولين اشتركا في المعجزات والآيات الظاهرة.

فإن قيل: إن أحدهما قد تعلمها بحيلة، فالآخر يمكن أن يُقال ذلك في حقه، وقد أخبرا جميعاً أن الله تعالى هو الذي أجرى ذلك على أيديهما، وأنه ليس من صنعهما، فتكذيب أحدهما وتصديق الآخر تفريق بين المتماثلين، وليس هناك دليل على أن موسى عليه والسلام تلقى المعجزات عن الله تعالى إلا وهو يدلُّ على أن عيسى عليه السلام تلقاها عن الله تعالى فإن أمكن القدح في معجزات عيسى أمكن القدح في معجزات موسى، وإن كان ذلك باطلاً فهذا باطل أيضاً[1].

✍ ثانياً: الحُججُ والبراهين على صدق نبوة محمد ﷺ:

ظهر على يده ﷺ من الآيات والمعجزات الخارقة للعادات عند التحدي أكثر من سائر الأنبياء، والعهد بهذه المعجزات قريب، وناقلوها أصدق الخلق وأبرهم، ونقلها ثابت بالتواتر قرناً بعد قرن، وأعظمها مُعجزة: القرآن، لم يتغير ولم يتبدل منه شيء، بل كأنه منزل الآن، وقد عجز الأولون والآخرون على الإتيان بمثله ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

ولا يمكن ليهودي أن يؤمن بنبوة موسى عليه السلام إن لم يؤمن بنبوة محمد ﷺ، ولا يمكن لنصراني أن يقر بنبوة المسيح عليه السلام إلا بعد إقراره بنبوة محمد ﷺ، لأن من كفر بنبوة نبي واحد فقد كفر بالأنبياء كلهم، ولم ينفعه إيمانه ببعضهم دون بعض، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ

---

(١) انظر: إغاثة اللهفان، ٢/ ٣٤٧.

حَقًّاۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٥٠ - ١٥٢].

ومن أعظم الأدلة على صدقه ﷺ أنه قال لليهود لما بهتوه: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الجمعة: ٦ - ٧]، ولم يجسر أحد منهم على ذلك - مع اجتماعهم على تكذيبه وعداوته - لما أخبرهم بحلول الموت بهم إن أجابوه إلى ذلك، فلولا معرفتهم بحاله في كتبهم، وصدقه فيما يخبرهم به لسألوا الله الموت لأي الفريقين أكذب، منهم أو من المسلمين على وجه المباهلة[(١)].

المعلم الرابع

بيان وقوعهم في الشرك ومشابهة المشركين

واليهود والنصارى كفار ومشركون، أما كفرهم فلأنهم جحدوا الحق، وكذبوا به، وأما شركهم فلأنهم عبدوا غير الله تعالى.

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠ - ٣١].

فقوله: «﴿يُضَٰهِـُٔونَ﴾» أي: يشابهون في قولهم هذا ﴿قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟

(١) انظر: درء التعارض بين العقل والنقل ٧/ ٩٩، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ١٢٨، ١٢٩.

﴿مِن قَبۡلُ﴾ أي: قول المشركين الذين يقولون: «الملائكة بنات الله» تشابهت قلوبهم، فتشابهت أقوالهم في البطلان»[١].

«فوصفهم جميعاً بالشرك؛ لأن اليهود قالوا: عزير ابن الله، والنصارى قالوا: المسيح ابن الله؛ ولأنهم جميعاً اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، وهذا كله من أقبح الشرك والآيات في هذا المعنى كثيرة»[٢].

وعن عدي بن حاتم قال: أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: **(يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك)** فطرحته فانتهيت إليه وهو يقرأ سورة براءة فقرأ هذه الآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ﴾ [التوبة: ٣١] حتى فرغ منها، فقلت: إنا لسنا نعبدهم، فقال: **(أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتستحلونه؟)** قلت: بلى، قال: **(فتلك عبادتهم)**[٣].

«كانوا يأخذون بأقوال أحبارهم ورهبانهم المخالفة لما هو معلوم بالضرورة أنه من الدين؛ فكانوا يعتقدون أن أحبارهم ورهبانهم يحللون ما حرم الله، ويحرمون ما أحل الله، وهذا مطرد في جميع أهل الدينين... فحصل من مجموع أقوال اليهود والنصارى أنهم جعلوا لبعض أحبارهم ورهبانهم مرتبة الربوبية في اعتقادهم، فكانت الشناعة لازمة للأمتين ولو كان من بينهم من لم يقل بمقالهم كما زعم عدي بن حاتم؛ فإن الأمة تؤاخذ بما يصدر من أفرادها إذا أقرته ولم تنكره»[٤].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٣٣٤.
(٢) مجموع فتاوى الشيخ ابن باز ٤/ ٢٧٤.
(٣) المعجم الكبير للطبراني ١٧/ ٩٢ (٢١٨)، والسنن الكبرى للبيهقي ١٠/ ١٩٨.
(٤) التحرير والتنوير ١٠/ ١٧٠.

المطلب الثالث

معالم دعوة النصارى

يمكن بيان معالم دعوة النصارى في المعالم التالية[١]:

المعلم الأول

إبطال عقيدة التثليث وإثبات الوحدانية للّٰه تعالى

المقصود بالتثليث عند النصارى ثلاثة أشياء: الأب، والابن، ورُوحُ القدس[٢].

ويعبرون عن ذلك بأن الله - تعالى عن كفرهم - ثلاثة أقانيم، والأقنوم في لغتهم

---

(١) ينظر: كتاب: إظهار الحق للعلامة رحمة الله الهندي، اليهودية والنصرانية د. أحمد شلبي، محاضرات في النصرانية للشيخ: محمد أبو زهرة، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية: لمحمد طاهر التنير، كتب ومحاضرات الشيخ أحمد ديدات والدكتور ذاكر نايك، وكتاب الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق: شهادة الإنجيل على أن عيسى عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، إضافة إلى الكتب المتقدمة: كالجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية، وهداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن قيم الجوزيه. إضافة إلى الاستفادة من بعض المواقع المهتمة بالرد على النصارى، ومنها: موقع: المسيحية بمنظور إسلامي، وموقع: هداية الحيارى من النصارى، وموقع: للنصارى فقط.

(٢) اختلف النصارى في تفسير هذا الكلام على أقوال: فكثير منهم يقول: الأب هو الوجود، والابن هو الكلمة، وروح القدس هو الحياة، ومنهم من يقول: وروح القدس هو القدرة، وقيل: الجواد الأب، والحكيم الابن، والقادر: روح القدس، وقيل: الذات الأب، والنطق الابن، والحياة روح القدس، وغيرها من الأقوال إلا أنهم كلهم متفقون على أن المتجسد في المسيح والحال فيه هو أقنوم الكلمة، وهو الذي يسمونه الابن دون الأب- تعالى الله عن قولهم - انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢/ ٩٠، ٩٤، والملل والنحل للشهرستاني، ١/ ٢٢٢-٢٢٨.

وفرق النصارى الثلاث: الملكانية، والنسطورية، واليعقوبية متفقون على أن معبودهم ثلاثة، ولكنهم اختلفوا في تفسير الأقانيم الثلاثة، وفي الحلول والاتحاد. انظر: الجواب الصحيح، ٢/ ٩٥، والفصل لابن حزم، ١/ ١١٠-١١٢، وإظهار الحق، ١/ ٥٧٦، والملل والنحل للشهرستاني، ١/ ٢٢١-٢٢٨، والبداية والنهاية، ٢/ ١٥٠، وإغاثة اللهفان، ٢/ ٢٧٣.

هو الأصل[١]، والثلاثة أسماء إله واحد[٢] في زعمهم الباطل عقلاً وشرعاً.

والرّدُّ على عقيدة التثليث وإبطالها، ودعوة أصحابها يتلخص في الأمور الآتية[٣]:

◆ أولاً: التوحيد دين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم:

إن عقيدة التثليث لم تكن في أمةٍ من الأمم السابقة من عهد آدم عليه السلام، إلى رفع عيسى عليه السلام.

وعقيدة التوحيد هي دين الأنبياء وأتباعهم، كما أن كتب العهد القديم عند أهل الكتاب ناطقة بأن الله واحد، أزليٌّ، أبديٌّ، حيٌّ لا يموت، قادر يفعل ما يشاء، ليس كمثله شيء، لا في الذات ولا في الصفات، وعبادة غير الله حرام، وحرمتها مصرحة في مواضع شتى، وهذا الأمر لشهرته وكثرته في تلك الكتب غير محتاج إلى نقل الشواهد[٤].

◆ ثانياً: النصارى تلقوا عقيدة التثليث عن أصحاب المجامع:

إن المصادر النصرانية الموثوق فيها لا تملك سوى الإقرار بأن دعوة عيسى عليه السلام كانت توحيد الله الخالص من الشرك، إلى بداية القرن الرابع الميلادي[٥]، ثم أخذ دين المسيح في التبديل والتغيير والفساد وعندها اجتمعت النصارى عدة مجامع، وأشهرها المجامع العشرة التي عُقِدَت على مر العصور، وكلهم يُكفِّر بعضهم بعضاً، ويلعن بعضهم بعضاً، فدينهم الذي ابتدعوا قائم على اللعنة[٦].

(١) انظر: الجواب الصحيح، ٢/ ١٠٠، ١١٢، والداعي إلى الإسلام، ص٣٥٩، والفصل لابن حزم، ١/ ١١٩.
(٢) انظر: الداعي إلى الإسلام، ص٣٦٣، ٣٦٤، والجواب الصحيح، ٢/ ١١٢.
(٣) انظر: اليهودية والمسيحية، د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، ص٤١١-٤٣٩.
(٤) انظر: إظهار الحق، لرحمة الله الهندي، ١/ ٥٤٣، ٥٧٧.
(٥) انظر: إغاثة اللهفان ٢/ ٢٧٠، وهداية الحيارى، ص٦٢٢، والمناظرة بين الإسلام والنصرانية، ص١٦٤.
(٦) انظر: الجواب الصحيح ١/ ١١٥، ٢/ ٩٠-١٣٥، ٣/ ٢٢-٤٥، وإغاثة اللهفان، ٢/ ٢٧٠-٢٨١، وهداية الحيارى، ص٦٤٦-٦٥٨، والبداية والنهاية ٢/ ١٥٠، ١٥١، والمناظرة بين الإسلام والنصرانية، ص٢٠٢-٢١٦.

فدين المسيح هو التوحيد إلى نهاية القرن الثالث الميلادي، والمجامع النصرانية هي التي فرضت عقيدة التثليث بدءاً بمجمع نقية سنة ٣٢٥م، وألزم الملوك الناس بذلك بالسيف والعطاء[١]، وهذا من أعظم ما يُردُّ به على النصارى.

◆ ثالثاً: بطلان كون الثلاثة إله واحد:

قال المثلثة: الأب، والابن، وروح القدس: الثلاثة أسماء إله واحد، ورب واحد، وخالق واحد، ومسمى واحد، لم يزل ولا يزال شيئاً حيّاً ناطقاً[٢]، ويعبرون عن ذلك بأن الله - تعالى عن كفرهم - ثلاثة أقانيم، وحينئذ يرد عليهم بالآتي:

١- لم خصصتم الأقانيم الثلاثة؟ فإنه قد ثبت أنه: موجود، حي عليم، قادر، سميع، بصير، كريم، خالق، رازق...، فيلزمكم على قولكم هذا أن تُثبتوا القدرة، والسمع، والبصر،.. وسائر الصفات الثابتة، فإن أسماء الله تعالى وصفاته متعددة كثيرة، ومنها تسعة وتسعون اسماً[٣]، فالاقتصار على ثلاثة أسماء أو ثلاث صفات باطل مردود[٤].

٢- **قولكم:** الأبُ الذي هو ابتداء الاثنين، والابن النطق الذي هو مولود منه كولادة النطق من العقل: كلام باطل؛ لأن صفات الكمال لازمة لذات الله أولاً وآخراً، فهو لم يزل ولا يزال حيّاً، عالماً، فلم يَصِرْ حيّاً بعد أن لم يكن حيّاً، ولا عالماً بعد أن لم يكن عالماً!!

٣- **قولكم في النطق:** إنه الابن، وإنه مولود من الله - تعالى -: إن أردتم به أنه صفة لازمة له، فكذلك الحياة صفة لازمة له، فيكون روح القدس أيضاً ابناً ثانياً، وإن أردتم أنه حصل

---

(١) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، ٢/ ٢٢٨.
(٢) انظر: الجواب الصحيح ٢/ ١٠٠، ١١٢، والداعي إلى الإسلام ص٣٥٩، والفصل لابن حزم، ١/ ١١٩.
(٣) صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الإقرار (٢٧٣٦) ومسلم، كتاب الذكر، باب أسماء الله تعالى (٢٦٧٧).
(٤) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢/ ١١٣.

منه بعد أن لم يكن لزم أن يكون عالماً بعد أن لم يكن، وهذا مع كونه باطلاً وكفراً فيلزم مثله في الحياة، وأنه صار حيّاً بعد أن لم يكن حيّاً، تعالى الله وتقدس عن ذلك!!

٤- **إن تسمية حياة الله**: روح القدس، لم ينطق به شيء من كتب الله المنزلة، فإطلاق روح القدس على حياة الله من التبديل والتحريف للكلم عن مواضعه.

٥- إنكم تدعون أن المتجسد بالمسيح هو الكلمة، الذي هو العلم، وهذا إن أردتم به نفس الذات العالمة الناطقة كان المسيح هو الأب، وهو الابن، وهو روح القدس، وهذا عندكم وعند جميع الناس باطل.

٦- العلم صفة، والصفة لا تَخلُق ولا تَرزُق، فإن الإله المعبود هو الإله الحي العليم القدير، وليس هو نفس الحياة ولا نفس العلم والكلام، فلو قال قائل: يا حياة الله، أو يا علم الله، أو يا كلام الله اغفر لي وارحمني... كان هذا باطلاً في صريح العقل.

٧- لفظ الأب، والابن، وروح القدس، هذه الألفاظ لا تدل على ما فسروها به في لغة أحد من الأمم، ولا يوجد في كلام أحد من الأنبياء أنه عبر بهذه الألفاظ عما ذكروه من المعاني، بل ذلك مما ابتدعه النصارى[١].

◆ رابعاً: إبطال عقيدة التثليث بما في كتب النصارى:

من الأدلة التي تُلزم أصحاب التثليث أن يبين لهم بالقول الحكيم ما في كتبهم التي يعترفون بها، فإن فيها ما يبطل قولهم وعقيدتهم في التثليث، ومن ذلك على سبيل المثال:

(أ) جاء في إنجيل يُوحنَّا: إن المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ قال في دعائه: «إن الحياة الدائمة إنما تجبُ للناس بأن يشهدوا أنك أنت الله الواحد الحق، وأنك أرسلت اليسوع المسيح»[٢].

(١) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢/ ٩١.
(٢) هداية الحيارى لابن القيم، ص٦٢٠.

وهذه حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله، ولا معبود بحقٍّ سواه.

(ب) وقال: «إن الله ﷻ ما أكل ولا يأكل، وما شرب ولا يشرب، ولم ينم ولا ينام، ولا ولد له ولا يلد ولا يولد، ولا رآه أحد ولا يراه أحد[1] إلا مات»[2].

وغير ذلك من الأمثلة كثير لا يتسع المقام لذكرها[3].

◆ خامساً: إبطال القرآن الكريم لعقيدة التثليث:

القرآن هو الأصل في تصحيح العقائد، فهو المحفوظ من الله عن التبديل والتحريف يتولى الرد على هذه القضية بأوجز عبارة وأوضحها[4]، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ﴾[النساء: ١٧١].

وقال تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾ [المائدة: ١٧].

وقال تعالى: ﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ۝٧٢ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ

---

(١) المقصود بنفي الرؤية هنا في الدنيا، أما في الآخرة فإن المؤمنين يرون ربهم في الجنة، وهو أعظم نعيم أهل الجنة.
(٢) انظر: هداية الحيارى، ص٦٢١.
(٣) انظر كثيراً من الأمثلة على ذلك في: هداية الحيارى، ص٦٢٠-٦٢٢، وإظهار الحق، ٢/ ٢٥-٣٩.
(٤) انظر: الجواب الصحيح، ٢/ ٢٧٩-٢٨١.

ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٢ – ٧٥].

وقال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡ﴾ [المائدة: ١١٦ – ١١٧].

المعلم الثاني

الأدلة والبراهين القاطعة على بشرية عيسى وعبوديته لله

أي: أن يُبين لهم أن عيسى عليه السلام عبدالله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، خلقه عز وجل، وبيّن لعباده أنه مخلوق، وأن ذلك لا يُعجزه قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٩ – ٦٠].

فقد خلق الله تعالى هذا النوع على الأقسام الممكنة، ليبين عموم قدرته، فخلق آدم من غير ذكر ولا أنثى، وخلق زوجته حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، وكان خلق آدم وحواء أعجب من خلق المسيح، ولهذا شبهه الله بخلق آدم، فإذا كان سبحانه قادراً أن يخلقه من تراب، والتراب ليس من جنس بدن الإنسان، أفلا

يقدر أن يخلقه من امرأة هي من جنس بدن الإنسان؟[١]، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

وقد أمر الله رسوله ﷺ أن يُباهل النصارى على حقيقة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأنه عبدالله ورسوله، فقال تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١]. وهذا كله يُبيّن أن عيسى عبدالله ورسوله، وأنه مخلوق، ويُبيّن أنّ النصارى بامتناعهم عن المباهلة وعن الدخول في الإسلام كانوا ظالمين[٢].

فعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عبدالله ورسوله، وأحد أنبيائه ورسله الكرام، ويتصف بصفات البشر، ويأكل الطعام كما يأكله البشر[٣]: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥].

وقد شهد رسول الله ﷺ بالجنة لمن شهد أن عيسى عبدالله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، فقال: **(من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم روح منه، وأن الجنة حقٌّ، والنار حقٌّ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل)**[٤].

---

(١) انظر: الجواب الصحيح ٢/ ٢٩٤، وتفسير القرآن العظيم، ١/ ٣٦٨.

(٢) انظر: الجواب الصحيح، ٢/ ٢٩٥، ودرء التعارض بين العقل والنقل، ١/ ١٩٨، وتفسير القرآن العظيم ١/ ٣٦٨.

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٨٢.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ﴾(٣٤٣٥)، ومسلم، في الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، (رقم ٢٨).

المعلم الثالث

بيان البراهين الدالة على إبطال قضية الصلب والقتل

زعم النصارى أن اليهود قتلوا عيسى عليه السلام وصلبوه وقُبِرَ، وقام في اليوم الثالث، وصعد إلى السماء[1]، وقد كذبهم الله فيما زعموا، ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧].

ومن الحكمة القولية في دعوتهم إلى الله وإبطال مذهبهم أن يُردّ عليهم بالآتي:

✧ أولاً: الأدلة العقلية:

(أ) بما أنكم أجمعتم أيها النصارى على القول بالاتحاد والصلب والقتل[2]، فهل كان الاتحاد موجوداً في حالة الصلب والقتل أم لا؟

فإن قلتم كان موجوداً، لزمكم القول بأن ابن الله القديم - في زعمكم - مات وصُلِبَ، لأن جواز القتل كجواز الموت والحركة والسكون والافتراق، وفيه جواز موت الأب والروح، وهذا لا يقولون به.

فإن قالوا: إن الاتحاد بَطل، قيل لهم: فيجب ألا يكون المقتول مسيحاً؛ لأن الجسد عند انتقاضِ الاتحاد ليس بمسيح، فبطل قولكم بأن المسيح قُتِلَ وصلب.

(ب) أنتم تزعمون أن المسيح قُتِلَ وصُلِب، والمسيح في عقيدتكم كان لاهوتاً

---

(١) انظر: الجواب الصحيح، ٢/ ١١٦، والداعي إلى الإسلام للأنباري، ص٣٧٧، وإغاثة اللهفان، ٢/ ٢٧٣، وهداية الحيارى، ص٦١٨.

(٢) قالوا: إن الإله اتحد مع الإنسان فصار شيئاً واحداً: اتحاد الكلمة بجسد المسيح، ولا يسمون الكلمة التي هي العلم عندهم ابناً إلا بعد تدرعها بالمسيح، فالمسيح عندهم مع ما تدرع به: ابن... انظر: الفصل لابن حزم، ١/ ١١٧، والداعي إلى الإسلام، ص٣٦٥، والملل للشهرستاني، ١/ ٢٢٢.

وناسوتاً، فيلزم من ذلك إطلاق القول بقتل إلهكم، لأن المسيح عندكم إله مُطلق، ومن ضرورة ذلك إطلاق القول بقتل الإله وموته، وذلك مروق عن الدين(١).

فإن قالوا: إنما قُتل الناسوتُ دن اللاهوت. قيل لهم: هذا باطل من وجهين:

١- أن ناسوته لم يصلب وليس فيه لاهوتاً.

٢- ذكركم ذلك دعوى مُجردة، فيكفي في مقابلتها المنع(٢).

(ج) إذا كان عيسى ابن الله - تعالى - قديم الروح بزعمكم فكيف قدر اليهود على أن يقتلوا ابن الله، وهو إله عندكم، والإله لا يُقتل!!

فإن قالوا: إنما قُتِلَ الهيكل دون الروح، قيل لهم: قد بطل الاتحاد الذي ادعيتموه، فكان يجب أن يمنع الروح واللاهوت عن القتل وإتلاف الهيكل والناسوت، فدل ذلك على أنه كان عبداً لله ورسولاً له، لا ابناً له(٣).

✧ ثانياً: أخبار القتل والصلب مصدرها اليهود:

من المعلوم يقيناً أن أخبار المسيح والصلب والقتل إنما تلقاها النصارى عن اليهود، وقد ثبت أنه لم يحضر أحد منهم، وإنما قال اليهود: قتلناه وصلبناه، وهم أعظم أعدائه الذين رموه وأمه بالعظائم، وأجمعت اليهود على أن عيسى عليه السلام لم يدَّع شيئاً من الإلهية التي نسبها إليه النصارى، فحينئذ يقال للنصارى: إن صدقتم اليهود في القتل والصلب فصدقوهم في أنه ليس بإله، بل هو عبد مخلوق!(٤).

(١) انظر: الداعي إلى الإسلام، ص٣٧٨.
(٢) انظر: الجواب الصحيح، ٢/ ٢٩٧، وإغاثة اللهفان، ٢/ ٢٩٠.
(٣) انظر: الداعي إلى الإسلام للأنباري، ص٣٧٨، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢/ ٢٧٩-٢٩٤.
(٤) انظر: هداية الحيارى، ص٦٣٧-٦٣٩، والجواب الصحيح، ٢/ ٢٨٣.

ومن العجيب أن النصارى يُعظِّمون الصليب، وكان من مقتضى العقول أن يحرِّقوا كل صليب وجدوه، لأنه قد صُلِبَ عليه إلههم ومعبودهم بزعمهم.. فبأي وجه بعد هذا يستحق الصليب التعظيم[1].

✧ ثالثاً: تناقض الأناجيل في قضية الصلب:

وقع في قضية الصلب في الأناجيل المعتمدة عند النصارى أكثر من ثلاثين تناقضاً، فيطبق على هذه التناقضات قاعدة: كل ما تسرب إليه الاحتمال سقط به الاستدلال[2].

فكل ما تعلق بالصلب اشتبه أمره على النصارى، وغابت عنهم الحقيقة، فهم لا يزالون مختلفين، وبهذا يسقط قولهم؛ لأنهم لا علم لهم ولا دليل يعتمدون عليه[3].

✧ رابعاً: إبطال القرآن الكريم لقضية الصلب والقتل:

قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٧ - ١٥٨]، وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وقال تعالى حكاية عن المسيح: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧]. والوفاة هنا بمعنى القبض، كما يقال: توفيت من فلان ما لي عليه، بمعنى: قبضته واستوفيته، أي: إني قابضك من الأرض ورافعك إليَّ[4].

---

(١) انظر: إغاثة اللهفان ٢/ ٨٥، وهداية الحيارى، ص٤٩٥، والفصل لابن حزم، ١/ ١٢٣-١٢٨.

(٢) انظر أمثلة هذه التناقضات مع إحالتها إلى الأناجيل في: المناظرة بين الإسلام والنصرانية ص٦٢-١٠٨، والإنجيل دراسة وتحليل د. محمد شلبي، ص٩٤-١٢١.

(٣) انظر: المناظرة بين الإسلام والنصرانية، ص١٠٤.

(٤) ورجح هذا القول الطبري في جامع البيان، ٣/ ٢٠٣، وهناك أقوال أخرى في معنى الوفاة هنا، فمنهم من قال: النوم، وهم الأكثر، كما قاله ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ١/ ٣٦٧، وهناك أقوال أخرى: انظر: جامع البيان ٣/ ٢٠٢-٢٠٤، ومعالم التنزيل ١/ ٣٠٨، وزاد المسير، ١/ ٣٩٦، والجواب الصحيح ٢/ ٢٨٥، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ١/ ٣٤٢.

وقوله ﷻ: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾[النساء: ١٥٩]، يعم اليهود والنصارى، فدلَّ ذلك على أن جميع أهل الكتاب يؤمنون بالمسيح قبل موته، وذلك إذا نزل في آخر الزمان[(١)] آمنت اليهود والنصارى بأنه رسول الله، ثم بعد أن يحكم بشريعة محمد ﷺ يموت كما يموت البشر قبل يوم القيامة.

المعلم الرابع

بيان وقوع النسخ والتحريف في الأناجيل

أي: أن الإسلام نسخ جميع الشرائع السابقة، وأن ما وجد من الكتب السابقة فهو بين أمرين: إما حق قد نسخته الشريعة الإسلامية، وإما كلام محرف أو خلط فيه الحق بالباطل.

ومن المعلوم أن النصارى يقسمون الكتاب إلى قسمين، كتب العهد القديم[(٢)]، كتب العهد الجديد[(٣)].

والقول بالتحريف في كتب العهد الجديد عند النصارى أيسر عليهم من القول

(١) انظر خبر نزول عيسى آخر الزمان وحكمه بالشريعة الإسلامية في صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب نزول عيسى ابن مريم (٣٤٤٨)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد (١٥٥).

(٢) كتب العهد القديم هي ما يدعي النصارى أنه وصل إليهم بواسطة الأنبياء الذين كانوا قبل عيسى، وأشهر هذه الكتب خمسة: وهي التكوين، والخروج. والأخبار، والعدد، والاستثناء، ومجموع هذه الكتب يسمى بالتوراة. انظر إظهار الحق، لرحمة الله الهندي، ١/ ٩٥-٩٨، واليهودية والمسيحية، محمد ضياء الرحمن الأعظمي، ص٩٩-١٨٣.

(٣) كتب العهد الجديد هي ما يدعي النصارى أنها كتبت بالإلهام بعد عيسى عليه السلام، وأشهرها الأناجيل الأربعة: متى، ومرقس، ولوقا، ويوحنا. انظر: إظهار الحق، ١/ ٩٥-٩٨، واليهود والمسيحية، ص٣١٣-٣٥٢.

بالتحريف في العهد القديم؛ لأنهم لا يدعون أن الأناجيل منزلة من عند الله تعالى على المسيح، ولا أن المسيح عليه السلام أتاهم بها، بل كلهم مُجمعون على أنها أربعة تواريخ ألفها أربعة رجال في أزمان مختلفة[(١)]، ولهذا قال ابن تيمية: «الإنجيل بمنزلة ما ينقل من أقوال الأنبياء وسيرهم، ويقع في ذلك الصح والخطأ»[(٢)].

ولسعة هذا الموضوع سأقتصر على ما يثبت وقوع التحريف في الأناجيل بالأمثلة الآتية:

أولاً: النتيجة التي لا مفرّ من التسليم بها أن الأناجيل القانونية الموجودة الآن ما هي إلا كتب مؤلفة:

وهي تبعاً لذلك معرّضة للخطأ والصواب، ولا يمكن الادعاء ولو لحظة أنها كتبت بإلهام؛ فلقد كتبها أناس مجهولون، في أماكن غير معلومة، وفي تواريخ غير مؤكدة، والشيء المؤكد أن هذه الأناجيل مختلفة غير متآلفة، بل إنها متناقضة مع نفسها، ومع حقائق العالم الخارجي، لأنها فشلت في تنبؤات كثيرة، كالقول بنهاية العالم، وهذا القول قد يضايق النصراني العادي، بل قد يصدمه؛ ولكن بالنسبة للعالم النصراني فقد أصبح ذلك عنده حقيقة مسلم بها[(٣)]، لِمَا أجراه من أبحاث، ولِمَا علمه من واقع الأناجيل.

ثانياً: الشواهد على التحريف من الأناجيل:

١- جاء في إنجيل مرقس: أن المسيح قال لتلاميذه: «اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها، من آمن واعتمد خلص، ومن لم يؤمن يدن، وهذه

---

(١) انظر: الفصل لابن حزم، ٢/ ١٣، والجواب الصحيح ٢/ ١٩، والمناظرة بين الإسلام والنصرانية، ص٤٧.
(٢) انظر: الجواب الصحيح، ٢/ ١٩.
(٣) انظر: المناظرة بين الإسلام والنصرانية، ص٣٥-٥٠، فهناك تجد كثيراً من الأمثلة على هذه التناقضات.

الآيات تتبع المؤمنين يخرجون الشياطين باسمي، ويتكلمون بألسنة جديدة، يحملون حيّات، وإن شربوا شيئاً مميتاً لا يضرهم، ويضعون أيديهم على المرضى فيبرؤون»(١).

ففي هذا النص حجة على النصارى من وجهين:

الوجه الأول: قولهم عن عيسى: إنه أمرهم أن يبشروا بالإنجيل، فدل ذلك على أن إنجيلاً أتاهم به وليس هو عندهم الآن، وإنما عندهم أربعة أناجيل متغايرة، وليس منها إنجيل أُلِّف إلا بعد رفع عيسى عليه السلام بأعوام كثيرة، فصحّ أن ذلك الإنجيل الذي أخبر المسيح أنه أتاهم به وأمرهم بالتبشير به ذهب عنهم؛ لأنهم لا يعرفون له أصلاً، وهذا ما لا يمكن سواه.

الوجه الثاني: قولهم: إنه وعد كل من آمن بدعوة التلاميذ أنهم يتكلمون بلغات لا يعرفونها، وينفون الجن عن المجانين، ويضعون أيديهم على المرضى فيبرءون، ويحملون الحيّات، وإن شربُوا شربة قتَّالة لا تضرهم، وهذا وعد ظاهر الكذب؛ فإن ما من النصارى أحد يتكلم بلغة لم يتعلمها، ولا منهم أحد ينفي جنيّاً، ولا من يحمل حية فلا تضره، ولا من يضع يده على مريض فيُشفى، ولا منهم أحد يُسقى السم فلا يضره، وهم معترفون بأن يوحنا - صاحب الإنجيل - قتل بالسم وحاشا لله أن يأتي نبي بمواعيد كاذبة، وهذا دليل على تحريف النصارى وتناقضهم وتكذيبهم أنفسهم)(٢).

٢- ومن ذلك ما جاء في إنجيل متّى أن عيسى عليه السلام دعا على شجرة تين خضراء، فيبست التينة في الحال، فتعجب التلاميذ من ذلك، فقال لهم عيسى: **(الحق أقول لكم إن كان لكم إيمان، ولا تشكُّوا أمر التينة فقط، بل إن قلتم أيضاً لهذا الجبل انتقل وانطرح في البحر فيكون)**(٣).

---

(١) انظر: الفصل لابن حزم، ٢/ ١٣٩، وعزاه المحقق إلى إنجيل مرقس، الإصحاح ١٦/ ١٥-١٨.
(٢) انظر: الفصل لابن حزم، ٢/ ١٣٩.
(٣) انظر: الفصل لابن حزم، ٢/ ١٣٩. وعزاه المحقق إلى إنجيل متى، الإصحاح ٢١/ ١٨- ٢٢.

وهـذا فيه حجّـة على النصارى، وذلـك أن الأمر لا يخلو مـن أن يكون النصارى مؤمنيـن بالمسـيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، أو غيـر مؤمنين، فإن كانـوا مؤمنين، فقد كذبوا المسـيح فيما نسـبوه إليه في هذه المقالة - وحاشـا له من الكذب - فليس منهم أحد قدر على أن يأمر حبة من خردل بالانتقال فتنتقل، فكيف على قلع جبل وإلقائه في البحر!

وإن كانوا غير مؤمنين به فهم بإقرارهم هذا كفار، ولا يجوز أن يصدق كافر[١].

وبهذا يتبين أن الأناجيل وقع فيها تحريفٌ عظيم، ولا يعتمد عليها، ولا مخرج من هذا التيه إلا بالدخول في الإسلام.

المعلم الخامس

إثبات اعتراف المنصفين من علماء النصارى

أي: الاستشهاد عليهم بشهادة المنصفين من علماء النصارى، ومن وفقه الله منهم للإسلام، ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي:

أولاً: النجاشي ملك الحبشة:

عندما قرأ جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على النجاشـي صدراً من سـورة مريم، بكى النجاشـي حتـى اخضلـت لحيته، وبكى أسـاقفته حين سـمعوا مـا تُلي عليهـم، وقال النجاشـي للوفد: ما يقول صاحبكم في ابن مريم؟ فقال جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يقول فيه قول الله: هو روح الله وكلمته، أخرجه من البتول العذراء التي لم يقربها بشـر... فتناول النجاشي عوداً فرفعه، فقال: يا معشر القسيسين والرهبان، ما يزيد على ما تقولون في ابن مريم ما

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٢/ ١٤-٢٠٠، والمناظرة بين الإسلام والنصرانية، ص٣٢-٤٥٢.

تزن هذه، وقال للوفد: مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده، فأنا أشهد أنه رسول الله، وأنه الذي بشَّر به عيسى، ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أقبل نعله...»[(١)].

ثانياً: سلمان الفارسي ۞ وأرضاه:

قصة سلمان مشهورة عجيبة[(٢)]، فقد عاش مع مجموعة من علماء النصارى، وعندما كان مع آخر عالم من هؤلاء بعمورية بالروم حضرته الوفاةُ، فأوصى سلمان الفارسي وقال: «قد أظلَّكَ زمان نبي يُبعثُ من الحرم، مهاجره بين حرتين إلى أرض سبخة ذات نخل، وإن فيه علامات لا تخفى: بين كتفيه خاتم النبوة، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، فإن استطعت أن تخلص إلى تلك البلاد فافعل، فإنه قد أظلك زمانه»، وسافر سلمان ووجد العلامات التي وصفت له، فأسلم رَضِوَٱللَّهُعَنْهُ[(٣)].

ثالثاً: هرقل عظيم الروم:

قال هرقل لأبي سفيان في آخر حديثه: «... وسألتك هل يغدر؟ فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر، وسألتك بم يأمركم؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف فإن كان ما تقول حقّاً فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، لم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه...».

ثم قال للروم بعد ذلك: يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد، وأن يثبت

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء، ١/ ٤٣٨.
(٢) انظر: قصته وإسلامه في سير أعلام النبلاء، ١/ ٥٠٥-٥٥٦.
(٣) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، ١/ ٥٠٩، ٥١٠.

مُلككم فتبايعوا هذا النبي؟ ولكن رغب في ملكه وضنَّ به، فلم يسلم[١]!

فينبغي للداعية إلى الله أن لا يُغفل هذا المسلك في دعوته للنصارى إلى الله تعالى[٢].

وبعد زمان النبي ﷺ وإلى يومنا هذا، فلا يزال يُسْلِمُ من علمائهم الكثير، ويعترفون بما في دينهم من التحريف والكذب والتناقض الظاهر، بل غالباً ينقلبون لدعاة إلى الإسلام ينفع الله بجهدهم.

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف بدء الوحي (٧)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام (١٧٧٣).

(٢) ممن سلك هذا المسلك من العلماء المعاصرين: د. عبدالمجيد الزنداني، فهو يستشهد على النصارى بشهادة علمائهم، فأسلم على يديه الجم الغفير، وكذا د. ديدات، د. ذاكر وغيرهم.

المبحث الثاني
دعوة الوثنيين

وفيه بيان لدعوة الوثنيين في عشرة معالم

المبحث الثاني

دعوة الوثنيين[(١)]

الوثني: من يتدين بعبادة الوثن[(٢)].

واسم الوثن يتناول كل معبود من دون الله. سواء كان ذلك المعبود قبراً، أو مشهداً، أو صورة، أو غير ذلك[(٣)].

فكل من دعا نبيّاً أو وليّاً أو ملكاً أو جنيّاً، أو صرف له شيئاً من العبادة فقد اتخذه إلهاً من دون الله[(٤)]، وهذا هو حقيقة الشرك الأكبر، الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

ويمكن بيان معالم دعوة الوثنيين في المباحث التالية:

المعلم الأول

بيان الحجج على إثبات ألوهية الله تعالى

من البراهين التي ينبغي للدعاة إلى الله توضيحها لمن اتخذ من دون الله آلهة، قوله

(١) تم تلخيص مادة هذا المبحث من بحث بعنوان دعوة الوثنيون للشيخ سعيد بن وهف القحطاني، وينظر: منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين للإسلام، د. حمود بن أحمد الرحيلي، والمفصل في فقه الدعوة إلى الله تعالى، جمع وإعداد: علي الشحود، الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، لـ د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني.

(٢) انظر: القاموس المحيط ص١٥٩٧، وص١٤٦٠، والمعجم الوسيط ٢/ ١٠١٢، و١/ ٥٢٦، والمصباح المنير ص٦٤٧، ٦٤٨ ص٣٤٩، ومختار الصحاح، ص٢٩٥، ص١٥٦.

(٣) انظر: فتح المجيد، شرح كتاب التوحيد، للشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، ص٢٤٤.

(٤) انظر: فتح المجيد، شرح كتاب التوحيد، ص٢٤٢.

تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ۝٢١ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٢٢ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢١ - ٢٣].

لأن تعدد الآلهة يقتضي التمانع والتنازع والاختلاف، فيحدث الهلاك، فلو فُرِضَ وجود إلهين، وأراد أحدهما أن يخلق شيئاً والآخر لا يريد، أو أراد أن يُعطي والآخر أراد أن يمنع، أو أراد أحدهما تحريك جسم والآخر يريد تسكينه، فحينئذ يختل نظام العالم، وتفسد الحياة!.

وحينئذ يتعين أن القاهر الغالب على أمره هو الذي يوجد مراده وحده من غير مُمانع ولا مُدافع، ولا مُنازع ولا مُخالف ولا شريك، وهو الله الخالق الإله الواحد، لا إله إلا هو، ولا رب سواه؛ ولهذا ذكر سبحانه دليل التمانع في قوله ﷻ: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٩١ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١ - ٩٢].

وإتقان العالم العلوي والسفلي، وانتظامه منذ خلقه، واتساقه، وارتباط بعضه ببعض في غاية الدقة والكمال: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [الملك: ٣]، وكل ذلك مسخر، ومدبر بالحكمة لمصالح الخلق كلهم - يدل على أن مدبره واحد، وربه واحد، وإلهه واحد، لا معبود غيره، ولا خالق سواه(١).

(١) انظر: درء التعارض بين العقل والنقل، ٩/ ٣٥٢، ٣٥٤، ٣٣٧-٣٨٢، ١/ ٣٥-٣٧، ومعالم التنزيل، ٣/ ٢٤١، ٣١٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٣/ ٢٥٥، ١٧٦، وفتح القدير ٣/ ٤٠٢، ٤٩٦، وأيسر التفاسير للجزائري، ٣/ ٩٩، ومناهج الجدل في القرآن الكريم د. زاهر بن عواض ص١٥٨-١٦١.

المعلم الثاني

بيان ضعف جميع المعبودات من دون الله من كل الوجوه

من المعلوم عند جميع العقلاء أن كل ما عُبِدَ من دون الله من الآلهة ضعيف من كل الوجوه، وعاجز ومخذول، وهذه الآلهة لا تملك لنفسها ولا لغيرها شيئاً من ضر أو نفع، أو حياة أو موت، أو إعطاء أو منع، أو خفض أو رفع، أو عز أو ذل، وأنها لا تتصف بأي صفة من الصفات التي يتصف بها الإله الحق، فكيف يعبد من هذه حاله؟ وكيف يُرجى أو يُخاف من هذه صفاته؟ وكيف يُسأل من لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم شيئاً[(١)].

وقد بيّن الله ﷻ ضعف وعجز كل ما عبد من دونه أكمل بيان، فقال سبحانه: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الرعد: ١٦]، وقال: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: ٢٢].

المعلم الثالث

ضرب الأمثلة الحكيمة

ضرب الأمثال من أوضح وأقوى أساليب الإيضاح والبيان في إبراز الحقائق المعقولة في صورة الأمر المحسوس، وهذا من أعظم ما يُردُّ به على الوثنيين في إبطال عقيدتهم

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٢/ ٨٣، ٢١٩، ٢٧٧، ٤١٧، ٣/ ٤٧، ٢١١، ٣١٠، وأضواء البيان ٢/ ٤٨٢، ٣/ ١٠١، ٣٢٢، ٥٩٨، ٥/ ٤٤.

وتسويتهم المخلوق بالخالق في العبادة والتعظيم؛ ومنها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣].

يقول الشيخ ابن سعدي: «هذا مثل ضربه الله لقبح عبادة الأوثان، وبيان نقصان عقول من عبدها، وضعف الجميع»[(١)].

المعلم الرابع

بيان أن الكمال المطلق للإله الحق المستحق للعبادة وحده

الذي يستحق العبادة وحده من يملك القدرة على كل شيء، والإحاطة بكل شيء، وكمال السلطان والغلبة والقهر والهيمنة على كل شيء، والعلم بكل شيء، ويملك الدنيا والآخرة، والنفع والضر، والعطاء والمنع بيده وحده، فمن كان هذا شأنه فإنه حقيق بأن يُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر، ويُطاع فلا يُعصى، ولا يُشرك معه غيره[(٢)].

وصفات الكمال المطلق للّه - تعالى - لا يحيط بها أحد، ولكن منها على سبيل المثال:

١ - **المتفرد بالألوهية:** لا يستحق الألوهية إلا الله وحده، الحي الذي لا يموت أبداً، القيوم الذي قام بنفسه، واستغنى عن جميع المخلوقات، وهي مفتقرة إليه في كل شيء، ومن كمال حياته وقيوميته أنه لا تأخذه سنة ولا نوم، وجميع ما في السماوات والأرض عبيده، وتحت قهره وسلطانه، ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٥٤٦.

(٢) انظر: معالم التنزيل، ١/ ٢٣٧، ٣/ ٧١، ٢/ ٨٨، ٣٧٢، وتفسير القرآن العظيم، ١/ ٣٠٩، ٢/ ٥٧٢، ٣/ ٤٢، ٢/ ١٢٧، ٤٣٥، ٥٧٠، ١/ ٣٤٤، ٢/ ١٣٨، وأضواء البيان، ٢/ ١٨٧، ٣/ ٢٧١.

٢- **وهو الإله الذي خضع كل شيء لسلطانه،** فانقادت له المخلوقات بأسرها: جماداتها وحيواناتها، وإنسها وجنّها وملائكتها ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣].

٣- **وهو الإله الذي بيده النفع والضر،** قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧].

٤- **وهو القادر على كل شيء،** ولا يعجزه شيء، قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

٥- **إحاطة علمه بكل شيء،** شامل للغيوب كلها: يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون[1]، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝٥﴾ [آل عمران: ٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: ٦١]، وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

المعلم الخامس

بيان أن التوحيد دعوة جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام

يجب أن يُبلّغ كل من أشرك بالله تعالى أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام دعوا أقوامهم إلى عبادة الله وحده دون ما سواه، وأن الحجة قد قامت على جميع الأمم، وما

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ١/ ٣٤٤، ٢/ ١٣٨.

من أمة إلا بعث الله فيهم رسولاً، وكلهم يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له[١]، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥] فالداعية إلى الله تعالى يقوم بإيصال هذه الحكم القولية إلى الناس، ويبين لهم ذلك، فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها، وما ربك بظلام للعبيد.

المعلم السادس

بيان أن الغلو في الصالحين سبب شرك البشر

من أعظم الحكم القولية في دعوة من تعلق بغير الله تعالى، أن يبين لهم أن الغلو في الصالحين هو سبب الشرك بالله تعالى فقد كان الناس منذ أُهبط آدم عليه السلام إلى الأرض على الإسلام، قال ابن عباس: «كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام»[٢]، وبعد ذلك تعلق الناس بالصالحين، ودب الشرك في الأرض، فبعث الله نوحاً عليه السلام يدعو إلى عبادة الله وحده، وينهى عن عبادة ما سواه[٣]، وردّ عليه قومه: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣].

وهذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم

(١) انظر: درء التعارض بين العقل والنقل، ٩/ ٣٤٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٢/ ٥٦٧، وأضواء البيان للشنقيطي ٣/ ٢٦٨.

(٢) جامع البيان، ٤/ ٢٧٥ (٤٠٤٨)، والمستدرك على الصحيحين ٢/ ٥٤٦-٥٤٧، وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية، ١/ ١٠١.

(٣) انظر: البداية والنهاية لابن كثير، ١/ ١٠٦.

أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تُعبد حتى إذا هلك أولئك ونُسِيَ العلم عُبِدت[١].

ولهذا حذَّر رسول الله ﷺ عن الإطراء، فقال: **(لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبدالله ورسوله)**[٢].

وحذر عن اتخاذ المساجد على القبور؛ لأن عبادة الله عند قبور الصالحين وسيلة إلى عبادتهم، قال رسول الله ﷺ: **(إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة)**[٣].

ومن حرص النبي ﷺ على أمته أنه عندما نزل به الموت قال: **(لَعْنَةُ الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)**. قالت عائشة: يحذر ما صنعوا[٤]، وقال قبل أن يموت بخمس: **(ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك)**[٥].

وحذّر ﷺ أمته عن اتخاذ قبره وثناً يعبد من دون الله، ومن باب أولى غيره من الخلق، فقال: **(اللَّهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)**[٦].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب سورة نوح (٤٩٢٠).
(٢) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ﴾ (٣٤٤٥).
(٣) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب: هل تنبش قبور مشركي الجاهلية، ويتخذ مكانها مساجد (٤٢٧) ومسلم، المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور (٥٢٨)
(٤) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب حدثنا أبو اليمان (٤٣٥، ٤٣٦)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها (٥٣١).
(٥) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور(٥٣٢).
(٦) الموطأ للإمام مالك، كتاب قصر الصلاة في السفر، باب جامع الصلاة، ١/ ١٧٢، وهو عنده مرسل، ولفظ أحمد، ٢/ ٢٤٦: **(اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد، ولعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)**، وأبو نعيم في الحلية، ٧/ ٣١٧، وانظر: فتح المجيد، ص١٥٠.

المعلم السابع

بيان الشفاعة المنفية

الشفاعة لغة: يُقال: شفع الشيء: ضمَّ مثله إليه، فجعل الوتر شفعاً[(١)].

واصطلاحاً: التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرةٍ[(٢)].

من الحكمة القولية في دعوة من يتعلق بغير الله تعالى ويطلب الشفاعة منه أن يبين له أن الشفاعة ملك لله وحده: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [الزمر: ٤٤].

ويمكن أن يرد على من طلب الشفاعة من غير الله ببيان أن **المخلوق ليس كالخالق**، فكل من قال: إن الأنبياء والصالحين والملائكة أو غيرهم من المخلوقين لهم عند الله جاهٌ عظيمٌ ومقاماتٌ عاليةٌ، فهم يشفعون لنا عنده كما يتقرب إلى الوجهاء والوزراء عند الملوك والسلاطين، ليجعلوهم وسائط لقضاء حاجاتهم، فهذا القول من أبطل الباطل؛ لأنه شبه الله العظيم ملك الملوك بالملوك الفقراء المحتاجين للوزراء والوجهاء في تكميل ملكهم ونفوذ قوتهم، قال تعالى: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨].

ولهذا قطع الله جميع أنواع التعلقات بغيره، وبين بطلانها، فقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ

---

(١) انظر: القاموس المحيط، باب العين ص٩٤٧، والنهاية في غريب الحديث، ٢/ ٤٨٥، والمعجم الوسيط، ١/ ٤٨٧.

(٢) انظر: شرح لمعة الاعتقاد للشيخ محمد بن صالح العثيمين، ص٨٠.

﴿فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٢ - ٢٣] فقد سدّت هذه الآية على المشركين جميع الطرق التي دخلوا منها إلى الشرك أبلغ سد وأحكمه، فإن العابد إنما يتعلق بالمعبود لما يرجو من نفعه، وحينئذ فلابد أن يكون المعبود مالكاً للأسباب التي ينتفع بها عابده، أو يكون شريكاً لمالكها، أو ظهيراً أو وزيراً أو معاوناً له، أو وجيهاً ذا حرمة وقدر يشفع عنده، فإذا انتفت هذه الأمور الأربعة من كل وجه انتفت أسباب الشرك وانقطعت مواده(١).

المعلم الثامن

بيان أن الإله الحق سخر جميع ما في الكون لعباده

أي: لفت أنظارهم وقلوبهم إلى نعم الله العظيمة: الظاهرة والباطنة، والدينية والدنيوية. فقد أسبغ على عباده جميع النعم وسخر هذا الكون وما فيه من مخلوقات لهذا الإنسان.

وقد بين سبحانه هذه النعم، وامتن بها على عباده، وأنه المستحق للعبادة وحده، ومما امتن الله به على وجه الإجمال، قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[لقمان: ٢٠].

وعلى وجه التفصيل يقول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّر لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٢ - ٣٤].

---

(١) انظر: الصواعق المرسلة ٢/ ٣٦١.

والآيات في ذلك كثيرة، وكلها دالّة على أن الله وحده هو المعبود الذي لا تنبغي العبادة والذل والمحبة إلا له، وهذه أدلة عقلية لا تقبل ريباً ولا شكّاً على أن الله هو الحق، وأن ما يُدعى من دونه هو الباطل(١).

المعلم التاسع

بيان البعث بعد الموت

استبعد المشركون والملحدون إعادة الأجساد بعد موتها، إذا تقطعت الأوصال، وتمزقت الأجساد، وبليت العظام وتفتت وتفرّقت في أجزاء الأرض، وتحلل الجسد إلى ذرات ترابية، وربما أكلته السباع، فصار غذاء لها واختلط بأجزائها(٢). **والرد عليهم يكون بأمور:**

أولاً: حكمة الله تعالى وعدله يقتضيان البعث والجزاء:

لقد شاء الله ﷻ أن يجعل الحياة الدنيا دار ابتلاء واختبار وعمل، فأرسل الرسل، وأنزل الكتب، وأمر بعبادته وحده، وجعل داراً أخرى، وذلك من مقتضيات ملكه وحكمته وعدله؛ ليُثيب المحسن على إحسانه، ويُجازي المسيء على إساءته، ولم يخلق الخلق عبثاً، ولم يتركهم هملاً، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]، وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

وهو ﷻ لا يساوي بين الخبيث والطيب، والمحسن والمسيء والكافر والمؤمن، وقد أنكر على من ظن ذلك(٣) فقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ

(١) انظر: معالم التنزيل، ١/ ٥٩، ٣/ ٧٢، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٤٥١، ٤/ ١٤٩، وأضواء البيان ٣/ ٢٢٥.
(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٣/ ٤٥٨، ٤/ ٢٢٢، ومناهج الجدل، ص ٣١١.
(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٣/ ٤٥٨، وأضواء البيان، ٧/ ٣٠.

كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الجاثية: ٢١].

ثانياً: القادر على إيجاد الخلق قادر على إعادته، وهو أهون عليه:

الشيء إذا لم يكن ثم كان ثم أعدم فإن إعادته أيسر وأهون على من بدأه أول مرة ثم أفناه، وقد ردَّ الله سبحانه على من أنكر البعث بهذا، فقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[الروم: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: ٦٦ - ٦٧].

وغير ذلك من الأدلة القطعية التي تدل على أن من خلق الخلائق وابتدع خلقهم على غير مثال سابق قادر على إعادة خلقهم مرة أخرى، وهو أهون عليه، وله المثل الأعلى[١].

ثالثاً: الخالق لما هو أعظم قادر على خلق ما هو أصغر بلا شك:

من المعلوم ببداهة العقول أن خلق السماوات والأرض أعظم من خلق أمثال بني آدم، فخلقه لهذه المخلوقات العظيمة وقدرته عليها من أعظم البراهين على بعث الناس بعد الموت؛ لأن من خلق الأعظم الأكبر لا شك في قدرته الكاملة على خلق الأيسر الأضعف الأصغر، وهو أولى بالقدرة والإمكان من الأعظم[٢]، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: ٣٣].

رابعاً: اليقظة بعد النوم:

النوم يعتبر موتاً مصغراً، والاستيقاظ يعتبر حياة مصغرة أيضاً، وكما تتم عملية

---

(١) انظر: درء التعارض بين العقل والنقل، ١/ ٣٢-٣٥، وأضواء البيان، ١/ ٨٩، ١١٥، ٣/ ٢٢٣، ٧/ ٣٣٤-٣٣٦.

(٢) انظر: درء التعارض بين العقل والنقل، ١/ ٣٢، وأضواء البيان، ١/ ٨٩، ١١٦.

النوم للإنسان والحيوان وعملية الاستيقاظ تتم عملية الموت والحياة الكاملة لهما[١]، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٦٠].

خامساً: إخراج النار من الشجر الأخضر:

ومن الأدلة على بعث الأجساد والأرواح قدرة الله - تعالى - على إخراج النار اليابسة المحرقة من الشجر الأخضر الذي هو في غاية الرطوبة مع تضادهما وشدة تخالفهما، فالقادر على أن يخلق من الشجر الأخضر ناراً أولى بالقدرة على أن يخرج إنساناً حيّاً من التراب، كما خلقه أول مرة[٢]، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [يس: ٨٠].

سادساً: بيان الأدلة الحسية على إمكانية البعث:

من الأدلة الحسية التي شاهدها الناس ونقلها لنا أعظم الكتب والمهيمن عليها إحياء الله الموتى في الحياة الدنيا، ومن ذلك ما حصل لبني إسرائل الوارد في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥ - ٥٦].

وكذلك قصة القتيل الذي اختصم فيه بنو إسرائيل، فأمرهم الله تعالى أن يذبحوا بقرة، ثم يضربوه ببعضها، ثم فعلوا فأحياه الله، فأخبر بمن قتله، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٢ - ٧٣].

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٤/ ٢٤، وعقيدة المؤمن لأبي بكر الجزائري، ص٢٦٥.

(٢) انظر: درء التعارض بين العقل والنقل، ١/ ٣٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٣/ ٥٨٣.

وكذلك قصة القوم الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، فأماتهم الله تعالى ثم أحياهم، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

وكذلك قصة الرجل الذي مرّ على قرية ميتة فاستبعد أن يُحييها الله، فأماته الله مائة سنة ثم أحياه، قال تعالى: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

وقصة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ حين سأل الله أن يريه كيف يحيي الموتى؟ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

وما أخبر الله به عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من أنه كان يحيي الموتى، ويخرجهم من قبورهم بإذن الله تعالى: ﴿وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩].

فهذه أدلة حسية واقعة، وبرهان قطعي على القدرة الإلهية، وأن الذي أماتهم ثم أحياهم قادر على بعثهم يوم القيامة، فإنه لا يعجزه شيء سبحانه[١].

---

(١) انظر مناهج الجدل ص٣٢٨.

سابعاً: إحياء الأرض بعد موتها:

إحياء الله الأرض بعد موتها بُرهان قاطع من أعظم الأدلة على البعث بعد الموت؛ لأنه بُرهان حسي يتجدد بين يدي الناس، ويشاهدون فيه آثار قدرة الله تعالى في الإحياء المتجدد، ولأن من أخرج النبات وجعل في الأرض من كل زوج بهيج فأحيا الأرض بعد موتها قادر على إحياء الناس بعد موتهم[1] قال الله تعالى: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الروم: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩].

ثامناً: بيان الأدلة الشرعية:

رد الله تعالى شبه المنكرين للبعث، فقال تعالى: ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ﴾ [ق: ١ - ٤].

فبيّن سبحانه أنه يعلم ما تأكل الأرض من أجسادهم وأبشارهم وعظامهم وأشعارهم، ولا يخفى عليه أين تفرقت، وإلى أين ذهبت، كل ذلك عنده في كتاب مضبوط محفوظ[2].

وقال تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

---

(١) أضواء البيان، ١/ ٩٠، ١١٦، ٣/ ٢٢٣، ٧/ ٣٣٦، وشرح أصول الإيمان لمحمد بن صالح العثيمين، ص٤٩.
(٢) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٤/ ٢٢٣.

المعلم العاشر

استخدام أساليب متنوعة للإقناع

لا شك أن دعوة الوثنيين لا بد أن تكون بحكمة ومن الحكمة استخدام الأساليب المناسبة والمتنوعة ومنها:

أن لا تُسب آلهة المشركين، مخافةَ أن يحمل هذا السب أولئك الجهلة على سب الله تعالى، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوَۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[الأنعام: ١٠٨].

ومن أوسع أساليب القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى التوحيد أسلوب القصة، مثال ذلك: ما ذكره الله تعالى من قصة إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ مع قومه، وتحطيمه لأصنامهم، وذلك أنه لما حطم الأصنام وسألوه عَلَيْهِ السَّلَامُ عن من فعل ذلك الفعل؟ أحالهم إلى أخذ الإجابة من معبوداتهم الهزيلة، ساخراً منهم ومتهكماً بهم، وعند ذلك رجعوا إلى أنفسهم يلوم بعضهم بعضاً.

ومن ذلك طرح الأسئلة لإفحامهم، واستجوابهم عن أمور لا يمكنهم إنكارها، كالرزق والحواس، وأحوال الموت والحياة وشئون التدبير، قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣١- ٣٢].

وكذلك الاحتجاج عليهم باعترافهم بتوحيد الربوبية وإقرارهم بتوحيد الألوهية عند الشدائد، قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى

ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

وكذلك ضرب البراهين العقلية على وحدانية الله، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ [يوسف: ٣٩].

وكذلك الاستدلال بالمتقابلات، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ١٧].

المبحث الثالث

دعوة الملحدين

المبحث الثالث

دعوة الملحدين[(١)]

الإلحاد في الأصل هو: الميل والعدول عن الشيء، والظلم والجور، والجدال والمراء، يقال: لحد في الدين لحداً، وألحد إلحاداً، لمن مال وعدل وماري وجادل وظلم[(٢)].

واللحد: الشق الذي يعمل في جانب القبر لموضع الميت؛ لأنه قد أُميل عن وسط القبر إلى جانبه[(٣)].

والإلحاد: هو الميل عن الحق، والانحراف عنه بشتى الاعتقادات، والتأويل الفاسد، والمنحرف عن صراط الله والمعاكس لحكمه يسمى ملحداً[(٤)].

والمراد بالملحدين: من أنكروا وجود رب خالق لهذا الكون، متصرف فيه، يدبر أمره بعلمه وحكمته، ويجري أحداثه بإرادته وقدرته، واعتبار الكون أو مادته الأولى أزلية، واعتبار تغيراته قد تمت بالمصادفة، أو بمقتضى طبيعة المادة وقوانينها، واعتبار الحياة - وما تستتبع من شعور وفكر حتى قمتها الإنسان - من أثر التطور الذاتي للمادة[(٥)].

ويمكن بيان معالم دعوة الملحدين إلى الإيمان بالربوبية أولاً من خلال المعالم التالية:

---

(١) تم تلخيص مادة هذا المبحث من كتاب كيفية دعوة الملحدين للشيخ سعيد بن وهف القحطاني، وينظر كتاب: سابغات د. أحمد السيد، وبرنامج صناعة المحاور وصفحته على اليوتيوب.

(٢) انظر: القاموس المحيط ص١٠٤، والمعجم الوسيط ٢/ ٨١٧، ومختار الصحاح ص٢٤٧.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ٤/ ٢٣٦.

(٤) انظر: الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة، للشيخ عبدالرحمن بن محمد الدوسري، ص٤٠.

(٥) انظر: كواشف زيوف المذاهب المعاصرة، لعبدالرحمن الميداني، ص٤٠٩.

المعلم الأول

بيان الأدلة الفطرية على وجود الله تعالى

الفطرة: الخلقة التي خُلِقَ عليها كل موجود أول خلقة، والخلقة التي خلق عليها المولود في رحم أمه، والدين، والطبيعة السليمة التي لم تُشَبْ بعيبٍ[١].

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: **(ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يُهوِّدانه، أو ينصِّرانه، أو يمجِّسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون بها من جَدْعَاء[٢])**، ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: واقرءوا إن شئتم: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠][٣].

فيوضح ويبين لهم أن المولود يولد على نوع من الجبلة والطبع المتهيئ لقبول الدين، فلو تُرِكَ عليها لاستمر على لزومها ولم يفارقها إلى غَيرها، وإنما يعدل عنها من يعدل؛ لآفة من آفات البشر والتقليد... وكل مولود يولد على معرفة الله والإقرار به، فلا تجد أحداً إلا وهو يقرّ بأن له صانعاً وإن سماه بغير اسمه، أو عبد معه غيره[٤].

والمقصود بفطرة الله التي فطر الناس عليها: فطرة الإسلام[٥]، والسلامة من الاعتقادات الباطلة، والقبول للعقائد الصحيحة؛ فإن حقيقة الإسلام هو الاستسلام لله وحده.

قال ﷺ: **(إني خلقتُ عبادي كلهم حُنفاء، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن**

---

(١) انظر: المعجم الوسيط، ٢/ ٦٩٤، والقاموس المحيط ص٥٨٧، والمعجم الوسيط٢/ ٦٩٤.

(٢) يعني أن البهيمة تلد الولد كامل الخلقة، فلو ترك كذلك كان بريئاً من العيب، لكنهم تصرفوا فيه بقطع أذنه مثلاً، فخرج عن الأصل وهو تشبيه واقع ووجه واضح. انظر: فتح الباري، ٣/ ٢٤٩.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام (١٣٥٨)، ومسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة (٢٦٥٨).

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، ٣/ ٤٥٧، وفتح الباري، ٣/ ٢٤٨-٢٥٠.

(٥) قال البخاري: والفطرة الإسلام. انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب لا تبديل لخلق الله.

دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يُشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً...)[(١)].

فالمـراد أن فطرتـه مقتضية لمعرفة دين الإسـلام ومحبته، فالعاقل إذا رجع إلى نفسـه وعقله أدنى رجوع عرف افتقاره إلى الخالق - تعالى - في تكوينه وبقائه وتقلبه في أحواله[(٢)]، وإذا نظـر إلـى الخلائـق علم فقرهـم كلهم إلـى الخالق في كل شـيء: فقراء إليـه في الخلق والإيجاد، وفي البقاء والرزق والإمداد، وفقراء إليه في جلب المنافع ودفع المضار.

والنـاس إذا غفلوا عن هذه الفطرة في حال السـراء فلا شـك أنهـم يلوذون إليها في حال الضراء، لعلمهم الفطري أن الله الذي يكشف الشدائد، ولا ملجأ منه إلا إليه، فهل هذه الأمور تحصل إلا لأن الخليقة مفطورة على الاعتراف بربوبية الله ووحدانيته، وأنه النافع والضار، وملكوت كل شيء بيده، إلا من فسدت فطرته بالعقائد الفاسدة[(٣)].

المعلم الثاني

بيان البراهين والأدلة العقلية على وجود الله تعالى

إذا كان الماديــون والطبيعيون والدهريون يتظاهرون بإنكار وجود اللّٰه تعالى فإنه لا بد من دعوتهم بتقديم البراهين والأدلة العقلية القطعية وذلك من خلال النقاط التالية:

☜ أولاً: التقسيم العقلي الحكيم:

يسـتدل على كل من أنكر وجود الله تعالى وربوبيته بأمر لا يمكنهم إلا التسـليم للحق

(١) صحيح مسلم، كتاب الجنة، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار (٢٨٦٥).
(٢) انظر: كتاب الداعي إلى الإسلام لعبدالرحمن الأنباري، ص٢١١، و درء التعارض بين العقل والنقل، ٣/ ١١٣.
(٣) انظر: الرياض الناضرة، ص٢٥٢، وشرح أصول الإيمان لا بن عثيمين، ص١٥.

والانقياد له، أو الخروج عن موجب العقل إلى الفطر المنحرفة، فيقال لكل من أنكر ذلك:

الأمور الممكن تقسيمها في العقل ثلاثة:

١- إما أن تُوجد هذه المخلوقات بنفسها صُدفة من غير مُحدث ولا خالق خلقَهَا، فهذا مُحالٌ ممتنع تجزم العقول ببطلانه ضرورة، ويُعلم يقيناً أن من ظن ذلك لهو إلى الجنون أقرب منه إلى العقل؛ لأن كل من له عقل يعرف أنه لا يمكن أن يوجد شيء من غير مُوجِدٍ ولا مُحدثٍ، فلابد لكل حادث من مُحدث، ولا سبيل إلى إنكار ذلك، فإن وجود الشيء من غير مُوجد مُحالٌ وباطلٌ بالمشاهدة والحسّ والفطرة السليمة.

٢- وإما أن تكون هذه المخلوقات الباهرة هي المحدثة الخالقة لنفسها، فهذا أيضاً مُحالٌ ممتنع بضرورة العقل، وكل عاقل يجزم أن الشيء لا يُحدثُ نفسه ولا يخلقه؛ لأنه قبل وجوده معدوم فكيف يكون خالقاً؟!

فإذا بطلَ هذان القسمان عقلاً وفطرةً، وبان استحالتهما، تعين القسم الثالث:

٣- **وهو أن هذه المخلوقات بأجمعها**: علويها وسفليّها، وهذه الحوادث لابد لها من مُحدث ينتهي إليه الخلق والملك والتدبير، وهو الله العظيم الخالق لكل شيء، المتصرف في كل شيء، المدبر للأمور كلها(١)، ولهذا ذكر الله تعالى هذا الدليل العقلي والبرهان القطعي، فقال: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥].

فالمخلوق لابد له من خالق، والمصنوع لابد له من صانع، والمفعول لابد له من فاعل، وهذه قضايا بدهية جلية واضحة، يشترك في العلم بها جميع العُقلاء، وهي أعظم القضايا

(١) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل ١/ ٦٦، ودرء التعارض بين العقل والنقل ٣/ ١١٣، والرياض الناضرة للسعدي، ص٢٤٧، وأضواء البيان للشنقيطي، ٤/ ٣٦٨، وشرح أصول الإيمان لابن عثيمين، ص١٥.

العقلية، فمن ارتاب فيها أو شكّ في دلالتها فقد برهن على ضلاله، واختلال عقله[(١)].

ثانياً: العدم لا يخلق شيئاً:

فالعدم الذي لا وجود له لا يستطيع أن يصنع شيئاً؛ لأنه غير موجود.

وإذا تأمل العاقل في المخلوقات التي تولد في كل يوم، من إنسان وحيوان، وتفكر في كل ما يحدث في الوجود من رياح وأمطار، وليل ونهار، وما يجري في كل حين من حركات منتظمة للشمس والقمر والنجوم والكواكب، إذا تأمل العاقلُ في هذا وغيره من التغيرات المحكمة التي تجري في الوجود في كل لحظة، فإن العقل يجزم بأن هذا كله ليس من صنع العدم، وإنما هو من صنع الخالق الموجود سبحانه وتعالى[(٢)].

ثالثاً: الطبيعة الصماء لا تملك قدرة، وفاقد الشيء لا يعطيه:

من المعلوم عند جميع العُقلاء أن الذي لا يملك مالاً لا يسأل الناسُ منه المال، والجاهلُ لا يأتي منه العلم؛ لأن فاقد الشيء لا يُعطيه.

فمن زعم أن الطبيعة[(٣)] خلقته أو خلقت شيئاً فقد خالف العقل وحارب الحق، لأن الكون يشهد أن خالقه حكيم عليم خبير، هاد رزّاق، حافظ رحيم، واحد أحد، والطبيعة الجامدة لا تملك مثقال ذرة من ذلك.

ومن العجيب أن كل من زعم أن الطبيعة تخلق شيئاً فقد خالف مقتضى العقول؛

---

(١) انظر: الرياض الناضرة للسعدي، ص٢٤٧، ومنهاج الجدل في القرآن الكريم، د. زاهر الألمعي، ص١٣٨.

(٢) انظر: حاشية ثلاثة الأصول لمحمد بن عبدالوهاب، بقلم عبدالرحمن بن قاسم، ص٢٩، والإيمان للزنداني مع مجموعة من العلماء، ص٢١، وكتاب التوحيد للزنداني ١/ ٢١.

(٣) الطبيعة عند الماديين بمعنى المادة، والمادة بمعنى الطبيعة، وهي هذه المخلوقات بما هي عليه من صفات. انظر: موقف الإسلام من نظرية ماركس، لأحمد العوايشة، ص١٢٨، والإيمان للزنداني، ص٣٦.

لأن الطبيعة لا تملك خبرة، ولهم خبرة، ولا تملك إرادة، ولهم إرادة، ولا تملك علماً، ولهم علم! أما علموا أن فاقد الشيء لا يُعطيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣].

فلابد أن يكون الخالق كاملاً كمالاً مطلقاً، بحيث يكون: **مستغنياً عن غيره، ويكون أولاً ليس له بداية، وآخراً ليس له نهاية، لا يحدّه زمان، لا يحدّه مكان، قادراً على كل شيء، عالماً بكل شيء، ما كان، وما يكون،** وما لم يكن لو كان كيف يكون.

وهذه الخصائص لا يمكن أن تكون إلا لله الكامل من كل الوجوه، وبذلك يسقط – بحمد الله تعالى قول الماديين؛ لأن المادة لا تتصف بشيء من ذلك[(١)].

رابعاً: الصدفة العمياء لا تملك حياة:

يعتقد الملحدون بالصدفة[(٢)]، وهي أن جميع الأشياء والمخلوقات تم تكوينها على ما هي عليه بطريق الصدفة، والمقابلة، وليس ذلك بطريق القصد والإرادة والتدبير.

ومن حكمة القول مع هؤلاء أن يُقال لهم: من أين حصل لهذا العالم هذا النظام العجيب، والترتيب الحكيم الذي حارت فيه العقول؟ كيف ينسب ذلك إلى الاتفاق والمصادفة ومجرد البخت؟ وكيف اجتمعت تلك الأجزاء على اختلاف أشكالها، وتبايُن مواردها وقواعدها، وكيف حُفظت وبَقيت على تآلفها، وكيف تجددت المرة بعد المرة؟!

وهذا فيه دلالة قاطعة على أن الله هو الخالق لكل شيء، وأن الصدفة لا وجود لها ولا تصرف في مخلوقات الله تعالى[(٣)].

(١) انظر: موقف الإسلام من نظرية ماركس للعوايشة، ص١٢٥.
(٢) الصدفة في اللغة: يقال: مصادفة: لقيه ووجده من غير موعد ولا توقع. انظر: المعجم الوسيط، ٢/ ٥١٠.
(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٣٥، درء التعارض بين العقل والنقل، ٣/ ١٢٩، والإسلام يتحدى،

خامساً: المناظرات العقلية الحكيمة:

من الحكمة في دعوة الملحدين والطبيعيين الماديين أن يُناظروا بالمناظرات العقلية الحكيمة التي تُوضح لهم الحق، وتجعلهم يُسلِّمون ويقرُّون بأن الله هو الحق، وأن ما يدعون من دونه هو الباطل.

ومن المناظرات التي أفحم بها المسلمون الملحدين ما ذُكِرَ عن أبي حنيفة – رحمه الله تعالى: أن قوماً من أهل الكلام أرادوا البحث معه في تقرير توحيد الربوبية. فقال لهم: أخبروني قبل أن نتكلم في هذه المسألة عن سفينة في دجلة، تذهب، فتمتلئ من الطعام والمتاع وغيره بنفسها، وتعود بنفسها، فترسي بنفسها، وتتفرغ وترجع، كل ذلك من غير أن يدبرها أحد؟!! فقالوا: هذا محال لا يمكن أبداً! فقال لهم: إذا كان هذا محالاً في سفينة، فكيف في هذا العالم كله علوه وسفله!! وتحكى هذه الحكاية عن غير أبي حنيفة أيضاً[1].

سادساً: مبدأ السببية:

إنّ الواقع والعقول السليمة تشهد أن الإنسان منذ فتح عينيه لم يُشاهد أن حادثاً حدث من غير سبب، أو أن شيئاً وُجد من غير موجد، حتى أصبح هذا المعنى بحكم الواقع لا يتصور العقل خلافه، ولا يأبى الإقرار به إلا عقل مفقود أو مريض كشأن المعتوهين، أو عقل قاصر كشأن الطفل الذي يكسر الإناء، ثم يقول: إنه انكسر بنفسه[2].

لوحيد الدين خان، ص٦٥، وعقيدة المؤمن لأبي بكر الجزائري، ص٣٤، ومنهاج الجدل في القرآن الكريم د. زاهر بن عواض الألمعي، ص١٤٢.

(١) وانظر: درء التعارض بين العقل والنقل، ٣/ ١٢٧، والرياض الناضرة للسعدي، ص٢٥٨، وعقيدة المسلمين للبليهي، ١/ ١٢٣، ومنهاج الجدل، ص١٣٩.

(٢) انظر: موقف الإسلام من نظرية ماركس ص٢٨٤ – ٢٨٨.

ولذلك أدرك الأعرابي هذه السببية عندما سُئِل: ما الدليل على وجود الرّبّ؟ فقال: - سبحان الله إن البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، فسماء ذاتُ أبراج، وأرضٌ ذات فجاجٍ، وبحارٌ ذات أمواج، ليل داج، ونهار ساجٍ، ألا يدل ذلك على اللطيف الخبير[(١)].

فكل مخلوق لابد له من خالق، وكل أثر لابد له من مؤثر، وكل محدَثٍ لابد له من مُحدِثٍ، وهذا هو قياس الشمول.

أما قياس التمثيل فكقول: هذا مُحدَث فيحتاج إلى مُحدِثٍ[(٢)].

وبناء على هذه القاعدة فعالمنا هذا، من أرض وسماوات، وإنسان وحيوان، وليل ونهار، وشمس وقمر، لابدّ له من مُحدث، ثم إن هذا العالم لا يبقى إلا بسبب يحفظه ويبقيه، كما أنه لم يحدث إلا بسبب أحدثه، وهذا لا يقدر عليه إلا الله الواحد القهَّار[(٣)].

☜ سابعاً: التفكر في المصنوع يدل على بعض صفات الصانع:

فالتفكر في المصنوع يدلّ على بعض صفات الصانع؛ لأن كل شيء يُوجد في المصنوع يدلّ على قدرة أو علم أو خبرة، أو حكمة عند الصانع.

وإذا علم هذا فإنه يقال لمن أنكر وجود الله تعالى وربوبيته: تفكر في خلقك ونفسك، وانظر مبدأ خلقك من نطفة، ثم علقه، ثم مُضغة، ثم عظاماً، فكُسيت العظام لحماً، حتى صرت بشراً كامل الأعضاء الظاهرة والباطنة، أما يضطرك هذا التفكر

---

(١) انظر: الرياض الناضرة ص٢٥٨، ومنهاج الجدل في القرآن ص١٣٩، وهي من خطبة لقس بن ساعدة، انظر البيان والتبيين للجاحظ ١/ ٢٥٤ وبنحوه عن الأصمعي يرويه عن بعض الأعراب. المجالس الوعظية ١/ ٤٦١.

(٢) انظر: درء التعارض بين العقل والنقل ٣/ ٧٣، ١٢١ - ١٢٧.

(٣) انظر: درء التعارض بين العقل والنقل ٣/ ١٢١.

والنظر إلى الاعتراف بالرب القادر على كل شيء، وأحاط علمه بكل شيء، الحكيم في كل ما خلقه وصنعه وأتقنه؟ فلو اجتمع الخلق كلهم على النطفة التي جعلها الله مبدأ خلق الإنسان على أن ينقلوها في تلك الأطوار المتنوعة، أو يحفظوها في ذلك القرار المكين، ويجعلوا لها سمعاً وبصراً وعقلاً وقوىً باطنة وظاهرة، وينموها هذه التنمية العجيبة، ويركبوها هذا التركيب المنظم، ويرتبوا الأعضاء هذا الترتيب المحكم، فهل في استطاعتهم وعلومهم أن يصلوا إلى ذلك؟[1].

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢ - ١٤].

المعلم الثالث

بيان الأدلة الحسية المشاهدة على وجود الله تعالى

من الأدلة التي تدل على وجود الله تعالى وربوبيته، وأنه الخالق لكل شيء المستحق للعبادة، الأدلة التي يسمعها الناس ويشاهدونها ويلمسونها، وهي على نوعين:

النوع الأول: إجابة الله تعالى للدعوات: في جميع الأوقات، فلا يُحصي الخلق ما يُعطيه الله للسائلين، وما يُجيب به أدعية الداعين، ويرفع به كرب المكروبين، فتحصل المطالب الكثيرة بأسباب دعاء بعض العباد لربهم، والطمع في فضله والرجاء لرحمته،

(١) انظر: درء التعارض ٧/ ٣٠٥، ٣٠٦، ٨/ ٧٠-٧٣، ٣/ ٣٣٣، ١/ ٢٥٩، والرياض الناضرة، ص٢٤٨-٢٥٧، والإيمان لعبدالمجيد الزنداني مع مجموعة من العلماء، ص٢٢، وعقيدة المسلمين، ١/ ١٠٩.

وهذا برهان مُشاهد محسوسٌ، لا ينكره إلا مُكابرٌ[(١)].

والحقيقة أن ذلك كله شاهد يتحدث إلى العقول البشرية أن لها ربّاً حكيماً قادراً سميعاً بصيراً مجيباً[(٢)].

النوع الثاني: معجزات الأنبياء الحسية: وهي آيات يُشاهدها الناس أو يسمعون بها، وهي من أعظم البراهين القاطعة على وجود مرسلهم؛ لأنها أمور خارجة عن نطاق البشر، يجريها الله تعالى تأييداً لرسله، ونصراً لهم.

ومن أمثلة ذلك: آية موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ انفلاق البحر، قال تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣].

ومن آيات عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ **ما قاله الله تعالى**: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٤٩].

ومن آيات محمد ﷺ انشقاق القمر، ورآه الناس حقيقة في عهده ﷺ، قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ١ - ٢].

وهذه الآيات المحسوسة تدل دلالة قاطعة على وجود الله تعالى[(٣)].

---

(١) انظر: الرياض الناضرة، ص٢٥٣، وشرح أصول الإيمان للشيخ محمد بن صالح العثيمين، ص١٧.
(٢) انظر: كتاب التوحيد، لعبدالمجيد الزنداني، ١/ ٤٣.
(٣) انظر: شرح أصول الإيمان، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، ص١٨.

المعالم الرابع

بيان الأدلة الشرعية على وجود الله تعالى

طريق الهداية الكاملة هو ما جاء عن الله تعالى أو عن رسله عليهم الصلاة والسلام، وهي تجمع بين الأدلة النقلية والعقلية، وهي من أعظم الأدلة التي تهدي لمعرفة الله تعالى والإيمان به ﷻ وتبعث المهتدي بها إلى العمل المزكّي للنفس، والمهيئ له إلى سعادة الدارين، بخلاف الهداية العقلية وحدها، فإنها وإن أنقذت صاحبها من القلق النفسي والحيرة الفكرية لا تزكِّي نفسه، ولا تُقوِّم أخلاقه، ولا تهيئه لسعادة الدارين، ولا تُخرجه من دائرة الكفر حتى يؤمن بالأدلة الشرعية ويعمل بمقتضاها(١).

والكتب السماوية كلها تنطق بأن الله هو الخالق لكل شيء، المستحق للعبادة، وما جاءت به من الأحكام المتضمنة لمصالح العباد، دليل على أنها من رب حكيم عليم بمصالح خلقه، وما جاءت به من الأخبار الكونية التي شهد الواقع بصدقها، دليل على أنها من رب قادر على إيجاد ما أخبر به(٢).

ودلالة القرآن الكريم نوعان:

(أ) خبر الله الصادق: فما أخبر الله تعالى به، أو أخبر به رسوله ﷺ فهو حق وصدق، ولا يمكن أن يكون في ذلك شيء مُناقض لدليل عقلي ولا سمعي، لأن ما أثبته السمع الصحيح لم ينفه العقل الصريح، والمعقول الصريح يوافق ما جاءت به الرسل ولا يناقضه، وكل ما عارض الشرع من العقليات فليس دليلاً صحيحاً(٣).

(١) انظر: عقيدة المؤمن، لأبي بكر جابر الجزائري، ص٣٩، ٤٩، ٦٣.
(٢) انظر: شرح أصول الإيمان، لمحمد بن صالح العثيمين، ص١٧.
(٣) مجموع الفتاوى ٦/ ٧١. وانظر: درء التعارض بين العقل والنقل،١/ ١٧٢-١٨٠، ٥/ ٢٧٩، ٧/ ٣٩، ٦/ ٥.

(ب) ضرب الأمثال، وبيان الأدلة العقلية الدالة على المطلوب، فهذه دلالة شرعية عقلية، فهي شرعية لأن الشرع دل عليها وأرشد إليها وأثبتها، وعقلية لأنها تعلم صحتها بالعقل(١).

ويمكن أن نقتصر في الأدلة الشرعية التي تثبت وجود الله تعالى وأنه رب كل شيء ومليكه ومدبره، ويستلزم ذلك أنه المستحق للعبادة وحده على ذكر طريقين(٢):

الطريق الأول: توجيه الله تعالى الأنظار والقلوب إلى ما في هذا الكون من مخلوقات عجيبة تبهر العقول، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١ - ٢٢]. وقوله: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٦٤﴾ [البقرة: ١٦٤]. والقرآن الكريم يزخر بالأدلة على هذا النوع.

الطريق الثاني: معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فقد أيد الله الرسل عليهم الصلاة والسلام بالمعجزات الباهرة للعقول، والخارقة لسنن الكون وقوانين الحياة، ليستدلوا بها على صدق نبوتهم، وإثبات رسالتهم، فإذا ثبتت نبوة الرسل بقيام

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى ٦/ ٧١، ٧٢.

(٢) انظر: درء التعارض بين العقل والنقل، ٨/ ٣٥٤، ٧/ ٣٠٢، ٣٠٧، ٩/ ٤٠، ومجموع الفتاوي ١١/ ٣٧٧-٣٨٠، وعقيدة المؤمن لأبي بكر الجزائري، ص٦٣، والرياض الناضرة للسعدي، ص٢٥٣-٢٦٧.

المعجزات علم أن هناك مرسلاً أرسلهم؛ لأن ثبوت الرسالة يستلزم ثبوت المرسل[(١)].

فـإذا أقروا بالربوبية ننتقل معهـم لإثبات المعرفة بالألوهية والأسـماء والصفات الحسـنى كما سبق في دعوة المشركين، فيكون الانتقال بهم من الإلحاد إلى الربوبية ثم إلى الألوهية مع تعليمهم ذلك وترسيخه في نفوسهم ليستقيم حالهم.

(١) انظـر: درء التعارض بين العقل والنقل٩/ ٤٠-٤٣، ٧/ ٣٠٢، ومجموع الفتاوى ١١/ ٣٧٧، وخلاصة ما ذكر ابن تيمية في إثبات وجود الله تعالى كالتالي:

١ – الاستدلال بآيات الله في الكون.

٢ – أدلة الفطرة، فإن الخلق مفطورون على الإقرار بالخالق.

٣– الاستدلال على الله بالله، فإنه عرفنا نفسه فعرفناه.

٤ – الاستدلال بمعجزات الرسل.

٥ – إجماع الأمم وأصحاب العقول والفطر السليمة.

٦ – المقاييـس العقليـة. انظر: فتاوى شـيخ الإسـلام، ٣٦/ ٢١- ٢٣، وسـتجد جميـع الإحالات إلى المواضع التي ذكرها ابن تيمية في فتاواه.

الفصل الخامس

دعوة العصاة والمنافقين والمبتدعة

وفيه ثلاث مباحث:

المبحث الأول: دعوة العصاة.

المبحث الثاني: دعوة المنافقين.

المبحث الثالث: دعوة أهل البدع.

المبحث الأول

دعوة العصاة

ويتضمن أربعة مطالب:

المطلب الأول: أقسام المعاصي ودركاتها.

المطلب الثاني: دوافع المعصية.

المطلب الثالث: أسباب الوقوع في المعاصي.

المطلب الرابع: معالم دعوة العصاة.

المبحث الأول

دعوة العصاة

المعصية لغة: خِلافُ الطَّاعَةِ، يقالُ: عَصاهُ، يَعْصِيه، عَصْياً بالفَتْح، وعِصْياناً، ومَعْصِيَةً، فَهُوَ عاصٍ؛ خَرَجَ عَن طاعَتِه(١).

ومعصية الله ورسوله إذا أطلقت دخل فيها الكفر والفسوق والبدع وكل ما كان فيه مخالفة لأمر الله وأمر رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [هود: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

والمقصود في هذا المبحث هو الكلام على المعاصي التي دون الكفر والشرك، والتي يفعلها العبد تهاوناً من غير استحلال.

ومعتقد أهل السنة في أهل الكبائر أن أمرهم إلى الله إن شاء عذبهم وإن شاء عفا عنهم، ولا يكفر المسلم بارتكاب كبيرة من الكبائر ما لم يستحلها.

والمعصية تحتاج إلى فهم عميق في تحديدها والموقف من أهلها وموضعها في جانب المخالفات الشرعية من غير إفراط وتفريط، فليست كل المعاصي في مستوى واحد من الخلل.. ويترتب على ذلك كيفية دعوة أهل المعاصي باختلاف نوع المعصية وحالاتها، وحالة العصاة وزمانهم وأحوالهم وأماكنهم.

---

(١) تاج العروس ٣٩/ ٥٨.

ونبرز هذا الموضوع من خلال أربعة مطالب[(١)]:

المطلب الأول

أقسام المعاصي ودركاتها

المعاصي تتفاوت بحسب الجرم، وبحسب الحال، وبحسب العاصي المتلبس بالمعصية، وبحسب الزمان والمكان، فمن المعاصي الكبائر، ومنها الصغائر، ومنها ما يرتكبه العاصي عمداً ومنها ما يرتكبه ناسياً أو جهلاً، ومنها ما يرتكبه متأولاً، ومنها ما يرتكبه سراً ومنها ما يرتكبه جهراً، والداعية الحصيف عليه أن يدرك ذلك كله قبل أن يبدأ العلاج والتقويم والنصح والتوجيه والوعظ.

فالمعاصي تنقسم إلى عدة أقسام باعتبارات مختلفة:

- **أولاً: باعتبار حجم المعصية، فتنقسم إلى الكبائر والصغائر:**

فالمعاصي تنقسم من حيث حجم المعصية إلى كبائر وصغائر، وبيان ذلك في كتاب الله في قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١] وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾[النجم٣٢].

وحد الكبيرة هو كما روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: «الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب»[(٢)].

(١) ينظر: كيفية دعوة عصاة المسلمين، د. سعيد القحطاني، وأساليب دعوة العصاة، أ. د. عبد الرب بن نواب الدين، مجلة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، السنة السادسة والثلاثون، العدد (١٢٣) ١٤٢٤، وأصول الدعوة، لعبدالكريم زيدان، وفقه الدعوة إلى الله، لعبدالرحمن حبنكة، ومبحث كيف عامل النبي ﷺ العصاة من كتاب كيف عاملهم رسول الله ﷺ د. محمد المنجد.

(٢) جامع البيان ٦/ ٦٥٢، وشعب الإيمان للبيهقي ١/ ٤٦١، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٢٤٧.

وقال الإمام الذهبي: «والذي يتجه ويقوم عليه الدليل أن من ارتكب شيئاً من هذه العظائم مما فيه حد في الدنيا كالقتل والزنا والسرقة، أو جاء فيه وعيد في الآخرة من عذاب أو غضب أو تهديد أو لعن فاعله على لسان نبينا محمد ﷺ فإنه كبيرة»(١).

وأما الصغائر فهي: ما دون الكبائر.

- **ثانياً: باعتبار الانتشار، تنقسم إلى معاصي خفية، ومعاصي معلنة ظاهرة:**

والمقصود بالمعاصي الخفية هي التي يفعلها العبد سراً دون مجاهرة، أو المعاصي غير المنتشرة والمجاهر بها في أوساط المسلمين.

وأما المعلنة والمنتشرة فهي التي عمّت بها البلوى في بلد ما، ويجاهر بها أصحابها، وتختلف هذه المعاصي من بلد لآخر.

ولا شك أن المعاصي التي يجاهر بها العبد أعظم جرماً من التي يفعلها في خفاء، بل ربما تكون سبباً في هلاك عام والعياذ بالله إن لم يُؤخذ على أيدي مرتكبيها.

- **ثالثاً: باعتبار سببها، تنقسم إلى معاصي الشهوات، ومعاصي الشبهات:**

فالمعاصي بوجه عام مردُّها إما إلى شهوة أو شبهة، وقد ذكر الله سبحانه النوعين في كتابه فقال: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران: ١٤].

وقال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧].

(١) الكبائر ص ٨.

◆ **رابعاً: باعتبار الفعل والترك، تنقسم إلى: ترك الأمر، وفعل النهي:**

فترك ما أمر الله به هو: ترك الواجبات والفرائض، وفعل ما نهى الله عنه هو: ارتكاب المحظورات.

وجنس المعصية التي مردها إلى ترك الواجب أعظم من جنس المعصية التي مردها إلى فعل المحرم، فقد جاء في الحديث القدسي: **(وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه)**[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «قاعدة في أن جنس فعل المأمور به أعظم من جنس ترك المنهي عنه، وأن جنس ترك المأمور به أعظم من جنس فعل المنهي عنه، وأن مثوبة بني آدم على أداء الواجبات أعظم من مثوبتهم على ترك المحرمات، وأن عقوبتهم على ترك الواجبات أعظم من عقوبتهم على فعل المحرمات»[٢].

وقال: «وقد قررت في غير هذا الموضع أن أداء الواجب أعظم من ترك المحرم، وأن الطاعات الوجودية أعظم من الطاعات العدمية، فيكون جنس الظلم بترك الحقوق الواجبة أعظم من جنس الظلم بتعدي الحدود. وقررت أيضاً أن الورع المشروع هو أداء الواجب وترك المحرم ليس هو ترك المحرم فقط وكذلك التقوى اسم لأداء الواجبات وترك المحرمات»[٣].

والمراد من هذه التقسيمات السابقة أن يكون الداعية على دراية بدركات المعاصي، وتفاوتها في الإثم والعقاب، ويتعلق ضرره بصاحبها، وما يتعلق ضرره بالأمة والمجتمع.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع (٦٥٠٢).
(٢) مجموع الفتاوى ٢٠/ ٨٥.
(٣) مجموع الفتاوى ٢٩/ ٢٧٩.

فينبغـي عليه أن يقدم الأولى فالأولى، فيعتنـي بمعالجة المعاصي الظاهرة والمعلنة والمنتشـرة في مجتمعه فيقدمها على المعاصي الخفية، وكذلك المعاصي التي مردها إلى تـرك واجب يقـدم معالجتها على المعاصي التـي مردها إلى فعل محـرم، ويقدم معالجة الكبائر على معالجة الصغائر، ومعاصي الشبهات على معاصي الشهوات...وهكذا.

وكل ذلك إن تعذر عليه الجمع، واحتاج إلى تقديم ما هو أولى.

المطلب الثاني

دوافع المعصية

للمعاصـي دوافـع كثيرة جداً لا بـد وأن يعرفهـا الداعي إلى الله حتـى يبني عليها العلاج، فلكل صاحب معصية دافع يدفعها لها، فإذا تعرف الداعي على الدافع استطاع أن يحدد موقفه من العاصي وآليات دعوته.

وأصول دوافع المعصية تكاد تجتمع في أربعة أمور، وهي:

أولاً: الشيطان.

قال الله حكاية عن قول الشـيطان وتربصه ببني آدم: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [ص: ٨٢]. وقـال: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الأعراف: ١٦].

وقال رسول الله ﷺ: (إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ)(١).

(١) صحيـح البخاري، كتاب الاعتـكاف، باب زيارة المـرأة زوجها في اعتكافه (٢٠٣٨)، ومسـلم، كتاب

ثانياً: النفس.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٣].

وقال سبحانه: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس: ٧، ٨].

ثالثاً: زينة الدنيا.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٠].

وقال تعالى: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأنعام: ٧٠] وقال سبحانه: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ)**[1].

رابعاً: الهوى.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]. وقال سبحانه: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١]، وقال سبحانه: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى

الآداب، باب بيان أنه يستحب لمن رئي خالياً بامرأة وكانت زوجته أو محرماً له أن يقول هذه فلانة ليدفع ظن السوء به (٢١٧٤).

(١) صحيح مسلم، كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء (٢٧٤٢).

ٱلۡهُدَىٰ فَأَخَذَتۡهُمۡ صَٰعِقَةُ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [فصلت: ١٧].

فهذه الأربع من أهم دوافع الوقوع في المعصية، فعلى الداعية أن يبصر الناس بذلك، ويعلمهم كيف يتعاملون مع هذه المغريات، فيكون ذلك عوناً لهم بعد الله في النجاة من المعاصي.

المطلب الثالث

أسباب الوقوع في المعاصي

من المهم أن يدرك الدعاة أسباب الوقوع في المعاصي، فمعرفة سبب المعصية مما يعين الداعية على علاجها وموجهتها على مستوى الأفراد والمؤسسات:

✧ أولاً: الغفلة عن الله وعن الموت واليوم الآخر.

قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَادِمِ اللَّذَّاتِ)[١]، يَعْنِي: الْمَوْتَ.

وذكر ابن القيم: «أن من أسباب الانغماس في الدنيا وملذاتها، ونسيان الآخرة: جثوم الغفلة على القلب!»[٢].

(١) سنن ابن ماجه كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له (٤٢٥٨). وصححه الألباني في إرواء الغليل (٦٨٢).

(٢) ينظر: مدارج السالكين ٣/ ٢٦٦.

✧ ثانياً: ضعف الإيمان:

قال ابن القيم: «وأقوى الأسباب في ذلك -أي الانغماس في ملذات الدنيا ونسيان الآخرة-: ضعف الإيمان، فإن الإيمان هو روح الأعمال، وهو الباعث عليها، والآمر بأحسنها، والناهي عن أقبحها، وعلى قدر قوة الإيمان يكون أمره ونهيه لصاحبه، وائتمار صاحبه وانتهاؤه، قال الله تعالى: ﴿بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [البقرة: ٩٣]»[١].

والإيمان يتقوى بالعمل الصالح وتزكية النفس ومجاهدتها على التزام الحق، ويضعف بالمعاصي، وإذا كثرت المعاصي ران على القلب حجاب كثيف حتى لا يكاد يرى الحق.

✧ ثالثاً: الجهل:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [النساء: ١٧].

قال مجاهد: «كل من عصى ربه فهو جاهل، حتى ينزع عن معصيته»[٢].

وقال القرطبي: «فكل من عصى ربه فهو جاهل حتى ينزع عن معصيته. قال قتادة: أجمع الصحابة رضي الله عنهم أن كل معصية فهي بجهالة، عمداً كانت أو جهلاً»[٣].

✧ رابعاً: فساد البيئة المحيطة.

ويشمل ذلك البيئة الكبيرة كالبلد والمجتمع، والصغيرة كالصحبة السيئة، قال

---

(١) ينظر: مدارج السالكين ٣/ ٢٦٥.

(٢) جامع البيان ٦/ ٥٠٧، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٣/ ٨٩٧ (٩٩٩)، وشعب الإيمان للبيهقي ٩/ ٢٨٩ (٦٦٧١) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، ورواته ثقات.

(٣) جامع البيان ٥/ ٩٢.

تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الأنعام: ٦٨]، وقال سبحانه: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف: ٢٨].

ويُستفاد ذلك أيضاً من حديث قاتل المئة نفس، حيث قال له العالم: **(انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاساً يَعْبُدُونَ اللهَ فَاعبدالله مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ)**[١].

وذلك لأنه ما دام يعيش في أرض سوء فسيتأثر بأهلها لا محالة، ولن تكون معينة له على التوبة، قال شيخ الإسلام: «فكم ممن لم يرد خيراً ولا شراً حتى رأى غيره - لا سيما إن كان نظيره - يفعله ففعله، فإن الناس كأسراب القطا؛ مجبولون على تشبه بعضهم ببعض؛ ولهذا كان المبتدئ بالخير والشر له مثل من تبعه من الأجر والوزر»[٢].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **(الرجُلُ على دِينِ خَليلِهِ، فلينظر أحدُكُم من يُخالِلُ)**[٣].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار (٣٤٧٠)، ومسلم، كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله (٢٧٦٦).

(٢) مجموع الفتاوى ٢٨/ ١٤٩.

(٣) سنن أبي داوود، كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس (٤٨٣٣)، وجامع الترمذي، كتاب الزهد، باب (٤٥) برقم (٢٣٧٨) وقال الترمذي حسن غريب.

المطلب الرابع

معالم دعوة العصاة

يمكن بيان أهم معالم دعوة العصاة في النقاط التالية:

أولاً: التعليم والتبصير:

وهـذا من أهـم المعالم ويـأتي في المقدمة، ويأخـذ مكانته في أوليات سُـلم دعوة العصـاة؛ لأن العلـم والتبصير والتنويـر وإقامة الحجة وإيضاح المحجة، يسـبق القول والعمل، والمؤاخذة والمعاتبة، وهذا هو الترتيب الطبيعي لإصلاح العصاة.

قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء: ١٥] «والله تعالى أعدل العادلين لا يعذب أحداً حتى تقوم عليه الحجة بالرسالة ثم يعاند الحجة»[(١)].

وقـال النبـي ﷺ: **(ما أحد أحـب إليه العذر من الله من أجل ذلك أرسـل الرسـل مبشرين ومنذرين)**[(٢)]، «فالعذر هنا بمعنى الإعذار والإنذار قبل أخذهم بالعقوبة»[(٣)].

ثانياً: تقوية الإيمان وتقوية الوازع الديني:

لا جرم أن الايمان بالله وبيوم الحسـاب وما فيه من جزاء وحسـاب وجنة ونار هو الصراط السـوي الذي يحفز على التقوى ويقي المسـلم بإذن الله تعالى مصارع السوء، فإذا ما انتفى الإيمان أو ضعف قويت نوازع الشر، فغلبت الشهوات على النفس.

كمـا في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً إلى النبـي ﷺ: **(لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي**

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٤٥٥.

(٢) صحيـح البخـاري، كتاب التوحيد، باب قول النبي ﷺ: (لا شـخص أغير مـن الله) (٧٤١٦)، صحيح مسلم، كتاب اللعان، باب انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها(١٤٩٩).

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي ١٠/ ١٣٢.

وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَنْتَهِبُ نُهْبَةً، يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ، وَهُوَ مُؤْمِنٌ)(١).

والمسلم إذا قوي إيمانه عظم ذنبه في عينه، وضاق به صدره، وإذا ضعف إيمانه هان ذنبه في عينه، وربما انشرح به صدره.

وعن عبدالله بن مسعود رَضِوَاللَّهُعَنْهُ، عن رسول الله ﷺ قال: **(إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه فقال به هكذا)** فقال أبو شهاب بيده فوق أنفه(٢).

✍ ثالثاً: الوعظ والتذكير:

قال الله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ ﴾ [النحل: ١٢٥].

ففي الآية تقرير لأسلوب الوعظ، وفيها أن الوعظ لا بد من تقييده بخُلق الداعية المسلم المستنير بنور الله، المستهدي بهدي رسول الله ﷺ كي تكون الموعظة حسنة.

✍ رابعاً: الستر على العاصي:

الستر على العصاة معلم أساسي في دعوة العصاة، واستمالتهم إلى حياض الطاعة والخير، لقوله ﷺ: **(ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة)**(٣).

فقوله ﷺ: (مَن ستر مسلماً): «أي: رآه على قبيحٍ فلم يُظهِره، أي للناس، وليس

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب النهبى بغير إذن صاحبه (٢٤٧٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان نقص الإيمان بالمعاصي (٥٧).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، رقم (٢٦٩٩).

في هذا ما يقتضي ترك الإنكار عليه فيما بينه وبينه»[١].

وقال النبي ﷺ: (من ستر عورة أخيه المسلم، ستر الله عورته يوم القيامة، ومن كشف عورة أخيه المسلم، كشف الله عورته، حتى يفضحه بها في بيته)[٢].

قال المناوي: «من ستر أخاه المسلم في الدنيا في قبيح فعله، فلم يفضحه بأن يتحقق منه على ما يشينه في دينه أو عرضه أو ماله أو أهله فلم يهتكه ولم يكشفه بالتحدث للناس ستره الله يوم القيامة أي لم يفضحه على رؤوس الخلائق بإظهار عيوبه وذنوبه بل يسهل حسابه ويترك عقابه لأن الله حيي كريم»[٣].

قال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لو لم أجد للسارق والزاني وشارب الخمر إلا ثوبي لأحببت أن أستره»[٤].

وقال ابن معين: «ما رأيت على رجل خطأً إلا سترتُه، وأحببت أن أزيِّن أمره، وما أستقبل رجلاً في وجهه بأمر يكرهه، ولكن أبيِّن له خطأه فيما بيني وبينه، فإن قبل ذلك، وإلا تركته»[٥].

خامساً: بيان أن الحسنات يُذْهِبْنَ السيئات:

قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤].

---

(١) فتح الباري ٥/ ٩٧.
(٢) سنن ابن ماجه كتاب الحدود، باب الستر على المؤمن ودفع الحدود بالشبهات (٢٥٤٦)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٠٦٣).
(٣) فيض القدير: ٦/ ١٤٩.
(٤) مصنف عبد الرزاق ١٠/ ٢٢٧.
(٥) سير أعلام النبلاء ١١/ ٨٣.

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أَصَبْتُ حَدّاً فَأَقِمْهُ عَلَيَّ، قَالَ: وَلَمْ يَسْأَلْهُ عَنْهُ، قَالَ: وَحَضَرَتِ الصَّلاَةُ، فَصَلَّى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ ﷺ الصَّلاَةَ، قَامَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أَصَبْتُ حَدّاً، فَأَقِمْ فِيَّ كِتَابَ اللهِ، قَالَ: (أَلَيْسَ قَدْ صَلَّيْتَ مَعَنَا) قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: (فَإِنَّ اللهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ ذَنْبَكَ، أَوْ قَالَ: حَدَّكَ)(١).

✍ سادساً: فتح باب التوبة والرجاء والطمع في سعة رحمة الله:

لا بد من البيان للعصاة أن من وقع في كبيرة من كبائر الذنوب يجب عليه التوبة إلى الله وليستر نفسه ولا يطلب إقامة الحد عليه، فالتوبة الصادقة مكفرة للذنوب التي تتعلق بحق الخالق تبارك وتعالى، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأعراف: ١٥٣]، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

قال ابن كثير: «هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة وإخبار بأن الله تبارك وتعالى يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب منها ورجع عنها وإن كانت مثل زبد البحر»(٢).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾[النجم: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [الشورى: ٢٥].

فقد قال ﷺ: (كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون)(٣).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب إذا أقر بالحد ولم يبين هل للإمام أن يستر عليه (٦٨٢٣)، ومسلم، كتاب التوبة، باب قوله إن الحسنات يذهبن السيئات (٢٧٦٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٩.

(٣) سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة (٤٢٥١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٥١٥).

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: **(والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم)**[(١)].

فعن عبدالرحمن بن جبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن أبي الطويل: شطبٍ الممدود قال: إنه أتى النبي ﷺ فقال: أرأيت من عمل الذنوب كلها، ولم يترك منها شيئاً، وهو في ذلك لم يترك حاجة ولا داجة -صغيرة أو كبيرة- إلا أتاها، فهل لذلك من توبة؟!، قال: **(فهل أسلمت؟)**، قال: أما أنا فأشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله. قال: **(تفعل الخيرات، وتترك السيئات، فيجعلهن الله لك خيرات كلهن)**، قال: وغدراتي وفجراتي؟ قال: **(نعم)**، قال: الله أكبر، فما زال يكبر حتى توارى[(٢)].

✍ سابعاً: التحذير من الجرأة على الله بحرمان أحد من رحمة الله:

فقد أكد النبي ﷺ أن من يتجرأ على رحمة الله فيقول بحرمان أحد من الناس منها هو أولى أن يحبط عمله لأنه يتصرف فيما لا يملك. فقال: **(أن رجلاً من بني إسرائيل كان له صاحب يشرب الخمر فينهاه ولا ينتهي حتى قال ذات يوم: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله تعالى: من ذا الذي يتألّى عليّ أن لا أغفر لفلان؟ فإني قد غفرت لفلان وأحبطت عملك)**[(٣)].

✍ ثامناً: الزجر بالإغلاظ في القول والضرب:

فلا بد من زجر العصاة والتحذير منهم ومن مسلكهم، ويتأكد ذلك إن كانوا من المجاهرين الداعين للمعاصي والأهواء والبدع الذين مضرتهم على الدين أكبر ومفسدتهم في الأمة أعظم من العصاة الذين تقتصر معاصيهم على أنفسهم وذويهم. لذا عنون البخاري

---

(١) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب سقوط الذنوب بالاستغفار توبة (٢٧٤٩).
(٢) المعجم الكبير للطبراني ٧/ ٥٣ (٦٣٧٦)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣١٦٤).
(٣) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب النهي عن تقنيط الإنسان من رحمة الله تعالى (٢٦٢١).

فقال: «باب ما يجوز من اغتياب أهل الفساد والريب». ثم أورد فيه الحديث.

ومن الزجر: الضرب والتأديب، مع مراعاة المصلحة المحققة للغرض وهو زجر العاصي، وكفه عن المعصية، فقد ورد أن أبا عبدالرحمن النجيبي، قال: «كنت قاعداً عند عمر بن عبدالعزيز وهو إذ ذاك أمير المدينة فأتي برجل يقطع الدراهم وقد شهد عليه فضربه وحلقه وأمر فطيف به»(١).

ولا بد من تجنب السب والشتم واللعن؛ والدعاء على المزجور فإن ذلك ليس من منهاج الصالحين، وكذلك الحذر من التشفي، والانتقام للنفس، وإنما يكون الزجر لله تعالى ولانتهاك محارمه وتعدي حدوده.

تاسعاً: الجمع بين الترغيب والترهيب واللين والشدة:

فلا بد للداعية أن يمازج بين الزجر واللين كل بحسب الحال والمقتضى، عن الشعبي قال قال زياد: «كتب إلي أمير المؤمنين أنه ليس ينبغي لي ولا لك أن نسوس الناس سياسة واحدة أن نلين جميعاً فتمرح الناس في المعصية، ولا أن نشد جميعاً فنحمل الناس على المهالك، ولكن تكون للشدة والفظاظة، وأكون للين والرأفة والرحمة»(٢).

عاشراً: هجر أهل المعاصي:

الأصل في المجتمع الإسلامي التواصل والمحبة والتساند هذا هو الأصل، وشرع الهجر للعصاة لردعهم وزجرهم إذا اقتضى الأمر ذلك(٣).

وليس للهجر مدة محددة، بل يهجر حتى يقلع عن المعصية، وأن الهجر مرتبط

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٩/ ٨٨.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ٦/ ١٨٧ (٣٠٥٥٤).

(٣) سيأتي الحديث عن مسألة الهجر بتوسع عند الحديث عن القضايا المنهجية الدعوية، في الكتاب التاسع.

بالمصلحة؛ فمتى تحققت وهي الإقلاع عن المعصية بطل الهجر، قال ابن تيمية: «وإن كان في هجره لمظهر البدعة والفجور مصلحة راجحة هجره؛ كما هجر النبي ﷺ الثلاثة الذين خلفوا حتى تاب الله عليهم»[(١)]. فالهجر أسلوب في استصلاح العصاة، وأنه لا مدة للهجر، وأنه إنما شرع إذا حقق المقصود وهو الانزجار.

الحادي عشر: تغيير البيئة:

تغيير البيئة أصل معتبر شرعاً في تغيير المنكرات، وفي التعزير والتأديب وفي استصلاح العصاة، ذلك لأن الإنسان ابن بيئته فإذا كانت بيئته التي نشأ فيها أو عاش بين ظهرانيها توفرت فيها عناصر الجريمة أو أسباب المعصية بحيث سهل عليه ارتكاب المحظور وجب تغيير هذا النمط الفاسد في حياته وانتشاله من هذا الوحل وإلقاؤه في بيئة صالحة وتربة نظيفة، لذا شرعت الهجرة من بلد الكفر إلى بلد الإيمان، ومن مجتمع الانحلال إلى مجتمع الطهر والعفاف، والأدلة متضافرة على أن تغيير البيئة أسلوب في استصلاح فئة من العصاة، منها:

حديث أبي سعيد الخدري في قاتل المئة نفس، ووجه الشاهد في الحديث قوله: **(انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون الله فاعبدالله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء)**[(٢)].

قال الحافظ ابن حجر: «فيه فضل التحول من الأرض التي يصيب الإنسان فيها المعصية لما يغلب بحكم العادة على مثل ذلك، إما لتذكره لأفعاله الصادرة قبل ذلك والفتنة بها، وإما لوجود من كان يعينه على ذلك ويحضه عليه. ولهذا قال له: **(ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء)** ففيه إشارة إلى أن التائب ينبغي له مفارقة الأحول التي

(١) مجموع الفتاوى ٣/ ٢٨٦.
(٢) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله (٢٧٦٦).

اعتادها في زمن المعصية، والتحول منها كلها والاشتغال بغيرها»[(١)].

✍ الثاني عشر: التحذير من صغائر الذنوب فربما أصحبت كبائر:

فلا شك أن الكبائر أعظم جرماً من الصغائر، وربما تصير الصغائر كبائر بأمور منها:

١- **الإصرار والمواظبة على ارتكابها**، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:١٣٥].

٢- **استصغار الذّنب**، فإنّ الذنب كلّما استعظمه العبد من نفسه صغُر عند الله، لأن استعظامه يَصدر عن نفور القلب عنه وكراهيته له. وذلك النفور يمنع من شدّة تأثّره به، واستصغاره يصدر عن الأُلْف به؛ فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(إنّ المؤمن يرى ذُنوبَه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإنّ الفاجر يرى ذنوبَه كذباب مرّ على أنفه، فقال به هكذا)**[(٢)].

٣- **السّرور والفرح بالصغيرة**، فكلّما سُرّ العبدُ بالصغيرة كبُرت وعظُم أثرُها في تسويد القلب، قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطفّفين:١٤].

✍ الثالث عشر: التحذير من المجاهرة بالمعصية:

قال رسول الله ﷺ يقول: **(كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً، ثم يصبح وقد ستره الله عليه، فيقول: يا فلان، عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه)**[(٣)].

---

(١) فتح الباري ٦/ ٥١٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب التوبة (٦٣٠٨)، ومسلم، كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها (٢٧٤٤).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ستر المسلم على نفسه (٦٠٦٩)، ومسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب النهي عن هتك الإنسان ستر نفسه (٢٩٩٠).

وقال ﷺ: (مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي، هُمْ أَعَزُّ مِنْهُمْ وَأَمْنَعُ، لَا يُغَيِّرُونَ، إِلَّا عَمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ)[1]. فالمعاصي الظاهرة المنتشرة أعظم جرماً وأكثر خطراً على أصحابها وعلى الأمة من المعاصي التي يستتر بها أصحابها، ولذا ينبغي أن تكون محل عناية ومن أولويات الإصلاح عند الدعاة.

الرابع عشر: التحذير من معاصي الشبهات:

معاصي الشبهات أكثر خطراً وضرراً من معاصي الشهوات؛ وذلك لأنها متعلقة بالدين، وينشأ عنها البدع والمخالفة لما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه.

قال ابن القيم: وأما جهاد الشيطان فمرتبتان:

إحداهما: جهاده على دفع ما يلقي إلى العبد من الشبهات والشكوك القادحة في الإيمان. **الثانية**: جهاده على دفع ما يلقي إليه من الإرادات الفاسدة والشهوات.

فالجهاد الأول يكون بعدة اليقين، والثاني: يكون بعدة الصبر. قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤]. فأخبر أن إمامة الدين إنما تنال بالصبر واليقين، فالصبر يَدفع الشهوات والإرادات الفاسدة، واليقين يَدفع الشكوك والشبهات[2].

الخامس عشر: بيان الحكمة التي شرعها الله في تحريم الحرام مع الدعاء لهم:

فعن أبي أمامة قال إن فتى شاباً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا

---

(١) مسند أحمد ٣١/ ٥٥٨ (١٩٢٣١)، وقال شعيب الأرناؤوط إسناده حسن، وسنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٤٠٠٩).

(٢) زاد المعاد ٣/ ١٠.

فأقبل القوم عليه فزجروه قالوا مه مه فقال: (ادنه) فدنا منه قريباً فجلس، قال: (أتحبه لأمك؟) قال: لا. والله جعلني الله فداءك. قال: (ولا الناس يحبونه لأمهاتهم) قال: (أفتحبه لابنتك) قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك. قال: (ولا الناس يحبونه لبناتهم) قال: (أفتحبه لأختك؟) قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: (ولا الناس يحبونه لأخواتهم؟) قال: (أفتحبه لعمتك؟) قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: (ولا الناس يحبونه لعماتهم) قال: (أفتحبه لخالتك؟) قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: (ولا الناس يحبونه لخالاتهم؟) قال: فوضع يده عليه وقال: (اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه) فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء»[(١)].

السادس عشر: التبين والتثبت من وقوع المعصية والخطأ قبل الإنكار:

أي: عدم الانكار مباشرة بل التأكد من وقوع المعصية، وهل العاصي قارف المعصية وهو عالم بالحكم أو جاهل فعن أبي سعيد قال أتي رسول الله ﷺ بتمر فقال: (ما هذا التمر من تمرنا!!) فقال: الرجل يا رسول الله بعنا تمرنا صاعين بصاع من هذا فقال رسول الله: (هذا الربا فردوه ثم بيعوا تمرنا واشتروا لنا من هذا)[(٢)].

السابع عشر: الإغلاظ إن خرجت المعصية من أهل العلم والفضل لمصلحة:

فعن عبد الله بن عمرو قال: رأى النبي ﷺ علي ثوبين معصفرين فقال: (أأمك أمرتك بهذا قلت أغسلهما قال بل أحرقهما)[(٣)].

وكما فعل رسول الله ﷺ مع الصحابة الذين تخلفوا غزوة تبوك، ككعب بن مالك

(١) مسند أحمد ٣٦/ ٥٤٥ (٢٢٢١١)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح.
(٢) صحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب بيع الطعام مثلاً بمثل (١٥٩٤).
(٣) صحيح مسلم، كتاب الزينة، باب النهي عن لبس الرجل الثوب المعصفر (٢٠٧٧).

وصاحبيه، وما فعل مع حسان وحمنة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وإقامته حد القذف عليهما عندما خاضا في الإفك.. وقبل الله توبتهما.

الثامن عشر: حفظ اللسان وحسن الظن بالعاصي:

إذا كان الناس عامة بحاجة إلى الرحمة والرعاية، فإن الذي زل ووقع في المعصية بحاجة خاصة أن نأخذ بيده لا أن نتركه واقعاً، أو نهيل عليه التراب فنكون عوناً للشيطان عليه، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إن رسول الله ﷺ أُتِيَ برجل قد شرب الخمر، فقال: اضربوه، فمنا الضارب بيده، والضارب بثوبه، والضارب بنعله، ثم قال: بكتوه، فأقبلوا عليه يقولون: ما اتقيت الله؟ ! ما خشيت الله؟! وما استحييت من رسول الله ﷺ؟!، فقال بعض القوم: أخزاك الله! قال: **(لا تقولوا هكذا ! لا تعينوا عليه الشيطان)**(١)، وفي رواية: **(ولكن قولوا: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه)**(٢).

وفي رواية: أن رجلاً كان رسول الله ﷺ قد جلده في الشرب، فأتي به يوماً فأمر به فجلد، فقال رجل في القوم: اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به، فقال رسول الله ﷺ: **(لا تلعنوه، فوالله ما علمت إنه يحب الله ورسوله)**(٣).

التاسع عشر: الدعاء للعصاة بالهداية:

ففي حديث شارب الخمر أمر النبي ﷺ الصحابة بالدعاء له بقوله: (ولكن قولوا: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه).

وفي حديث الشاب الذي طلب من النبي أن يأذن له بالزنا، دعا له النبي ﷺ بقوله:

(١) صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب الضرب بالجريد والنعال (٦٧٧٧).
(٢) مسند أحمد ١٣/ ٣٦٦ (٧٩٨٦)، والبيهقي ٨/ ٣١٢، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.
(٣) صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب ما يكره من لعن شارب الخمر، وإنه ليس بخارج من الملة (٦٧٨٠).

(اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه).

وعندما قدم طفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه على النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله إن دوْساً عصت وأبت فادع الله عليها، فقال: **(اللهم اهد دوساً وائتِ بهم)**[(١)].

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم (٢٩٣٧)، ومسلم، فضائل الصحابة باب من فضائل غفار وأسلم وجهينة (٢٥٢٤).

المبحث الثاني

دعوة المنافقين

ويتضمن ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مقدمات حول النفاق.

المطلب الثاني: أهم صفات المنافقين.

المطلب الثالث: معالم دعوة المنافقين.

المبحث الثاني

دعوة المنافقين

الحديث عن دعوة المنافقين من أهم القضايا التي تحتاج إلى جلاءِ أمرها، وما ذاك إلا لعظم هذا الأمر على المسلمين، وخطره على حياتهم في ماضيهم ومستقبلهم.

وسنبرز هذا الموضوع في ثلاثة مطالب[١]:

المطلب الأول

مقدمات حول النفاق

أولاً: مفهوم النفاق:

قال حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: المنافق «الذي يصف الإسلام ولا يعمل به»[٢].

وقال ابن جريج: «المنافق يخالف قوله فعله، وسره علانيته، ومدخله مخرجه، ومشهده مغيبه»[٣]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «هم الذين آمنوا ظاهراً، لا باطناً»[٤].

وقال ابن سعدي: «هم أقوام يظهرون الإيمان، ويبطنون الكفر؛ ليبقى جاههم وتحقن دماؤهم، وتسلم أموالهم»[٥].

---

(١) ينظر: رسالة ماجستير بعنوان المنهج الدعوي في تعامل النبي ﷺ مع المنافقين للباحثة هيلة بن عبدالله الجدعاني، في جامعة أم القرى، وكيف عامل النبي ﷺ المنافقين من كتاب كيف عاملهم رسول الله ﷺ د. محمد المنجد، ومعاملة النبي ﷺ للمنافقين، د. عبدالعلي الولي، بحث منشور في مجلة الوعي الإسلامي.

(٢) مصنف بن أبي شيبة ٧/ ٤٨٤، حلية الأولياء١/ ٢٨٢.

(٣) جامع البيان ١/ ٢٧٠.

(٤) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٤٣٣.

(٥) تيسير الكريم الرحمن ص ٤٢.

ثانياً: ظهور النفاق:

لم تكن بيئة الدعوة في مكة تناسب نشأة النفاق، فقد كان الوضع العام فيها يدعو إلى إخفاء الإسلام وإظهار غيره حيث كانت سطوة كفار مكة على المسلمين في أوجها، حيث التشديد عليهم والنيل منهم، ولهذا فإن إعلان الكفر بينهم لن يجلب لصاحبه إلا السلامة.

وعندما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة ظل بعض أهلها على شركهم وجاهليتهم في بادئ الأمر كعبدالله بن أبي بن سلول ومن تبعه من المشركين وتضامن مع اليهود وجماعة من الأوس والخزرج(١) وكانوا يجاهرون بالعداء والميل لهم لمعاداتهم للنبي ﷺ.

فعن عروة بن الزبير قال: «أخبرني أسامة بن زيد، أن النبي ﷺ، ركب حماراً وأردف وراءه أسامة بن زيد، وهو يعود سعد بن عبادة، وذلك قبل وقعة بدر، حتى مر في مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود، وفيهم عبدالله بن أبي بن سلول، وفي المجلس عبدالله بن رواحة، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة، خمر عبدالله بن أبي أنفه بردائه، ثم قال: لا تغبروا علينا، فسلم عليهم النبي ﷺ ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن، فقال عبدالله بن أبي بن سلول: أيها المرء، لا أحسن من هذا إن كان ما تقول حقاً، فلا تؤذنا في مجلسنا، وارجع إلى رحلك، فمن جاءك منا فاقصص عليه، قال ابن رواحة، اغشنا في مجالسنا فإنا نحب ذلك فاستب المسلمون والمشركون واليهود، حتى هموا أن يتواثبوا، فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم.

فحكي النبي ﷺ لسعد بن عبادة ما ناله من إيذاء ابن سلول له، فما كان من سعد بن عبادة إلا أن قال: «اعف عنه واصفح يا رسول الله، فوالله لقد أعطاك الله الذي أعطاك، ولقد اصطلح أهل هذه البحرة على أن يتوجهوه، فيعصبونه بالعصابة، فلما رد

---

(١) شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ص٢١٦.

الله ذلك بالحق الذي أعطاك شرق بذلك، فذلك فعل به ما رأيت، فعفا عنه النبي ﷺ »[١].

إذا هـو الحقـد والخوف من ضيـاع الزعامة والسـيادة، يقول ابن إسـحاق: «فأما عبدالله بن أبي فكان قومه قد نظموا له من الخرز ليتوجوه ثم يملكون عليهم»[٢].

حتـى كان يوم بدر وما كان فيه من نصر وتمكين للنبي ﷺ وللمسـلمين، حيث قال ابن سلول ومن معه من المشركين عبدة الأوثان: «هذا أمر قد توجه، فبايعوا الرسول ﷺ على الإسلام فأسلموا»[٣].

≪ ثالثاً: أنواع النفاق[٤]:

النـوع الأول: النفـاقُ الاعتقـادي: وهو النفاق الأكـبر الذي يُظهر صاحبه الإسـلام، ويُبطن الكفر، وهذا النوع مخرج من الدين بالكلية، وصاحبه في الدرك الأسفل من النار.

وقـد وصَفَ الله أهله بصفات الشـر كلهـا: من الكفر وعدم الإيمان، والاسـتهزاء بالديـن وأهله، والسـخرية منهم، والميل بالكلية إلى أعداء الدين؛ لمشـاركتهم لهم في عداوة الإسلام.

وهؤلاء مَوجودون في كل زمان، ولا سيما عندما تظهر قوة الإسلام ولا يستطيعون مقاومتـه في الظاهـر، فإنهم يظهـرون الدخول فيه؛ لأجـل الكيد له ولأهلـه في الباطن؛ ولأجل أن يعيشوا مع المسلمين ويأمنوا على دمائهم وأموالهم.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الاسـتئذان،، باب: التسـليم في مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين، رقم (٦٢٥٤).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ص٤٩٤

(٣) صحيـح البخـاري، كتـاب التفسـير،، باب قـول الله تعالـى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا﴾.

(٤) ينظر: شرح كتاب التوحيد للفوزان ص٢٧.

وقد هتك الله أستار هؤلاء المنافقين، وكشف أسرارهم في القرآن الكريم، وجلى لعباده أمورهم؛ ليكونوا منها ومن أهلها على حذر.

النوع الثاني: النفاق العملي: وهو عمل شيء من أعمال المنافقين؛ مع بقاء الإيمان في القلب، وهذا لا يُخرج من الملة، لكنه وسيلة إلى ذلك، وصاحبه يكونُ فيه إيمان ونفاق، وإذا كثر صارَ بسببه منافقاً خالصاً، والدليل عليه قوله ﷺ: **(أربعٌ مَنْ كُنَّ فيه كانَ منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها؛ إذا اؤتمن خان، وإذا حدّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر)**[1].

فمن اجتمعت فيه هذه الخصال الأربع، فقد اجتمع فيه الشر، وخلصت فيه نعوت المنافقين، ومَن كانت فيه واحدة منها صار فيه خصلة من النفاق، فإنه قد يجتمع في العبد خصال خير، وخصال شر، وخصال إيمان، وخصال كفر ونفاق، ويستحق من الثواب والعقاب بحسب ما قام به من موجبات ذلك.

فالنفاق شر، وخطير جدّاً، وكان الصحابة يتخوفون من الوقوع فيه، قال ابن أبي مليكة: «أدركت ثلاثين من أصحاب رسول الله ﷺ كُلُّهم يخاف النفاق على نفسه»[2].

رابعاً: أهمية دعوة المنافقين:

تظهر أهمية دعوة المنافقين في النقاط التالية:

١- لأن النفاق مرض خطير وجرم كبير، وهو أخطر من الكفر وعقوبته أشد؛ لأنه كفر بلباس الإسلام، وضرره أعظم، ولذلك جعل الله المنافقين في أسفل النار كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥].

(١) صحيح البخاري، كتاب النفاق، باب علامات النفاق (٣٤).
(٢) صحيح البخاري تعليقاً في كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر.

٢- المنافقون دائماً في حيرة وتقلب في خداع ومكر ظاهرهم مع المؤمنين.. وباطنهم مع الكافرين، حيناً مع المؤمنين وحيناً مع الكافرين ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤٣].

٣- المنافقون لفساد قلوبهم أشد الناس إعراضاً عن دين الله كما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦١].

٤- تصرفات المنافقين تدور مع مصالحهم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٤].

٥- المنافقون كما يقول شيخ الإسلام: «والمنافقون ما زالوا، ولا يزالون إلى يوم القيامة»[١]، فلا يمكن أن يزول المنافقون من الأرض بالكلية، بل سيبقى المنافقون في الأرض ما بقي الناس فيها، إنهم صنف موجودون باستمرار، وخطرهم عظيم وعدائهم شديد، وقد عانى منهم النبي ﷺ معاناة عظيمة؛ لأنهم يخالطون المؤمنين، يتظاهرون بأنهم منهم، ولكنهم يحاولون خديعتهم.

وهذه الأمور تدعو إلى محاولة دعوتهم لأربع أهدافٍ:

الأول: هدايتهم.

والثاني: تحييدهم.

والثالث: أخذ الحيطة والحذر منهم.

والرابع: تحجيم انتشارهم.

---

(١) مجموع الفتاوى ٧/ ٢١٢.

المطلب الثاني

نماذج لصفات المنافقين

من المهم جدّاً قبل الحديث عن معالم دعوة المنافقين، من معرفة أهم صفات المنافقين، حيث إنها مما يعين الداعية التنبه لهم، ومعرفة خطرهم وكيفية دعوتهم بوعي وبصيرة وحذر، حتى يعالج المرض قبل استفحاله في الشخص الواحد أولاً، ثم قبل استفحاله في المجتمع ثانياً.

وصفات المنافقين كثيرة نبرز أهمها في النقاط التالية:

١- التكبّر والاستكبار، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ [المنافقون:٥].

٢- الاستهزاء بآيات الله، ورسوله والمؤمنين، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥ - ٦٦].

٣- الظن السيئ بالله تعالى، قال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ [الفتح:٦].

٤- عدم الثقة بوعد الله تعالى ووعد رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب:١٢].

٥- صدّ الناس عن الإنفاق في سبيل الله، قال تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا ۗ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون:٧].

٦- التستّر ببعض الأعمال المشروعة للإضرار بالمؤمنين، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ [التوبة:١٠٧].

٧- التفريق بين المؤمنين والدّسّ والوقيعة وإشعال الفتنة واستغلال الخلافات والإفساد في الأرض وادعاء الإصلاح، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ١١ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ﴾ [البقرة:١١- ١٢].

٨- السفه ورمي المؤمنين بالسفه، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:١٣].

٩- موالاة الكافرين، قال تعالى: ﴿بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ١٣٨ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا﴾ [النساء:١٣٨-١٣٩]، وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدٗا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الحشر:١١].

١٠- مخادعة الله تعالى والكسل في العبادات والرياء في الطاعات وقلة ذكر الله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء:١٤٢].

١١- التّذبذب والتردّد بين المؤمنين والكافرين، قال الله تعالى: ﴿مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا﴾ [النساء:١٤٣]، قال الطبري: «عنى بذلك أن المنافقين متحيّرون في دينهم، لا يرجعون إلى اعتقاد شيء

على صحّة، فهم لا مع المؤمنين على بصيرة، ولا مع المشـركين على جهالة، ولكنّهم حيارى بين ذلك»[١].

١٢- المخادعـة، قـال الله تعالـى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة:٩].

١٣- التحاكـم إلى الطاغوت والصدود عما أنزل الله و عدم الرضا بالتحاكم إليه، قـال تعالـى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [النساء:٦٠-٦١].

١٤- يعيبـون العمل الصالـح ويرضون ويسـخطون لحظوظهم، قـال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة:٥٨].

١٥- يكرهون الجهاد والاستشـهاد في سبيل الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْ ۖ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [آل عمران:١٦٧].

١٦- يسخرون من العمل القليل من المؤمنين، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة:٧٩].

---

(١) جامع البيان ٥/ ٣٣٥-٣٣٦.

١٧- الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف والبخل ونسيان الله، قال تعالى: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [التوبة:٦٧].

١٨- التخذيل والتثبيط والإرجاف، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾
[الأحزاب:١٢-١٣].

المطلب الثالث

معالم دعوة المنافقين

دعوة من فيه صفة أو خصلة من خصال المنافقين ترتكز على علاج تلك الخصلة، كما هي دعوة عصاة المسلمين تماماً، فهم مسلمون مقصرون، وعاصون.

أما دعوة المنافقين الذين نفاقهم اعتقاديٌّ فهي الأخطر والأصعب، وترتكز حول دعوته إلى الإيمان بالله تعالى إيماناً كاملاً كما يُدعى غير المسلمين، فهم في الحقيقة غير مسلمين حتى ولو كانوا بين المسلمين.

وقد كان لرسول الله ﷺ عليه وسلم مجموعة من الأساليب التي تمثل وقاية من خطر النفاق، وكذلك فرصة للمنافقين لعل الله تعالى أن يهديهم، ومن ذلك:

☜ أولاً: الإخفاء وعدم التشهير:

من الثابت أن الله تعالى أخبر النبي ﷺ بأخبار المنافقين وصفاتهم قال تعالى: ﴿ أَمْ

﴿حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٢٩ - ٣٠].

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: «فلم يخْفَ منافق بعد هذه الآية على رسول الله ﷺ، عرفه الله ذلك بوحي أو علامة، عرفها بتعريف الله إياه»(١).

ومن الثابت كذلك أن النبي ﷺ أسرَّ إلى حذيفة بأسماء المنافقين، حتى إن عمر ناشده: أأنا من المنافقين؟ فقال: لا، ولا أزكي أحداً بعدك(٢).

وهذا يرجع إلى أن الإسلام يعلمنا أن نحكم على ظواهر الناس، ونترك سرائرهم للخالق عز وجل، وأن في سترهم تحفيزاً على الاجتهاد في العمل، وترك أعمالهم الدنيئة، لأن كل واحد من الصحابة يخشى على نفسه أن يكون منهم، كما عبر عن ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ولو فضح النبي ﷺ أمرهم، لأدى ذلك إلى فتنة عظمى، لأن هؤلاء المنافقين كانوا ينتمون إلى قبائل مختلفة، فلو كشف النبي ﷺ أمرهم لعيرت كل قبيلة غيرها بمنافقيها، وربما أدى ذلك إلى نبذهم داخل المجتمع، وذلك قد يكون سبباً في عدم توبتهم(٣).

☜ ثانياً: بيان صفات المنافقين:

فقد كان القرآن يَنزِل ببيان صفات المنافقين في آيات كثيرة، حيث إن الصحابة كانوا يستدلون بتلك الصفات على بعض المنافقين، ولكنهم لا يتكلمون ولا يثيرون ذلك، ومن ذلك قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وهو يتحدث عن صلاة الجماعة: «ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق»(٤).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٢٥٣.
(٢) سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٦٢.
(٣) معاملة النبي ﷺ للمنافقين، د. عبدالعلي الولي، بحث منشور في مجلة الوعي الإسلامي.
(٤) صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب صلاة الجماعة من سنن الهدى (٦٥٤).

وقال كعب ﵁ وهو يحكي قصة تخلّفه عن غزوة تبوك: «فطفقتُ إذا خرجتُ للناس بعد خروج رسول الله ﷺ يحزنني أني لا أرى لي أُسوة إلا رجلاً مغموصاً عليه في النفاق، أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء»[1]، وظاهر هذا أن الصحابة كانوا يعرفون المنافقين بصفاتهم.

فمن الحكمة أن تُربط الأشياء بالعلامات، والصفات، وليس بأسماء معينين؛ لأن النفاق ظاهرة متكررة، ولو بينت أسماء هؤلاء المنافقين كلهم فما الذي يدل أصحاب العصور الأخرى والأجيال القادمة على المنافقين؟

لكن الآيات تولّت بيان الصفات والعلامات؛ لأنها تتكرر، ومن تأمّل، وطابق بين صفات المنافقين الموجودة في التوبة، والمنافقين في سورة النور، وسورة البقرة، وسورة النساء، وسورة الأحزاب، وغيرها من السور، سيجد أن صفات هؤلاء موجودة في واقعنا.

☜ ثالثاً: الترغيب بفتح باب التوبة للمنافقين:

فإن آيات القرآن الكريم التي كانت تتنزل لتفضح أمرهم، وتحذرهم من العداوة للمسلمين، كثيراً ما تتضمن دعوتهم للتوبة، كقوله تعالى: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ [التوبة: ٧٤].

وقال تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِۖ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك (٤٤١٨)، ومسلم، كتاب التوبة باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه (٢٧٦٩).

[التوبة: ١٠١ - ١٠٢]. فيمنحهم بذلك غطاء الستر حال توبتهم.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٤٥ - ١٤٦].

«فلا بدّ من شروط لتوبة المنافق، التوبة، الندم، والعزم على عدم العودة، الإقلاع عن النفاق، كذلك البيان أن ما كان عليه باطل، وأن يبين الدين والحقيقة التي يجب أن يؤمن بها ظاهراً، وباطناً، وكذلك الإصلاح لأنه قد أفسد كثيراً، ولا بدّ أن يحاول إصلاح ما أفسده في السابق»(١).

رابعاً: ترهيب المنافقين:

وأسلوب الترهيب يتوافق مع عظم جرم المنافقين، وهو الأكثر في القرآن، فقد توعدهم الله تعالى بالفضيحة في الدنيا، قال تعالى: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ٦٤].

قال ابن عباس رضي الله عنه عن سورة التوبة: «التوبة هي الفاضحة، ما زالت تنزل، ومنهم، ومنهم حتى ظنوا أنها لن تبقي أحداً منهم إلا ذُكر فيها»(٢).

والفضح والتشهير كثير في الآيات، فبين الله تعالى في كتابه مَن هو المنافق؟ وماذا يقول المنافق؟ وماذا يفعل المنافق؟ وما هي عادة المنافق؟ وما هي طريقة المنافق؟

وتوعدهم في الآخرة بأشد العذاب، كما قال تعالى: قال تعالى: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠]، قال تعالى: ﴿إِنَّ

---

(١) كيف عاملهم رسول الله ﷺ د. محمد المنجد، مبحث كيف عامل المنافقين.

(٢) صحيح البخاري كتاب تفسير القرآن، باب سورة الحشر (٤٨٨٢).

﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥ - ١٤٦].

«لأن ذلك أخفى ما في النار وأستره وأدناه وأوضعه كما أن كفرهم أخفى الكفر أدناه، وهو أيضاً أخبث طبقات النار كما أن كفرهم أخبث أنواع الكفر»(١).

☜ خامساً: ضرب المثل لتشنيع فعلهم:

كما قال تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٧ - ٢٠].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: (مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير إلى هذه مرة، وإلى هذه مرة، لا تدري أهذه تتبع، أم هذه)(٢)، والعائرة هي المترددة التي تدري لأيهم تتبع(٣).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحان ريحه طيب وليس له طعم، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ريحها منتن وطعمها منتن)(٤).

(١) نظم الدرر ٢/ ٣٤٠.
(٢) صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم (٢٧٨٤).
(٣) شرح صحيح مسلم للنووي ١٧/ ١٢٨.
(٤) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب إثم من راءى بقراءة القرآن أو تأكل به أو فخر به (٥٠٥٩)، ومسلم صلاة المسافرين، باب فضيلة حافظ القرآن (٧٩٧).

سادساً: الحكم على الظواهر:

سن النبي ﷺ منهجاً في التعامل مع المنافقين الذين كانوا بين ظهراني المسلمين في المدينة على وجه العموم، فقد كانوا مع المسلمين في كافة أحوالهم الحياتية في التعامل والاجتماع، وأخذ الحقوق، والالتزام بالواجبات، وشهود الصلاة معهم، ويصلى على جنائزهم وتدفن في مقابر المسلمين.

قال القرطبي: «فالمنافقون في ظاهر الحال من أعداد المسلمين بإجراء أحكام المسلمين عليهم وهذا ما تمثله النبي ﷺ في التعامل معهم فكان يأخذ بظاهرهم ويكل باطنهم إلى الله ﷻ»[١].

قال الإمام الشافعي مبيناً منهج النبي ﷺ في حكمه على ظواهر المنافقين: «وفي سنة رسول الله ﷺ في المنافقين دلالة على أمور، منها: لا يقتل من أظهر التوبة من كفر بعد إيمان، ومنها أنه حقن دماءهم وقد رجعوا إلى غير يهودية، ولا نصرانية، ولا مجوسية، ولا دين يظهرونه، إنما أظهروا الإسلام، وأسروا الكفر، فأقرهم رسول الله ﷺ في الظاهر على أحكام المسلمين، فناكحوا المسلمين، ووارثوهم، وأسهم لمن شهد الحرب منهم، وتركوا في مساجد المسلمين»[٢].

والأخذ بهذا الأمر يدفع ظن السوء بالناس، والذي يولد الفرقة والشحناء بينهم، فالأصل الظاهر منهم، أما الباطن فأمره إلى الله ﷻ. حتى يستقر المجتمع وتهدأ أحواله.

فقد قال مالك رضي الله عنه: «إنما كف رسول الله ﷺ عن المنافقين ليبين لأمته أن الحاكم لا يحكم بعلمه»[٣].

(١) الجامع لأحكام القرآن ٥/ ٢٧٦
(٢) الأم للشافعي ١/ ٢٩٦.
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٥٠.

سابعاً: العذر لمن ظهر عليه علامة من علامات المنافقين وليس بمنافق:

قد كان بعض أصحاب رسول الله ﷺ يتخذون ما يبدو لهم من القرائن الدالة على خيانة بعض الأشخاص، ممن أظهروا إسلامهم، حجة على عدم إيمانهم، ويستأذنونه في قتلهم، ويصفونهم بالمنافقين، لما يظهر لهم من أن نفاقهم نفاق اعتقادي، أي إنهم كفار، وليسوا بمسلمين. فكان رسول الله ﷺ يدافع عمن عرف صدقه وإيمانه، ويقبل عذره، ويذكر ما له من فضائل.

كما في قصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه، الذي كشف في رسالة له سر رسول الله ﷺ من عزمه على فتح مكة أرسلها إليهم مع امرأة، وكان ﷺ قد أخفاه ليهاجم قريشاً قبل أن يستعدوا لقتاله.

فلما كشف أمر حاطب، قال عمر: يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال الرسول ﷺ: **(إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدراً، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم)**(١).

أما من دلت القرائن على نفاقه، ولم يعلم الرسول ﷺ صدقه، وترجح له أنه منافق فعلاً، فلم يكن ﷺ يدافع عنه ولا يثني عليه، ولكنه لا يقر أحداً على قتله، ويعلل ذلك بأنه قد أظهر للناس أنه من المسلمين، والإسلام يعصم دماء من أظهره وماله، فإذا أذن في قتله ظن الناس أن محمداً يقتل من آمن به(٢).

ثامناً: رد إرجافهم:

فقد كان المنافقون يشككون في انتصار الإسلام، ويحاولون دائماً تثبيط همم الصحابة

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٣/ ٥٣٨.
(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٢٨٧.

رضوان الله عليهم، بادعائهم أن ما يقومون به مغامرات ستكون عواقبها وخيمة عليهم، ففي غزوة الخندق لما ضيق العدو على المسلمين، وعظم البلاء عليهم، وجد بعض المنافقين ذلك فرصة لخلق البلبلة في صفوف جيش النبي ﷺ، فقالوا: (**كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط**)[١].

وقال آخرون: (**يا رسول الله إن بيوتنا عورة من العدو، فأذن لنا أن نخرج فنرجع إلى دارنا، فإنها خارج من المدينة**)[٢].

فلما كثر الكلام، وتكلم المنافقون بكلام قبيح، تدخل النبي ﷺ ليعالج إرجافهم، فقال: (**والذي نفسي بيده ليفرجن عنكم ما ترون من الشدة والبلاء، فإني لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق آمناً، وأن يدفع الله ﷻ مفاتح الكعبة، وليهلكن الله كسرى وقيصر، ولتنفقن كنوزهما في سبيل الله**)[٣].

☜ تاسعاً: الحذر في التعامل معهم:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: ٤].

قال ابن القيم: «لم يُرد هاهنا حصر العداوة فيهم، وأنهم لا عدو للمسلمين سواهم، بل هذا من إثبات الأولوية والأحقية لهم في هذا الوصف، وأنه لا يُتوهّم بانتسابهم إلى المسلمين ظاهراً وموالاتهم لهم ومخالطتهم إياهم أنهم ليسوا بأعدائهم، بل هم أحق بالعداوة ممن باينهم في الدار»[٤].

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٢٠٦.
(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٢٠٦.
(٣) السنن الكبرى للبيهقي ٩/ ٥٤ (١٧٨٦٣).
(٤) طريق الهجرتين ص٤٠٢.

ولذلك يقول الله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [التوبة: ٤٣]. قال مجاهد: «نزلت هذه الآية في أناس قالوا: استأذنوا رسول الله فإن أذن لكم فاقعدوا، وإن لم يأذن لكم فاقعدوا»(١).

قال ابن كثير: أي «هلا تركتهم لما استأذنوك، فلم تأذن لأحد منهم في القعود، لتعلم الصادق منهم في إظهار طاعتك من الكاذب، فإنهم قد كانوا مصرين على القعود عن الغزو وإن لم تأذن لهم فيه»(٢).

قال الرازي: «دلت الآية على وجوب الاحتراز عن العجلة، ووجوب التثبت والتأني، وترك الاغترار بظواهر الأمور، والمبالغة في التفحص، حتى يمكنه أن يعامل كل فريق بما يستحقه من التقريب أو الإبعاد»(٣).

☜ عاشراً: التثبت من الأخبار التي يثيرونها ومواجهتهم بها:

كان من الذين تخلفوا عن غزوة تبوك الجُلاس بن سويد، يثّبط الناس عن الخروج، وكان عمير بن سعيد يتيماً في حِجره، وأمه تحت الجلاس، وكان يكفله، ويحسن إليه، فسمع عمير الجلاس المنافق يقول: والله لئن كان محمد صادقاً لنحن شرٌّ من الحمير.

فقال له عمير: يا جُلاس، والله لقد قلتَ مقالة لئن ذكرتها لتفضحنك، ولئن كتمتها لأهلكن، وإحداهن أهون عليّ من الأخرى.

فذكر للنبي ﷺ مقالة الجلاس، **فبعث النبي ﷺ إلى الجلاس، فسأله عما قال عمير**، فحلف الجلاس بالله لرسول الله ﷺ أنه ما قال، وقال: لقد كذب عليّ عمير،

---

(١) جامع البيان ١٤/ ٢٧٣.
(٢) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٥٩.
(٣) مفاتيح الغيب ١٦/ ٥٩.

وما قلتُ ما قال عمير، فقال عمير: بلى، والله قلته، فتُب إلى الله تعالى، ولولا أن ينزل قرآن فيجعلني معك ما قلته، فجاء الوحي إلى رسول الله ﷺ بقول الله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [التوبة:٧٤].
فقال الجُلاس: قد قلتُه، وقد عرض الله عليّ التوبة فأنا أتوب.

قال عروة: فما زال عمير في علياء بعد هذا حتى مات»[١].

نلاحظ أن النبي ﷺ كان يواجه المنافقين بما يبلغه عنهم، أنت قلتَ كذا؟ وهذا فيه فوائد؛ فإن اعترف هذا الرجل فلا شك أنه سيكون كافاً لشره، وإن أنكر فسيوضع تحت المجهر، يعرف أنه الآن تحت الاطلاع والمراقبة، فيحذر، ويخشى أن الكلمة التي بعدها تصل من طرق أخرى، وتزداد عليه التهم.

ولذلك كانت مواجهة المنافقين بما يبلغ النبي ﷺ عنهم مهمة في التخفيف من شرهم..

ولاشك أن هذا من المنافقين القلائل الذين أسلموا، فاعترف بذنبه، وحسُنت توبته، ولم يمتنع عن خير كان يصنع إلى عمير بن سعد.

وموقف عُمير، في فضحه للمنافقين حُفِظ له عند المسلمين، وصار بينهم في منزلة؛ لأنه كان من أسباب توبة هذا الرجل بعد فضحه[٢].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٦/ ١٨٤٦ (١٠٤٠١)، جامع البيان ١٤/ ٣٦١، والدر المنثور ٤/ ٢٤١، قال ابن عبد البر: «وقصته مشهورة في التفاسير» ينظر: الاستيعاب ١/ ٧٩.

(٢) ينظر: كيف عاملهم رسول الله ﷺ ص٦٧٧ وما بعدها باختصار.

الحادي عشر: الصبر على ما يصدر من المنافقين:

فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قسم النبي ﷺ قسماً، فقال رجل: إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، فغضب حتى رأيت الغضب في وجهه، ثم قال: **(يرحم الله موسى، قد أوذي بأكثر من هذا فصبر)**(١).

هذا الحديث نرى فيه حلم النبي ﷺ، وإعراضه عن المنافقين، تأليفاً لقلوب أقوامهم، وتأليفاً لقلوب أولادهم؛ ولكي **(لا يتحدث الناس بأن محمداً يقتل أصحابه)**(٢)، فهذا يستحق القتل بلا شك، لكن الناس البعيدين، أو العرب الذين سلطوا الأضواء على المدينة لو بلغهم أنه قتل واحداً من الذين معه بدون سبب واف، فسيقولون: محمد يقتل أصحابه، ولذلك صبر ﷺ، وتحمل لمصلحة الدعوة.

الثاني عشر: مراعاة أحوال الناس في التعامل مع المنافقين:

بالتأمل لسيرته ﷺ مع كبير المنافقين عبدالله ابن أبي بن سلول يرى أنها خالية من الغل والحقد والانتقام للنفس، وأن الذي يحكمها تلك الظروف التي يمر بها تأسيس المجتمع المدني.

فها هو ﷺ يراعي أحوال قومه في عدد من المواقف ففي غزوة بني المصطلق قال ﷺ لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما أستأذن في قتل ابن سلول جراء محاولته إثارة الفتن و القلائل بين صفوف المسلمين: «كيف ترى يا عمر أما والله لو قتلته يوم قلت لي اقتله، لأرعدت له آنف لو

---

(١) صحيح البخاري كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه (٣١٥٠)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام (١٠٦٢).
(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ﴾ [المنافقون: ٦] (٤٩٠٥). ومسلم، كتاب البر والصلة، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً (٢٥٨٤).

أمرتها اليوم بقتله لقتلته»[١].

فراعى النبي ﷺ أحوال قومه، بعدم رسوخ بعضهم في الإسلام في البداية، أما وقد انجلى الأمر فالموقف عندهم سيختلف.

وفيما يخص ابنه عبدالله فقد عرض على النبي ﷺ أن يتولى قتل والده إن كان في نية النبي ﷺ ذلك، فكان رده ﷺ: **(بل نترفق به و نحسن صحبته ما بقي معنا)**[٢].

ولا شك أن هذه الكلمات ستجد صداها عند الابن حينما يرى كيف كان موقفه ﷺ من والده، مع شدة عبدالله بن أبي بن سلول على النبي ﷺ، وماذا سيقول آل سلول عن هذا الموقف العظيم من نبي الرحمة ﷺ.

☜ الثالث عشر: التدرج من المسامحة إلى المواجهة:

إذا أمعنَّا النظر في ردود أفعال الرسول ﷺ في وجه المنافقين، فسنجدها تدرجت حسب أفعالهم، فلما كانت أفعالهم فردية وعابرة كان ﷺ لا يوليها اهتماما كبيراً، فلما أصبحت أعمالاً مخططاً لها، تغير أسلوبه في التعامل معهم من الصبر والصفح إلى المواجهة، فالمنافقون الذين اجتمعوا في بيت سويلم اليهودي قصد الكيد للمسلمين، أرسل إليهم طلحة بن عبيدالله في نفر من أصحابه، وأمره أن يحرق عليهم بيت سويلم، ففعل طلحة، فاقتحم الضحاك بن خليفة[٣] من ظهر البيت، فانكسرت رجله، واقتحم أصحابه فأفلتوا[٤]، وأمر رسول الله ﷺ أيضاً بهدم مسجد الضرار وتحريقه، لأنه أنشئ لتفريق المسلمين[٥].

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ص٨٤٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) روي أنه تاب وصلح حاله وقيل: إن والد الضحاك هو الذي كان منافقاً، والله أعلم. انظر: الإصابة ٣/ ٣٨٤.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ١٨٣.

(٥) السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٢٠٢- ٢٠٣.

ومن ذلك ما ورد منهم من استهزاء عند العودة من تبوك، فقد قال الله تعالى فيهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة: ٦٥ - ٦٦].

☜ الرابع عشر: الحرمان من المناصب والمسؤوليات الحساسة:

إن المتتبع لسيرة الرسول ﷺ يدرك جيداً مدى حذره ﷺ من مكائد المنافقين، ومن هذا الحذر أنه لم يول أحداً من المنافقين، قال ابن تيمية رحمه الله بهذا الصدد: «والنبي ﷺ لم يول على المسلمين منافقاً»(١).

☜ الخامس عشر: جهاد المنافقين بالحجة والبيان:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣].

«**أما مجاهدة الغير فإنها تنقسم إلى قسمين**: قسم بالعلم والبيان، وقسم بالسلاح.

أما من مجاهدته بالعلم والبيان فهو الذي يتسمى بالإسلام وليس من المسلمين، مثل المنافقين وأهل البدع المكفرة وما أشبه ذلك، فإن هؤلاء لا يمكن أن نجاهدهم بالسلاح، لأنهم يتظاهرون بالإسلام، وأنهم معنا، ولكننا نجاهدهم بالعلم والبيان، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾، فجهاد الكفار يكون بالسلاح، وجهاد المنافقين يكون بالعلم والبيان.

ولهذا كان رسول الله ﷺ يعلم بأن في أصحابه منافقين، ويعلمهم بأعيانهم، ولكنه

---

(١) الفتاوى الكبرى ٣/ ٤٥١.

لا يقتلهم، واستؤذن في قتلهم فقال: (لا يتحدث الناس بأن محمداً يقتل أصحابه)[(١)]»[(٢)].

وقد كان رسول ﷺ يلاين المنافقين.. وإن للين مواضعه وللشدة مواضعها. فإذا انتهى وقت اللين والمصابرة فلتكن الشدة والحسم القاطع.. واللين في بعض الأحيان قد يؤذي، والمطاولة قد تضر.

السادس عشر: الإعراض عنهم وعدم طاعتهم:

قال تعالى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: ٩٥]. «يخبر عنهم أنهم سيحلفون لكم معتذرين لتعرضوا عنهم فلا تؤنبوهم فأعرضوا عنهم احتقاراً لهم»[(٣)].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٨].

وذلك لأن المنافقين يظهرون النصح للمؤمنين، لكنهم في الحقيقة خدام لأعدائهم؛ ولذا وجب الإعراض عن قولهم، وعدم أخذ نصيحتهم، ولا اتخاذهم بطانة؛ لأنهم أهل غش وخيانة، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ٨١] وإنما البلاء، والفتنة، والخيبة والفشل والخسران في اتخاذ المنافقين بطانة من دون المؤمنين، والاستماع إليهم، والاغترار بقولهم، والأخذ بنصيحتهم.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [المنافقون: ٦] (٤٩٠٥). ومسلم، كتاب البر والصلة، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً (٢٥٨٤).

(٢) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٢/ ٥٥-٥٦، باب المجاهدة.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧/ ٢٦٧.

السابع عشر: الاستعذار:

وقـد ورد هـذا في حادثة الإفك، حينما قال ﷺ: (من يعذرني في رجل بلغني أذاه في أهلـي؟ والله! مـا علمت على أهلي إلا خيراً)(١)، أي: «من يقـوم بعذري إن كافأته على سوء صنيعه فلا يلومني»(٢).

«فهذا تحذير لشخص مبهم يعرف نفسه وقد يعرفه بعض السامعين، وهذا التحذير يحل نبرة التهديد والوعيد بالعقوبة، وهذا بلا شـك يسـبب قلق للمعني به فيظل مترقباً لعواقـب فعله، كما فيه تحذير لغيره، حتى يحذروا من الوقوع في نفس الخطأ، وكذلك أن يتعرض للتعريف واللوم من غير إنكاراً عليه»(٣).

الثامن عشر: الموعظة الحسنة البليغة:

قـال تعالـى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦١ - ٦٣].

أي: «فدعهـم فلا تعاقبهم في أبدانهم وأجسـامهم، ولكن عظهـم بتخويفك إياهم بـأسَ الله أن يحـلّ بهم، وعقوبته أن تنزل بدارهم، وحذِّرهم مـن مكروهِ ما هم عليه من الشك في أمر الله وأمر رسوله، ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾ أي: مرهم باتقاء الله والتصديق به وبرسوله ووعده ووعيده»(٤).

---

(١) صحيـح البخـاري، كتـاب الاعتصـام بالكتـاب والسـنة، بـاب قـول الله تعالـى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨] (٧٣٦٩)، ومسلم، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف (٢٧٧٠).
(٢) النهاية في غريب الحديث١/ ١٩٧.
(٣) المنهج الدعوي في تعامل النبي ﷺ مع المنافقين ص١٨٢.
(٤) جامع البيان ٨/ ٥١٥.

وقال ابن كثير: «أي: وانصحهم فيما بينك وبينهم بكلام بليغ رادع لهم»[(١)].

وقال ابن سعدي: «أي: انصحهم سراً بينك وبينهم، فإنه أنجح لحصول المقصود، وبالغ في زجرهم وقمعهم عمَّا كانوا عليه»[(٢)].

(١) تفسير القرآن العظيم ٢/ ٢٤٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص١٨٤.

المبحث الثالث

دعوة أهل البدع

ويتضمن ستة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم البدعة وحدودها وأقسامها.

المطلب الثاني: أهمية الاتباع وخطر الابتداع.

المطلب الثالث: أسباب ظهور البدع.

المطلب الرابع: الأصول التي وقع فيها الابتداع.

المطلب الخامس: معالم منهجية في دعوة أهل البدع

المطلب السادس: الهجر وسيلة دعوية في دعوة المبتدع.

المبحث الثالث

دعوة أهل البدع

دعـوة أهل البدع إلى الحق وظيفةُ العلماء، لا يجوز التساهل فيها، أو التقصير في أدائها؛ إذ بها تتم حماية الدين، وتنقيته من شائبة الباطل.

وعلى مَن تصدَّى لدعوة أهل البدع أنْ يعرف: ما هي الأصول والضوابط والمعالم التي ينبغي التزامها؟ وما هي المحاذير والمزالق التي ينبغي تجنُّبها؟

ويمكن بيان ذلك في سبعة مطالب(١):

المطلب الأول

مفهوم البدعة وحدودها وأقسامها

لا بد للداعية من معرفة مفهوم البدعة حتى لا يُدخل في البدعة ما ليس منها، وحتى لا يُخرج منها ما هو منها، وبيان ذلك في النقاط التالية:

أولاً: مفهوم البدعة لغة:

البدعة لغة: (بدع) ابتداء الشيء وصنعه لا عن مثال، كقولهم: أبدعت الشيء قولاً أو فعلاً: إذا ابتدأته لا عن سابق مثال. والله ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧]، وقال الله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩]، أي: ما كنت أول(٢) من أرسل من الرسل بل أرسل مثلي رسل كثير.

---

(١) هذا المبحث عبارة عن تلخيص لكتاب دعوة أهل البدع د. خالد الزهراني، بتصرف، وبحث قيم منشور على موقع الدرر السنة بعنوان: التعامل مع المبتدعة في مقام الدعوة، وكتاب أصول الفرق للحوالي، مع كثير من الزيادات.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة ١/ ٢٠٩.

ثانياً: مفهوم البدعة اصطلاحاً:

تنوعت تعريفات العلماء للبدع، وهذا التنوع راجعٌ إلى زيادةِ قيودٍ وضوابطَ، ومن أجمع تلك التعريفات: تعريف الإمام الشاطبي للبدعة بقوله:

«البدعة عبارةٌ عن طريقةٍ في الدين مخترعةٍ، تضاهي الشرعية، يُقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله تعالى.

وهذا على رأي من لا يدخل العادات في معنى البدعة وإنما يخصها بالعبادات.

وأما على رأي من أدخل الأعمال العادية في معنى البدعة فيقول:

البدعة طريقةٌ في الدين مخترعةٌ تضاهي الشرعية يُقصد بالسلوك عليها ما يُقصد بالطريقة الشرعية»[1].

ثالثاً: حدود البدعة:

- قوله: «طريقةٌ في الدين مخترعةٌ» وإنما قيدت بالدين لأنها فيه تُخترع وإليه يُضيفها صاحبها، وأيضاً فلو كانت طريقةً مخترعةً في الدنيا على الخصوص لم تُسَمَّ بدعةً؛ كإحداث الصنائع والبلدان التي لا عهد بها فيما تقدم.

- قوله: «مخترعة» ولما كانت الطرائق في الدين تنقسم؛ فمنها ما له أصلٌ في الشريعة، ومنها ما ليس له أصلٌ فيها، خُصَّ منها ما هو المقصود بالحد وهو القسم المخترع، أي: طريقةٌ ابتدعت على غير مثالٍ تقدمها من الشارع؛ إذ البدعة إنما خاصتها أنها خارجة عَمَّا رسمه الشارع، وبهذا القيد انفصلت عن كل ما ظهر لبادئ الرأي أنه مخترعٌ، مما هو متعلق بالدين، كعلم النحو والتصريف، ومفردات اللغة، وأصول

(١) الاعتصام ١/ ٥٠.

الفقـه، وأصول الدين، وسـائر العلوم الخادمة للشـريعة؛ فإنها وإن لـم توجد في الزمان الأول فأصولها موجودة في الشرع.

- **قوله: «تضاهي الشـرعية»** يعني أنها تشابه الطريقة الشرعية، من غير أن تكون في الحقيقـة كذلـك، بل هي مضادةٌ لها من أوجـهٍ متعددةٍ، كالتزام كيفيـاتٍ وهيئاتٍ معينةٍ دون إذن الشارع بها.

- **قولـه: «يُقصد بالسـلوك عليها المبالغـة في التعبد لله تعالى»** وهـذا يُخرج البدع اللغويـة غيـر المذمومـة، كالمخترعات الحديثة، ممـا لا يقصد به التعبـد لله وليس فيه محذورٌ شرعيٌّ.

- **قولـه في التعريـف الثاني: «يقصـد بالطريقة الشـريعة»** ومعناه: أن الشـريعة إنما جاءت لمصالح العبـاد في عاجلتهم وآجلتهم، لتأتيهم في الدارين على أكمل وجوهها، فهـو الذي يقصده المبتدع ببدعتـه، لأن البدعة إما أن تتعلق بالعادات أو العبادات؛ فإن تعلقـت بالعبادات فإنمـا أراد بها أن يأتي تعبده على أبلغ ما يكـون في زعمه، ليفوز بأتم المراتـب في الآخرة في ظنه، وإن تعلقت بالعـادات فكذلك لأنه إنما وضعها لتأتي أمور دنياه على تمام المصلحة فيها»[(١)].

رابعاً: أقسام البدع:

يصنف العلماء البدعة من عدة زوايا، فمن حيث مجالها، تنقسم إلى:

١- **بدعـة اعتقادية:** وهي اعتقاد الشـيء على خلاف ما جاء بـه النبي ﷺ، كبدعة الخـوارج في اعتقادهـم تكفير العصاة من المسـلمين؛ وكالمجسـمة والمشـبهة الذين شبهوا الله بخلقه -تعالى الله علوّاً كبيراً، أو النفاة الذين حرفوا صفاته عن دلالتها.

(١) ينظر الاعتصام ١/ ٥٠- ٧٥ باختصار وتصرف يسير.

٢- بدعة عملية: وهي التي تكون في المسائل الفقهية القطعية أو الظنية، كالتي تكون في العمل الظاهر، كصلاة تخالف ما ورد عن النبي ﷺ، ونحو ذلك من الأعمال. وكلها داخلة تحت قوله ﷺ: **(من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)**(١). وفي رواية: **(من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)**(٢).

٣- وبدعية قولية: وهي ما كان فيه تغيير لما جاء في كتاب الله ﷻ، ولما ثبت في سنة رسول الله ﷺ، كأقوال المبتدعة من الفرق المشهورة، مما هو ظاهر المخالفة للكتاب والسنة، وظاهر الفساد والقبح، كأقوال الرافضة والخوارج والجهمية والمعتزلة والأشعرية؛ وجميع الفرق المؤولة، التي وضعت لنفسها مناهج مخالفة لمنهج الطائفة الناجية المنصورة، الظاهرة على الحق إلى قيام الساعة.

ومنهم من قسمها إلى نوعين: نوع في الأقوال والاعتقادات، ونوع في الأفعال والعبادات، والثاني يتضمن الأول، كما أن الأول يدعو إلى الثاني.

وتُقسم البدعة بحسب ما يؤول إليها صاحبها إلى: بدعة مكفرة، وبدعة غير مكفرة.

وربما تخلف الحكم على المعين بالبدعة رغم قيامه بها، إذا توفر مانع أو انتفى شرط؛ فالحكم على العمل أو القول لا يلزم منه تبديع المعين القائل أو العامل به؛ إلا إذا أُقيمت عليه الحجة، وتوفرت الشروط، وانتفت الموانع.

---

(١) صحيح البخاري كتاب الصلح باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود (٢٦٩٧)، ومسلم، كتاب الحدود باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور (١٧١٨).
(٢) صحيح مسلم، كتاب الحدود باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور (١٧١٨).

المطلب الثاني

أهمية الاتباع وخطر الابتداع

يمكن بيان ضرورة معرفة الداعية أهمية الاتباع وخطر الابتداع في النقاط التالية:

أولاً: إن توحيد المتبوع ﷺ يأتي بعد توحيد المعبود ﷻ، فالاتباع شرط القبول الثاني بعد تجريد الإخلاص، قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف ١١٠]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقال ﷺ: **(من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)**(١).

وقال ﷺ: **(إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة)**(٢).

ثانياً: الاتباع الصادق وترك الابتداع سبيل إقامة الأمر، وحصول الأجر، والأمن من الفتنة ومغفرة الوزر، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

ثالثاً: الاتباع وترك الابتداع دليل محبة الله ﷻ، قال ﷻ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

رابعاً: الاتباع وترك الابتداع سبيل النجاة من الابتداع والافتراق في الدنيا، وفي الآخرة من النار والعذاب، فعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: **(وإن بني**

---

(١) صحيح البخاري، تعليقاً في البيوع، باب النجش، ومسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة (١٧١٨).

(٢) سنن ابن ماجه، مقدمة الكتاب، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين برقم (٤٢)، ومسند أحمد ٢٨/ ٣٧٣ (١٧١٤٢) وقال شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح ورجاله ثقات.

إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي)[(١)].

خامساً: حرص الأئمة على مواجهة المبتدعة وكشفهم، فقد جاء رجل مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: يا أبا عبدالله، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، كيف استوى؟ فما وجد مالك من شيء ما وجد من مسألته، فنظر إلى الأرض وجعل ينكت بعود في يده حتى علاه الرحضاء - يعني العرق - ثم رفع رأسه ورمى بالعود وقال: «الكيف منه غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وأظنك صاحب بدعة» وأمر به فأخرج[(٢)].

سادساً: إن البدع مفسدة للقلوب، مزاحمة للسُّنة في إصلاح النفوس، فهي أشبه ما تكون بالطعام الخبيث، وفي هذا المعنى يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «الشرائع أغذية القلوب، فمتى اغتذت القلوب بالبدع لم يبق فيها فضل للسنن، فتكون بمنزلة من اغتذى بالطعام الخبيث»[(٣)].

فهي تلبس لباس الدِّين، فيظن المنتسب لها أنها حق وأنه مأجور عليها، وبذلك فإنه يعقد عليها الكره والحب والولاء والبراء والثواب والعقاب، فتزاحم السنن، تقود أصحابها إلى الاعتقادات الباطلة، والأعمال الفاسدة، والخروج عن الشريعة.

سابعاً: إنه في مقابل كُلِّ بدعةٍ تُهدمُ سنةٌ، وفي هذا المعنى يقول شيخ الإسلام أيضاً:

---

(١) جامع الترمذي، كتاب الإيمان، باب ١٨ ما جاء في افتراق الأمة (٢٦٤١) وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٢/ ٩٤٤ (٥٣٤٤).

(٢) حلية الأولياء ٦/ ٣٢٥، اعتقاد أهل السنة للالكائي ٣/ ٣٩٧- ٣٩٨، الأسماء والصفات للبيهقي ٢/ ٣٠٥- ٣٠٦، وقال ابن حجر في الفتح ١٣/ ٤٠٧ : «بسند جيد»، والاعتقاد للنيسابوري ص١٥٠، والرد على الجهمية للدارمي ص٦٦، والعلو للذهبي ص١٣٩.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٢٨١.

«من أسباب هذه الاعتقادات والأحوال الفاسدة الخروج عن الشِّرعة والمنهاج الذي بعث به الرسـول ﷺ إلينا، فإن البدع هي مبادئ الكفر ومظان الكفر، كما أن السـنن المشروعة هي مظاهر الإيمان، ومقوية للإيمان، فإنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية»(١).

لـذا كان منهج المبتدعـة قائماً على معارضـة نصوص الكتاب والسـنة، كما ذكر شيخ الإسلام(٢).

ثامنـاً: نظراً لخطورة البدعة على الدِّين نفســه من حيث هو فـإن المبتدع (أخطر) شأناً على الدِّين وأهل الإسلام من الكافر والمشرك، لأن البدعة تفسد الإسلام وتحرف الناس عن الحق إلى مزالق لتأويله ما يقسمهم شيعاً وأحزاباً.

لـذا كان منهج الرسـول ﷺ حازمـاً وصارماً مع مـن أظهروا الغلـو أو مع أحوالٍ وأقوالٍ بعيدةٍ عن سنته، وتوعد من اتخذ هذا المسلك، وحذر أمته منه؛ لكي يظل الحق الـذي أنزلـه الله ناصعاً نقياً مما قد يشـوبه مـن أهواء الناس التي وإن لبـت رغبة قوم أو ذائقتهم أو وافقت آراءهم العقلية إلا أنها لن توافق قوماً آخرين.

تاسـعاً: طبيعة المجتمعات أن تتعامل عند وجود الضرر والأذى - من قبل شخص مريض أو مختل - أن يباشروا من التدابير ما يعينهم على إزالة الضرر ورفع الأذى، أو في أقل الأحوال حصرها وبما لا يخل بحق المريض أو المختل في الرعاية، مع إمكانية تقييد بعض حرياته أو إسـقاط بعض حقوقه لمصلحة أكبر، وكذلك إذا كان الشـخص مجرماً أو صاحب خلق سيئ لا بد من التعامل معه كمرضٍ يهدد المجتمع دون إسقاط حقه.

وهذه السُّنة الاجتماعية لا يغفلها الإسلام في المبتدع، باعتباره شخصاً (مختلاً) في

(١) مجموع الفتاوى ١٠/ ٥٦٥.
(٢) ينظر: درء التعارض بين العقل والنقل١/ ١٤٩.

جانب (الدِّين) ومن ثمَّ فكما أن للجوانب الأخرى تدابيرها لصيانتها في حياة المجتمع يكون الدِّين أحق بهذه التدابير.

المطلب الثالث

أسباب ظهور البدع

من المهم أن يعرف الداعية أسباب ظهور البدع، وهذا يعينه كثيراً في دعوة أهل البدع، ويسهل دلالتهم ومعرفتهم الحق، ومعرفة مداخل كل صاحب بدعة، وعلاج كل مبتدع بما يحتاج.

ويمكن إجمال الأسباب في ثلاثة أمور:

أولاً: الرجوع إلى غير الكتاب والسنة، والتلقي من سواهما:

مصدر الحق الوحيد فيما يتعلق بالعقيدة والدين هو الكتاب والسنة، كما فهمها الصحابة والسلف الصالح، وقد ظهرت البدع عندما اتخذت مصدراً سواهما.

- **فالمتكلمون** -كالمعتزلة والأشعرية- حكَّموا العقل، وقالوا: نعرض نصوص الكتاب والسنة المتواترة على البراهين العقلية، فإن وافقتها وإلا وجب تأويل النصوص، وصرف معانيها إلى معانٍ أخرى لم يُردها الله ورسوله، وقالوا بأن السنة غير المتواترة لا يحتجون بها في العقيدة أصلاً، مهما كانت صحتها، ولهذا انصرف همهم إلى ترجمة كتب الفلسفة والمنطق، ومطالعتها، والاشتغال بها متابعة أو معارضة.

- **والصوفية** حكَّموا ما يسمونه الكشف، أو الوجد، أو الذوق، وقسموا الدين إلى حقيقة وشريعة، **فالشريعة**: هي ما جاء في الكتاب والسنة، وكلام السلف والفقهاء،

ويسمونها: علم الظاهر! **والحقيقة**: هي ما يأتي من طريق الإلهامات والرياضات الروحية والمنامات، ويسمون ذلك العلم الباطن أو العلم اللَّدُنِّي، ويرمزون للعلم الظاهر بعلم الـوَرَق، والعلم الباطن بعلم الخِرَق! ولهذا ورد عن بعض أئمتهم قوله: تأخذون -يعني: علماء السنة- علمكم ميتاً من ميت، فتقولون: حدثنا فلان عن فلان.. ونحن نأخذ علمنا عن الحي الذي لا يموت، فنقول: حدثني قلبي عن ربي!!

وإيماناً بهذا المصدر، لم يكن الصوفية يرحلون في طلب العلم، أو يهتمون بكتب السنة والفقه، وإنما كانوا يرحلون إلى الخلوات والأديرة، ويقابلون الرهبان من النصارى والبوذيين وغيرهم، فيسألونهم عن دقائق المعرفة والأحوال. كما أنهم اشتغلوا بالأشعار وسماع الأغاني؛ لإثارة الوجدان وتحريك القلب، وأعرضوا عن سماع القرآن وتلاوته.

- **والشيعة الباطنية** جعلوا المصدر المعصوم هو كلام أئمتهم، ولذلك كان من أصول دينهم: أن الأئمة معصومون عن الخطأ في الفروع والأصول، وليس علماؤهم ومجتهدوهم إلا نواباً عن الإمام، وحجاباً له.. فأعرضوا عن المصدر الثابت المعلوم -الكتاب والسنة- وتمسكوا بالمصدر الموهوم، بل المعدوم، وهو الإمام الغائب في السرداب، وما أشبهه.

✍ ثانياً: الأخذ ببعض الدين وترك البعض الآخر:

فالدين شامل كامل، فيه الوعد والوعيد، وفيه الأحكام والآداب، وفيه تحريك العقل والوجدان، وفيه القوة والرحمة.

فإذا أخذت طائفة بالوعد وتركت الوعيد، وعكست الأخرى فأخذت بالوعيد ونسيت الوعد، فلا بد أن تقع العداوة والبغضاء والفرقة والبدعة.

وكذلك: إذا أخذت طائفة بالآداب دون الأحكام، أو بالزهد دون العمل والجهاد.

- **فالخوارج** تمسكوا بنصوص الوعيد فقط، حتى نفوا الإيمان عن مرتكب الكبيرة، وأنكروا الشفاعة، وضيقوا رحمة الله الواسعة.

- **والمرجئة** تمسكوا بنصوص الوعد فقط، فقالوا: إن الإنسان مهما ارتكب من الكبائر دون الشرك فإن إيمانه كامل.

- **والشيعة** أخذوا بفضائل علي، وجحدوا فضائل أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم جميعاً؛ حتى وصل الأمر ببعضهم إلى تأليه علي وتكفير الثلاثة.

- **والمتكلمون يقولون:** غلوا في تقدير قيمة العقل حتى حكموه في نصوص الوحي، وأنكروا الكرامات، والسحر، وعذاب القبر، والميزان والصراط، وما أشبهها من الغيبيات؛ لأنها تخالف العقل -بزعمهم- على خلاف بينهم في بعض ذلك.

- **والصوفية**، أنكروا قيمة العقل والفكر، وآمنوا بالخيالات والخرافات والأحلام، وسموها مكاشفات وكرامات وحقائق.

- **والقدرية** أخذوا بالنصوص التي تثبت مشيئة العبد وإرادته ومسئوليته عما يفعل -وهذا حق- ولكنهم أنكروا القدر، وما دل عليه من النصوص.

- **والجبرية** بالعكس، فأثبتوا القدر، وغلوا في ذلك، حتى جعلوا الإنسان مجبوراً على كل ما يفعل، وأنكروا النصوص التي أخذ بها القدرية.

- **والممثلة والمشبهة** أخذوا من النصوص ما يدل على إثبات الصفات فقط، وتركوا ما يدل على أنها ليست كصفات المخلوقين.

- **والمعطلة** -نفاة الصفات- قبلوا النصوص الدالة على أن الله لا يماثله شيء من خلقه، وتركوا النصوص الدالة على إثبات الصفات، فأنكروا الصفات بحجة التنزيه.

- **ومثل ذلك من واقع الحياة الإسلامية:** أن طائفة من العلماء والقضاة توسعوا في متاع الحياة الدنيا، فقابلتهم طائفة من الزهاد والعباد حاربوا الحلال والطيبات.

- وفي **مجال العلم** اتجهت طائفة إلى النقل وحده، واشتغلوا بجمع المأثور، حتى جمعوا الضعاف والموضوعات والحكايات الباطلة، وقابلتهم طائفة فاتجهت إلى الفهم والاستنباط وحده، فجهلوا كثيراً من الصحاح، أو ردُّوها.

- وفي **مجال الدعوة**؛ قامت طائفة تدعو إلى الجهاد والقوة، وأخرى تدعو إلى الأخلاق والآداب، وثالثة إلى العلم والبحث مع إهمال بقية الجوانب، فوقع التنازع والخلاف، وهذا لا يعني عدم التخصص ولكن لا بد من الشمولية في الخطاب وأن تتخصص كل فئة بمجال من مجالات الدعوة دون تحقير أو تهميش للأدوار الأخرى.

هذا، ولو أن المسلمين تمسكوا بالكتاب كله، واقتدوا بما كان عليه الجيل الأول؛ من فهم كامل وتوازن شامل لما وقع هذا الخلاف أو كثير منه، وهذا ما تدعو إليه الطائفة المنصورة الناجية أهل السنة والجماعة.

✍ ثالثاً: كيد أعداء الإسلام:

فأعداء الإسلام يعملون ليلاً ونهاراً من أجل إطفاء نور الله، وتدمير الأمة المصطفاة، كلهم متفقون على ذلك وإن اختلفت أديانهم وآراؤهم.

وهكذا نجد شياطين المكر من هؤلاء الحاقدين يؤسسون فرقاً ضالة ويخترعون

بدعاً، أو يدخلون في فرق قائمة، فيزيدونها ضلالاً وغلواً، أو يلقون شبهة وضلالة إلى ضعاف العقول، فتكون أساساً لفرقة:

- فالتشيع الغالي أسسه عبد الله بن سبأ اليهودي.

- والاعتزال الغالي أسسه إبراهيم النظام وأبو الهذيل العلاف، وكلاهما في الأصل من المجوس الزنادقة.

- والباطنية أسسها عبد الله بن ميمون القداح، وهو يهودي فارسي.

- وإنكار الصفات أخذه الجعد بن درهم، والجهم بن صفوان عن فلاسفة اليهود والصابئة.

- وإنكار القدر أخذه معبد الجهني، وغيلان الدمشقي عن بعض فلاسفة النصارى.

- والتصوف أول من أسسه وسمى به في الإسلام زنادقة من الهندوس والمجوس، أمثال: عبدك وكليب، ثم انتشر ودخله الغالي والمتوسط.

المطلب الرابع

الأصول التي وقع فيها الابتداع

من الأهمية أن يدرك الداعية -الذي يدعو المبتدعة- الأصول التي وقع فيها الابتداع، حتى يعرف جذور كل أصحاب بدع، فيتمكن من التحصين لنفسه، بمعرفة منهج أهل السنة فيها، وطريقة الرد على شبهاتهم المتعلقة بها[١].

(١) ينظر: أصول الفرق للحوالي.

فأهم الأصول التي وقعت فيها البدع:

أولاً: الإيمان:

دلت النصوص من الكتاب والسنة على أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، وأن من ترك واجباً أو فعل محرماً من غير جحود للواجب أو استحلال للمحرم، فإنه ناقص الإيمان، وأمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، وعلى ذلك أجمع الصحابة والسلف الصالحون أجمعون، وهو مذهب أهل السنة والجماعة.

وظهرت البدعة في هذا الأصل من قبل فرقتان:

- **الخوارج والمعتزلة**: ومذهبهم أن الإيمان شيء واحد لا يزيد ولا ينقص، وهو فعل جميع الطاعات وترك جميع المحرمات، ومن ترك واجباً أو فعل محرماً، فهو كافر عند الخوارج، وفي منزلة بين الإيمان والكفر عند المعتزلة، وهو مخلد في النار عند الطرفين.

- **المرجئة**: ومذهبهم أن الإيمان شيء واحد، لا يزيد ولا ينقص، وهو التصديق أو المعرفة بالقلب وحده، دون إقرار اللسان وعمل الجوارح، كما يقول الغلاة منهم، أو التصديق بالقلب والإقرار باللسان دون عمل الجوارح، كما يقول بقيتهم، ومن ترك واجباً أو فعل محرماً، فهو كامل الإيمان ما دام عنده تصديق أو تصديق وإقرار.

ثانياً: القدر:

دلت النصوص من الكتاب والسنة، على أن الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان، وأصل من أصول الدين، وعلى ذلك مذهب أهل السنة والجماعة.

وظهرت البدعة في هذا الأصل من قبل فرقتان:

- **القدرية:** نفاة القدر، وعلى ذلك المعتزلة وعامة الشيعة.

- **الجبرية:** الذين نفوا مشيئة العبد وإرادته -كما سبق- وهم الجهمية، وقريب منهم في ذلك الأشعرية.

ثالثاً: الأسماء والصفات:

أهل السنة آمنوا بكل ما ورد في الكتاب والسنة من أسماء الله وصفاته، وحققوا مقتضياتها، ولوازم الإيمان بها، فيؤمنون إيماناً جازماً بأنه تعالى لا مثل له ولا شبيه، ولا ند ولا شريك: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، فهم يثبتون الصفات، وينفون التشبيه، ويعتقدون أنه لا يماثله شيء من خلقه في ذاته، ولا يماثله شيء في صفاته.

وظهرت البدعة في هذا الأصل من قبل فرقتان:

- **المشبهة:** يثبتون لله صفات كصفات المخلوقين، فيقولون: علمه كعلمنا، ويده كيدنا، وهم يسمون المشبهة وعلى هذا المذهب قدماء الشيعة والروافض.

- **المعطلة:** ينفون صفات الله، زاعمين أن إثباتها يلزم منه التشبيه، فيقولون: ليس له وجه ولا يد. ولا قدرة ولا علم، وهؤلاء يسمون أصحاب المعطلة، وهم درجات:

- من ينكر الأسماء والصفات جميعاً وهم الجهمية.

- من ينكر الصفات ويثبت الأسماء، فيقولون مثلاً: عليم بلا علم، وقدير بلا قدرة، وهم المعتزلة.

- من ينكر بعض الصفات ويثبت بعضها، ويثبت الأسماء، وهم الأشعرية، وهم ينكرون العلو والاستواء واليد والغضب والرضا ونحوها.

رابعاً: الإمامة:

من عقيدة أهل السنة أن أولى الناس بالخلافة بعد رسول الله ﷺ: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رضي الله عنهم، وأن الأئمة من قريش، كما صحت بذلك السنة، وأن الإمامة منصب شرعي، غرضه إقامة الدين، وسياسة الدنيا به، وطريقتها الشورى واختيار أهل الحل والعقد من العلماء وذوي الشأن.

وفارق الجماعة في ذلك فرقتان:

- **الشيعة:** ومذهبهم أن أولى الناس بالخلافة هو علي، واختلفوا في خلافة الثلاثة، فقالت الزيدية: هي صحيحة، ولكن علياً أولى منهم، وقال بقية الشيعة: خلافتهم باطلة، ويسبونهم ويلعنوهم، والإمامة ليست مجرد منصب شرعي، بل هي من أركان الدين، وطريقتها الوراثة والتعيين في ذرية الحسين فقط، لا تخرج عنهم.

- **الخوارج:** وهم يقرون بخلافة الشيخين: -أبي بكر وعمر- ويطعنون في عثمان وعلي، وقد يكفرونهما، ويقولون: الإمامة جائزة في كل الناس قريش وغيرها.

المطلب الخامس

معالم منهجية في دعوة أهل البدع

إن الإسلام يرسم معالم وأحكام دعوة أهل البدع، فالمقصود من دعوة أهل البدع أمران:

الأول: معالجة **المبتدع** وإخضاعه للتدابير التي من شأنها تحقيق العلاج لأهدافه.

الثاني: صيانة **المجتمع** من الآثار التي تلحق به **دينياً** من البدعة والمبتدع.

ومن هنا فإن الحكمة الدعوية في دعوة أهل البدع يمكن إجمالها في النقاط التالية:

أولاً: دعوة أهل البدع قائمة على أصلين: الإخلاص والمتابعة:

فالحكم ببدعةٍ ما، واتخاذ موقف من أهلها؛ مسائل شرعية نحن متعبدون بها، من جنس الجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعبادة لا بد من توفر ركنيها: الإخلاص، والمتابعة، أي أنه ينبغي ألا يكون الموقف عقاباً، أو تألفاً إزاء أحد من المبتدعة تشهياً ولا تشفياً، فإن هوى النفس ينقض ركنية الإخلاص، كما أن ركن المتابعة ينقضه عدم موافقة الهجر للمأمور به.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فمن هجر لهوى نفسه، أو هجر هجراً غير مأمور به كان خارجاً عن هذا، وما أكثر ما تفعل النفوس ما تهواه ظانةً أنها تفعله طاعة لله»(١).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا كان مبتدعاً يدعو إلى عقائد تخالف الكتاب والسنة، أو يسلك طريقاً يخالف الكتاب والسنة... بُيِّن أمره للناس؛ ليتقوا ضلاله، ويعلموا حاله، وهذا كله يجب أن يكون على وجه النصح، وابتغاء وجه الله تعالى لا لهوى الشخص مع الإنسان؛ مثل أن يكون بينهما عداوة دنيوية، أو تحاسد أو تباغض أو تنازع على الرئاسة، فيتكلم بمساوئه مظهراً للنصح، وقصده في الباطن الغض من الشخص، واستيفاؤه منه؛ فهذا من عمل الشيطان»(٢).

ثانياً: المعرفة بأن البدع تتفاوت:

ومن المهم عند دعوة أهل البدع معرفة أن البدع ليست بدرجة واحدة، بل تتفاوت

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٢٠٧.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٢٢١.

بقدر ما ارتبط بها من مفسدة، فمنها ما هو معصية، ومنها ما هو كفر أو شرك، وقد تكون بعض البدع ذريعة إلى الشرك.

فلا بد أن ينزل كل إنسان منزلته، ويدعى بما يناسب حاله، كما قال الشاطبي: «كل بدعة عظيمة بالإضافة إلى مجاوزة حدود الله بالتشريع، إلا أنها وإن عظمت لما ذكرناه فإذا نسب بعضها إلى بعض تفاوتت رتبها، فيكون منها صغار وكبار؛ إما باعتبار أن بعضها أشد عقاباً من بعض؛ فالأشد عقاباً أكبر مما دونه، وإما باعتبار فوات المطلوب في المفسدة»[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن الطوائف المنتسبة إلى مبتدعين في أصول الدين على درجات: فمنهم من يكون قد خالف السنة في أصول عظيمة، ومنهم من يكون قد خالف السنة في أمور دقيقة»[٢].

كما هي حالات المرض، يتفاوت تقييم الإسلام للبدعة وصاحبها ومن ثمَّ يختلف تعامل الدعاة مع المبتدع بحسب البدعة ذاتها وبحسب تأثير المبتدع من جهة أخرى.

○ ثالثاً: بيان مخالفة المبتدع للدِّين بالحجة والبرهان والدليل:

وهذا الأمر في غاية الأهمية، حيث إن إطلاق بدعة على أمر يحتاج إلى دليل وبرهان وحجة، حتى لا يفتح باب للتبديع من غير برهان، حيث اختلط الأمر وأصبح الأمر بين إفراط وتفريط من قبل بعض الدعاة.. فلا بد من إظهار الحق بدليله.. وتحديد محل البدعة تحديداً دقيقاً.. ومعالجتها في حدودها وعدم تكبيرها أو تصغيرها بل كل بدعة تأخذ حقها من خلال الأدلة من غير إفراط ولا تفريط.

---

(١) الاعتصام ١/ ٣٥٩.

(٢) مجموع الفتاوى ٣/ ٣٤٨.

رابعاً: نصح المبتدع وإظهار الشفقة عليه:

وذلك ببيان عظم ما وقع فيه وعظم الآثار التي ستترتب على بدعته؛ وهذا بالفعل ما قام به عبدالله بن عباس رضي الله عنه وهو يحاور الخوارج ويلزمهم بلازم مذهبهم الذي ذهبوا إليه في شأن الفريقين المتقاتلين من الصحابة.

خامساً: النظر إلى تحول البدع إلى مذهب يتلقفه الناس ويتخذونه منهجاً:

فحذر الرسول الكريم ﷺ من البناء على القبور، واتخاذها مساجد، ولعن اليهود والنصارى، معرِّضاً بكل من يقوم في هذه الأمة بهذه البدعة، ومنبها ومحذراً أن تكون هذه البدعة في هذه الأمة.

ومن أمثلة ذلك مواجهة الرسول ﷺ بالبيان والتحذير والإنكار الشديد النفر الذين تقالَّوا عبادته ظناً أن ذلك لأن الله قد غُفِرَ للرسول عليه ﷺ.

فعن عن أنس رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها وقالوا: أين نحن من النبي ﷺ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً. وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر أبداً ولا أفطر. وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال: **(أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)**[(١)].

سادساً: الموقف عندما تتحول البدعة لمُهَدِّدٍ للدين والمجتمع:

هناك وضعٌ تتحول معه البدعة إلى مُهَدِّدٍ حقيقيٍّ للدين أو المجتمع، سواءً في

---

(١) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح (٥٠٦٣)، ومسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه (١٤٠١).

وحدته أو أمنه واستقراره؛ مما يلزم معالجة ذلك بجدٍّ وصرامةٍ لذلك:

فـإن كانت البدعـة م كفرةً - أي: أن يُحـدث المرء من العقائـد أو الأفعال أو الأقوال مـا يوجـب تكفيره - فإن كان ذلك صادراً منه عن جهل أو تـأولٍ؛ بُيِّن له، ورُوجع في الأمر، وأُقيمـت عليه الحجة، واستُتِيبَ من قبل ولي الأمر، فإن وَجَـدَ أن بدعته صادرة عن زندقةٍ وإلحـادٍ منه عُزر؛ بالقتل فما دونه، وقتل المبتدع الذي تصل بدعته إلى حدِّ الكفر والزندقة، كمن ينتقد الدين تدل عليه الوقائع التي وقعت في بعض عصور الإسلام، كما فعل علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالسبئية حين حرقهم، وكذلك قَتْلُ الجعد بن درهم والحلاج وغيرهم.

وإن كانـت البدعة مفسـقةً وأثرها على وحـدة الأمة وأمنها واسـتقرارها - وذلك كبدعة التكفير عند الخوارج - فلا يُكفَّر صاحبها؛ لكن يقاتَل فيما لو أفسـد في الأرض وحمل السيف وجوباً لوأد الفتنة وإخماد الشر، وهذا فعل علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع الخوارج، حيث لم يبادئهم بقتالٍ ولا حكم بكفرهم ولا بنفاقهم؛ ومع ذلك قاتلهم لما حملوا السيف على المسلمين.

○ سابعاً: الفقه الدعوي في النظر إلى المبتدع:

المبتدع في الأسـاس يريد الحق ويقصد التقرب، وهذا الغالب في أحوال الكثير من أتبـاع البـدع، يقـول الله تعالـى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٧] فالمبتدع مريدٌ للحق -في الأصل- لكنه ضل طريقه إليه.

لذا فإنَّ أهل البدعة قد يُظهرون من التنسك أو الأحوال ما يُعبِّر عن اعتقادهم الحق

فيما يؤمنون به؛ ومن أجل ذلك فإن المبتدع -ما لم يكن زنديقاً- يحكم له بالإسلام ويبقى شأنه وحاله أفضل بكثير ممن قصد الكفر البواح أو الشرك الظاهر.

وإذا كان المبتدع جزءاً من الأمة؛ فإن حقوق الأخوة الإيمانية التي قررها الإسلام تظل محفوظة له، متمتعاً بكافة الحقوق الشرعية التي فرضها الإسلام.

فيبقى لصاحب البدعة حقوق الإسلام وعليه واجباته لا يسقط منها شيء، لذا فإنه نادراً ما كان يُقصي الرسول ﷺ من جاء بأمرٍ منكرٍ في الدِّين، بل احتمل عليه والصلاة والسلام بقاءهم في المجتمع، ولكن مع إنكاره عليهم وتحذيره مما صنعوا.

فإن للشيطان مداخله على بعض الصالحين؛ من جهة تشددهم، أو فهمهم الخطأ للدين، أو تعبدهم لله بما يستحسنونه من حال أو هيئة؛ فإذا لم يُحسن إلى هؤلاء تحولوا إلى أعداء؛ كيف وقد صبر ﷺ على أعدائه من المشركين وأهل الكتاب ومنافقي المدينة.

○ ثامناً: من صفات أهل السنة أنهم يعلمون الحق ويرحمون الخلق:

والمبتدعون من أولئك الخلق الذين يرحمهم أهل السنة مع يقينهم بكونهم على بدعة يستحقون بها العقوبة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأئمة السنة والجماعة وأهل العلم والإيمان فيهم: العلم والعدل والرحمة، فيعلمون الحق الذي يكونون فيه موافقين للسنة سالمين من البدعة، ويعدلون مع من خرج منها ولو ظلمهم، كما قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨]، ويرحمون الخلق فيريدون لهم الخير والهدى والعلم، ولا يقصدون لهم الشر ابتداءاً، بل إذا عاقبوهم وبينوا خطأهم وجهلهم وظلمهم كان

قصدهم بذلك بيان الحق ورحمة الخلق»[١].

وقال: «وإذا نظرت إلى المبتدعة بعين القَدَر والحَيْرة مستولية عليهم، والشيطان مستحوذ عليهم: رحمتهم وترفقت بهم؛ أوتوا ذكاءً وما أوتوا زكاءً، وأعطوا فهوماً، وما أعطوا علوماً، وأعطوا سمعاً وأبصاراً وأفئدة ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٦]»[٢].

ويمثل هذا الخلق العالي أبو أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما رأى سبعين رأساً من رؤوس الخوارج وقد جُزَّت ونُصِبَتْ على درج دمشق، قال: «سبحان الله! ما يصنع الشيطان ببني آدم؟ كلاب جهنم، شر قتلى تحت ظل السماء، ثم بكى، وقال: إنما بكيت رحمة لهم حين رأيتهم كانوا من أهل الإسلام»[٣].

○ تاسعاً: المبتدع والفاسق ينقص من موالاتهما بحسب جريرتهما:

لذلك قد يجتمع في المسلم حب وبغض، فيُحَبُّ لما معه من إيمان، ويُبْغَضُ لما اقترفه من بدعة وعصيان، كما قال شيخ الإسلام: «وإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر، وفجور وطاعة، وسنة وبدعة، استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر، فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة، كاللص الفقير تقطع يده لسرقته، ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته، وهذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة»[٤].

---

(١) الرد على البكري ٢/ ٤٩٠.

(٢) مجموع الفتاوى ٥/ ١١٩.

(٣) مسند أحمد ٣٦/ ٤٠٧ (٢٢١٥١).

(٤) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٢٠٩.

❍ عاشراً: ألا يحملنا كراهة البدعة وأهلها على الغلو مع المبتدعة:

بل لا بد من العلم ومعرفة القواعد والمقاصد الشرعية التي تضبط تصرفات المكلفين، وتقدير المصالح والمفاسد أثناء دعوتهم، فقد ظن أناس أن هجر المبتدع حكم شرعي لازم كملازمة المسببات لأسبابها، وهو بمنزلة الحد أو هو كالبراء، والواقع أن هجر المبتدع كغيره من عقوبات المبتدعة وأهل المنكرات من المصالح المرسَلة التي تقدر بقدرها، ويعمل بها حسب الحال.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية مبيناً اختلاف الناس في أخذهم بعقوبة هجر المبتدع:

«إن أقواماً جعلوا ذلك عاماً فاستعملوا من الهجر والإنكار ما لم يؤمروا به مما لا يجب ولا يستحب، وربما تركوا به واجبات أو مستحبات وفعلوا به محرمات، وآخرون أعرضوا عن ذلك بالكلية؛ فلم يهجروا ما أُمِروا بهجره من السيئات البدعية، بل تركوها ترك المعرض لا ترك المنتهي الكاره... ولا يعاقبون بالهجرة ونحوها من يستحق العقوبة عليها، فيكونون قد ضيعوا من النهي عن المنكر ما أمروا به إيجاباً أو استحباباً... ودين الله وسط بين الغالي فيه والجافي عنه»[(١)].

❍ الحادي عشر: التحري قبل اتخاذ أي موقف تجاه مسلمٍ ذي بدعةٍ:

لا يجوز اتخاذ موقف سلبي من مسلم بسبب أمور وقع فيها إلا بعد أن يغلب على الظن أنها بدعة، أو معصية، من خلال معرفة كون ذلك العمل أو الأعمال بدعة فعلاً أو معصية؛ فإن جملة من الخلافات التي تقع بين الناس في المسائل الشرعية يكون سببها قصر النظر في فهم الخلاف المذهبي الفقهي، وفي الوقت ذاته توسيع دائرته ليصبح خلافاً

(١) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٢١٣.

عقدياً أو مخالفات شرعية، أو ربما كانت في أمور دنيوية ليست من الشرع أصلاً[(١)].

فينبغي للداعية أن يعرف مفهوم البدعة؟ فإن الحكم على الشيء فرع عن تصوره.

○ الثاني عشر: العدل مع المبتدعة:

حتى يكون ذلك سبباً لاستجابتهم، فإن العدل فضيلة مطلقة؛ لا تقييد في فضله؛ فهو ممدوح في كل زمان، وكل مكان، وكل حال، ممدوح من كل أحد، مع كل أحد، بخلاف كثير من الأخلاق فإنه يلحقها الاستثناء والتقييد، ولهذا اتفقت على فضله الشرائع والفطر والعقول، وما من أمة أو أهل ملة إلا يرون للعدل مقامه.

وبالعدل تحصيل العبودية لله وحده، وبه تُعطى الحقوق، وتُرد المظالم، وبه تأتلف القلوب؛ لأن من أسباب الاختلاف الظلم والبغي والعدوان، وبه يُقبل القول، أو يعذر قائله، وبه تحصل الطمأنينة والاستقرار النفسي، فالخلاف مضيق لآراء الناس ومواقفهم، وعند المضايق يذهب اللب، وإذا ذهب اللب فلا تسأل عن ضياع حقوق المخالف؛ بل ضياع الحق نفسه في أحيان كثيرة، ففي الوقت الذي ندين لله تعالى ببغض المبتدع واستيقان استحقاقه للعقوبة نلزم أنفسنا بما ألزمنا الله به من العدل والإنصاف؛ فالعدل منهج شرعي في كل شيء، على أن العدل المحض في كل شيء -كما يقول شيخ الإسلام- متعذر علماً وعملاً، ولكن الأمثل فالأمثل[(٢)].

فمن العدل ذكر ما لهم من صواب، وذلك بحسب المقام والحال، واعتبار المصالح والمفاسد؛ والجمع بين ذكر محاسن المبتدع والتحذير منه غير سائغ في كل مقام، وإفراد المحاسن بالذكر مظنة الاغترار، والاقتصار في جميع الأحوال على

---

(١) قضايا دعوية.. كيف نتعامل مع المبتدعة؟، لسليمان الخضير، بتصرف.

(٢) مجموع الفتاوى ١٠/ ٩٩.

التحذير وذكر المثالب بخس وإجحاف، ولكن حسب ما يقتضيه المقام.

ويتمثل هذا العدل شيخ الإسلام ابن تيمية في حديثه عن الباقلاني الأشعري حيث يقول: «مع ما كان فيه من الفضائل العظيمة، والمحاسن الكثيرة، والرد على الزنادقة والملحدين، وأهل البدع حتى إنه لم يكن من المنتسبين إلى ابن كُلاَّب والأشعري أجلَّ منه، ولا أحسن كتباً وتصنيفاً»[(١)].

وقد ألف شيخ الإسلام كتابه العظيم (درء تعارض العقل والنقل) وهو مخصص للرد على الأشاعرة، وعلى رأسهم أبو عبد الله فخر الدين الرزاي، وقد ذكره في (٢٦١) موضعاً لم يصفه فيها بلفظ شائن، ولا عبارة مقذعة، ولا سماه بالمبتدع.

○ الثالث عشر: الحرص على دعوة المبتدعة وعدم ظهور البدع:

فلا بد من الحرص على دعوة المبتدعة والرغبة في إيصال الحق إليهم، وكذلك الرغبة في مزاحمة المبتدعة في الوصول إلى الناس، وإعطائهم الأمصال الواقية من تلك البدع وإظهار ضعف حجة المبتدع، والطمع في التأثير على أبناء ملته، وأتباعه على بدعته إذ رجوعهم إلى الحق أيسر من رجوعه إليه.

○ الرابع عشر: اغتفار زلة العلماء والدعاة:

من ثبت أن منهجهم منهج أهل السنة، ثم وقع منهم هفوة أو زلة أو بدعة متأولة ينبغي نصحهم والتحذير من الخطأ الذي وقعوا فيه، لكن لا ينبغي إسقاطهم بالكلية، وإخراجهم من المنهج لزلة أو هفوة، فإن العصمة ليست لأحد سوى الأنبياء، كما قال ابن القيم: «وكيف يعصم من الخطأ من خلق ظلوماً جهولاً؟! ولكن من عُدَّت غلطاته

---

(١) درء التعارض بين العقل والنقل ١/ ٢٨٣.

أقرب إلى الصواب ممن عدت إصاباته»[١].

فإذا كان واجبنا أن نلتمس العذر للمسلم بصفة عامة فينبغي أن يكون لدعاتنا وعلمائنا نصيب أكبر في العذر وإحسان الظن؛ وقد أشار شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى الأساس الذي يقوم عليه هذا المنهج وهو الموازنة بين حسنات الرجل وسيئاته، وما له وما عليه، يقول شيخ الإسلام: «إن ما ثبت قبحه من البدع وغير البدع من المنهي عنه في الكتاب والسنة أو المخالف للكتاب والسنة إذا صدر عن شخص من الأشخاص فقد يكون على وجه يعذر فيه -إما لاجتهاد أو تقليد يُعذر فيه-، أو لعدم قدرته»[٢].

وقال أيضاً: «إن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قَدَمٌ صالحٌ وآثارٌ حسنةٌ وهو من الإسلام وأهله بمكانةٍ عُليا قد تكون منه الهفوة والزلة هو فيها معذور بل مأجور لا يجوز أن يُتَّبع فيها مع بقاء مكانته ومنزلته في قلوب المؤمنين»[٣].

وقال الشاطبي: «زلة العالم لا يصح اعتمادها من جهة ولا الأخذ بها تقليداً له وذلك لأنها موضوعة على المخالفة للشرع، ولذلك عُدَّت زلةً، وإلا فلو كانت معتداً بها لم يجعل لها هذه الرتبة ولا نُسِبَ إلى صاحبها الزلل فيها، كما أنه لا ينبغي أن ينسب صاحبها إلى التقصير، ولا أن يُشَنَّع عليه بها، ولا ينتقص من أجلها، أو يعتقد فيه الإقدام على المخالفة بحتاً، فإن هذا كله خلاف ما تقتضي رتبته في الدين»[٤].

وقال الذهبي: «ثم إن الكبير من أئمة العلم إذا كثر صوابه، وعلم تحريه للحق، واتسع علمه، وظهر ذكاؤه، وعرف صلاحه وورعه واتباعه، يغفر له زلله، ولا نضلله

(١) مدارج السالكين ٣/ ٥٢٢.
(٢) الفتاوى الكبرى ٦/ ٩٢.
(٣) مجموع الفتاوى ١٠/ ٣٧١.
(٤) الموافقات ٤/ ١٧٠.

ونطرحه، وننسى محاسنه، ولا نقتدي به في بدعته وخطئه، ونرجو له التوبة من ذلك»[١].

○ الخامس عشر: الموقف من عبارات السلف الشديدة في حق المبتدعة:

لا بد أن نعلم أن عبارات السلف الشديدة في حق المبتدعة خرجت في حق أهل العناد والداعين إلى البدع، ومن هذه العبارات ما خرج من أجل الزجر عن الوقوع في البدع والتساهل فيها، أو مع أهلها، قال ابن القيم: «ان ابن عباس رضي الله عنهما شديداً على القدرية، وكذلك الصحابة»[٢].

ومما يُظهِرُ شدة الصحابة على المبتدعة وتبرئهم منهم قول ابن عمر رضي الله عنهما حينما سئل عن القدرية: «فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برآء مني»[٣].

فينبغي على الداعية لأهل البدع أن يعرف متى يستخدم الشدة؟ ومتى يستخدم اللين؟ وما يحقق المصلحة الشرعية وما لا يحققها، فيضع الشدة في مكانها، واللين في مكانه؛ لأن إغفال هذا الأمر مُضِرٌ.

المطلب السادس

الهجر وسيلة دعوية في دعوة المبتدع

ومن بين وسائل الدعوة التي شرعها الإسلام في مواجهة بعض الانحرافات -ومن بينها البدعة- هجر أصحابها، وذلك لتضييق دائرة تأثير أصحابها وقصر مفسدتها وإظهار

(١) سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٧١.
(٢) شفاء العليل ١/ ٢٩.
(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة (٨).

المجتمع في موقف الرافض لها ليستفيق صاحبها من غفلته ويعود إلى رشده[١].

فوائد الهجر الدعوي للمبتدع التي قصدها الشارع كثيرةٌ، ومنها:

١- بعث اليقظة في نفوس المسلمين من الوقوع في البدعة وتحذيرهم منها.

٢- تحجيم انتشار البدعة.

٣- إعطاء ضمانة للسنن من شائبة البدع.

٤- قمع المبتدع وزجره ليضعف عن نشر بدعته[٢].

فمعاشرة صاحب البدعة ومخالطته تولد عند صاحب البدعة طمأنينة إلى ما هو عليه، وربما أشعرته بقبول المجتمع لبدعته وتزكيته إياها؛ وهذا قد يُغرر بالعامة، إذ إن العامة غالباً في حال جهلهم لا يفرقون بين السنة والبدعة، وربما استحسنوا ما استحسنه المبتدع فوقعوا فيما وقع فيه، فلا بد إذاً من الحجر على المبتدع استصلاحاً للديانة، ولأحوال المجتمع، وهو ألزم من الحجر الصحي لاستصلاح الأبدان.

وهذا الهجر يطلق عليه الهجر ديانة، أي: الهجر لحق الله تعالى، وهو من عمل أهل التقوى، في هجر السيئة، وهجر فاعلها، مبتدعاً كان أو عاصياً.

وهذا النوع من الهجر على قسمين: الأول: **هجر ترك:** بمعنى هجر السيئات، وهجر قرناء السوء الذين تضره صحبتهم إلا لحاجة أو مصلحة راجحة. والثاني: **هجر تعزير:** وهذا من العقوبات الشرعية التبصيرية التي يوقعها المسلم على المبتدعة على وجه التأديب، في دائرة الضوابط الشرعية للهجر حتى يتوب المبتدع ويفيء.

---

(١) الهجر من المعالم المنهجية في دعوة أهل البدعة، وأفردناه هنا لأهميته، وستعرض له هنا بإيجاز يسير، وينفرد الحديث عنه عند الحديث عن القضايا المنهجية في فقه الدعوة الجزء الحادي عشر من هذه الموسوعة.

(٢) انظر رسالة: هجر المبتدع، بكر بن عبدالله أبو زيد -رَحِمَهُ اللهُ، إعداد سلمان بن عبدالقادر أبوزيد، بتصرف.

وهذا النوع بقسميه من أصول الاعتقاد، والأمر فيه أمر إيجاب في أصل الشرع، ومباحثه في كتب السنن والتوحيد والاعتقاد وغيرها.

وجعل شيخ الإسلام أنواع الهجر في الشرع قسمان، فقال: «**الهجر الشرعي نوعان: أحدهما**: بمعنى الترك للمنكرات. **والثاني**: بمعنى العقوبة عليها[١].

فالأول: هو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].. فهذا يراد به أنه لا يشهد المنكرات لغير حاجة مثل قوم يشربون الخمر يجلس عندهم، وقوم دعوا إلى وليمة فيها خمر وزمر لا يجيب دعوتهم، وأمثال ذلك...

والنوع الثاني: الهجر على وجه التأديب، وهو هجر من يظهر المنكرات، يهجر حتى يتوب منها، كما هجر النبي ﷺ والمسلمون الثلاثة الذين خلفوا حتى أنزل الله توبتهم، حين ظهر منهم ترك الجهاد المتعين عليهم بغير عذر»[٢].

مع التنبيه إلى أنه لا بد من مراعاة قاعدة المصالح والمفاسد في هجر المبتدع:

وهو الإقلاع عن هذه البدعة، وإلى عدم فعل ما يشبهها من قبله، أو من قبل غيره، أما إذا كان المبتدع لا يزيده الهجر إلا تمادياً في السوء، وركوناً إلى أهل السوء، أو غير ذلك من المفاسد فإنه لا يهجر. ولكن يستمر في النصيحة والتوجيه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهذا الهجر يختلف باختلاف الهاجرين في قوتهم وضعفهم وقلتهم وكثرتهم؛ فإن المقصود به -يعني الهجر- زجر المهجور وتأديبه، ورجوع العامة عن مثل حاله، فإن كانت المصلحة في ذلك راجحة بحيث يفضي هجره إلى ضعف

---

(١) انظر رسالة: هجر المبتدع، بكر بن عبدالله أبو زيد -رحمه الله-، إعداد سلمان بن عبدالقادر أبوزيد، بتصرف.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٢٠.

الشر وخفيته كان مشروعاً، وإن كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك، بل يزيد الشر، والهاجر ضعيف بحيث يكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحته لم يشرع الهجر؛ بل يكون التأليف لبعض الناس أنفع من الهجر، والهجر لبعض الناس أنفع من التأليف.

وجواب الأئمة كأحمد وغيره في هذا الباب مبني على هذا الأصل، ولهذا كان يفرق بين الأماكن التي كثرت فيها البدع -كما كثر القدَر في البصرة والتنجيم بخراسان والتشيع بالكوفة- وبين ما ليس كذلك، ويفرق بين الأئمة المطاعين وغيرهم، وإذا عرف مقصود الشريعة سلك في حصوله أوصل الطرق إليه»[(١)].

ولو أن طالب علم مثلاً ذهب إلى أهله في بادية بعيدة -وخاصة التي يغلبُ عليها البدع- فوجدهم يفعلون ما يفعلون من البدع، فقال: أنا أعرف أن من أصول أهل السنة والجماعة هجر أهل البدع فلنهجرهم، فإنه لن يدع أحداً إلا هجره؛ لأن الناس ألفوا هذه البدع وعاشوا عليها، فيصير هو المنكر المهجور؛ لأن الهاجر في هذه الحالة ضعيف والمصلحة لا تتحقق، والمشكلة ليست في عدم قيام طالب العلم بالإنكار أو عدم هجره لأهل البدع، ولكن المشكلة أن المصلحة الشرعية غير حاصلة[(٢)].

فهجر المبتدع ليس عاماً في كل حال ومن كل إنسان ولكل مبتدع، كما أن ترك الهجر والإعراض عنه بالكلية؛ تفريطٌ، وهجرٌ لهذا الواجب الشرعي المعلوم وجوبه بالنص والإجماع، وإن مشروعية الهجر هي في دائرة ضوابطه الشرعية المبنية على رعاية المصالح ودرء المفاسد، وهذا مما يختلف باختلاف البدعة نفسها، واختلاف مبتدعها، واختلاف أحوال الهاجرين، واختلاف المكان والقوة والضعف، والقلة والكثرة، فلا بد من مراعاة كل هذا.

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٢٠٣.

(٢) من رسالة هجر المبتدع، بتصرف.

المطلب السابع

المناظرة من وسائل دعوة أهل البدع

ولا بـد أن يُعلم أن مناظرة أهل الأهواء من أخطر أنواع المناظرات، وعليه يحمل أكثر كلام السلف في التحذير من ذلك، فينبغي على من تصدى لدعوتهم ومناظرتهم أن يتسلح بالعلم الشرعي، وذلك لما يترتب عليه من آثار مثل:

١- ما يمكن أن يقع في قلب من يناظر أهل البدع من شبهٍ أو شكوك.

٢- أن في مناظرتهم نشرٌ لبدعتهم، وفي الإعراض عنهم إخمادٌ لها.

٣- أنَّ في مناظرتهم تقوية لهم ورفع لشأنهم.

ولذا لا بد عند مناظرة أهل البدع من ضوابط، منها(١):

أولاً: أن يكون هدف المناظرة وقصدها طلب الحق:

وذلك بـألا تكون المناظرة لأهل البدع عبثاً وتضييعـاً للوقت، وإظهاراً للقدرة على قـوة الحجة، والتفـوق في العلوم، كما كان يحصل كثيراً في مجالـس الخلفاء، ولكن لا بد أن تكون في مقام تمييز حقٍ من باطل، وصدع بالسـنة وبطريقة السلف في مواجهة الزحف البدعي الظالم فهذا من الجهاد المشـروع في سبيل الله باللسان والبيان، وهو قسيم الجهاد في سـبيل الله بالسلاح والسـنان، ولما كان المجاهد في سبيل الله موعوداً بالنصر بالظفر أو الشـهادة، فـإن المجاهد باللسـان لا بد أن يكـون كذلك إذا اتقى الله ما اسـتطاع، وكان له

(١) مناظرة أهل البدع من المعالم المنهجية في دعوتهم، وأفردناه هنا لأهميته، وسـنتعرض له هنا بإيجاز يسير، وسـنفرد الحديـث عنه عند الحديـث عن القضايـا المنهجية في فقه الدعـوة الجزء الحادي عشـر من هذه الموسوعة تحت عنوان فقه التعامل مع الشبهات، وفي الفصل التاسع عند الحديث عن وسيلة الجدال.

من العلم ما يؤهله لخوض غمار معركة المبتدعة بالحجة؛ إذ الحجة في جهاد اللسان تقابل القوة في جهاد الطِّعان، فمن كانت هذه حاله فإنه إذا ناظر المبتدع لم يكن إلا قد قام بواجب الدين عليه، والله تعالى أكرم من أن يضيع من هذه حاله في دينه ونفسه؛ بل يحميه من البدعة ومن أن يقر ذلك في قلبه، أو أن يكون سبباً مفضياً به إلى الزيغ والبدعة.

ثانياً: ألا تكون المناظرة هدفاً لذاتها:

بحيث يظن أنها سبيل صحيح لتحصيل العلم، ويحصل بسبب ذلك التوسع والمسامحة في مخالطة المبتدعة فهذا مذموم أيضاً، كما ورد في ترجمة الإمام أبو الوفاء ابن عقيل أنه قال عن نفسه: «وكان أصحابنا الحنابلة يريدون مني هجران جماعة من العلماء، وكان ذلك يحرمني علماً نافعاً»[1]. قال الذهبي معلقاً: «قلتُ: كانوا ينهونه عن مجالسة المبتدعة، ويأبى حتى وقع في حبائلهم، وتجسَّر على تأويل النصوص، نسأل الله السلامة»[2].

ثالثاً: عدم المناظرة لمن ليس مؤهلاً شرعاً:

فيُذَم البحث والنظر -فضلاً عن الجدال والمناظرة- إذا كان هذا الباحث متشككاً متحيراً متهوِّكاً؛ فهذا يجب عليه أن يطلب الهدى من مظانه لا أن يخرج للبيداء يلتمس السُقيا، قال شيخ الإسلام: «وقد ينهون عن المجادلة والمناظرة إذا كان المناظر ضعيف العلم بالحجة وجواب الشبهة، فيُخاف عليه أن يُفسده ذلك المضل، كما يُنهى الضعيف في المقاتلة أن يقاتل علجاً قوياً من علوج الكفار؛ فإن ذلك يضره ويضر المسلمين بلا منفعة، وقد يُنهى عنها إذا كان المناظر معانداً يظهر له الحق فلا يقبله، والمقصود أنهم

(١) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ١/ ١٢٦، والمنتظم لابن الجوزي ٩/ ٢١٣، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٤٧.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٤٧.

نهوا عن المناظرة مَنْ لا يقوم بواجبها، أو مع من لا يكون في مناظرته مصلحة راجحة، أو فيها مفسدة راجحة، فهذه أمور عارضة تختلف باختلاف الأحوال، وأما جنس المناظرة بالحق فقد تكون واجبة تارة، ومستحبة أخرى، وفي الجملة جنس المناظرة والمجادلة فيها محمود ومذموم ومفسدة ومصلحة وحق وباطل»[١].

رابعاً: التزام المناظر بالأخلاق الفاضلة أثناء المناظرة:

فمن المهم أن يراعى ألا يكون المناظر هو سبب تبغيض الحق إلى الطرف المقابل بالبغي عليه بالقول أو الفعل، أو بسوء خلق، أو بضعف حجة، فليست دعوى المدعي أنه من أهل الحق بعذر له في عدم إظهار البراهين، قال ابن القيم: «ما كل من وجد شيئاً وعلمه وتيقنه أَحْسَنَ أن يستدلَّ عليه ويقرره ويدفع الشبه القادحة فيه، فهذا لون، ووجوده لون»[٢].

وقال بشر المريسي للإمام الشافعي: «إذا رأيتني أناظر إنساناً وقد علا صوتي عليه فاعلم أني ظالم، وإنما أرفع صوتي عليه لذلك»[٣].

فالأكمل للمناظر أن يكون قاصداً لإيصال الحق إلى الطرف الآخر الذي يناظره متلطفاً في ذلك، فإن أهل السنة يعلمون الحق ويرحمون الخلق كما سبق.

ومن وسائل المناظرة والمجادلة ما يتلطف به إلى إيصال الحق إلى الخصم شيئاً فشيئاً حتى يتشربه، وقد يفتح الله على قلبه فيتبعه، فيكون لهذا المناظر أجر هداية المبتدع، ولو لم يعلم الناس أو المبتدع نفسه بذلك، ولكن قد علم ذلك وأثبته في صحائفه اللطيف الخبير سبحانه وتعالى.

---

(١) درء التعارض بين العقل والنقل: ج٧/ ١٧٢-١٧٤.
(٢) مدارج السالكين ٣/ ٤٨٦.
(٣) مناقب الشافعي، للبيهقي ١/ ١٩٩.

فمن كان راداً على المبتدعة فليتحلَّ بالصبر وإلا فلا يشق على نفسه وعلى المسلمين، وليكف عن الناس أذى لسانه وبنانه فهو صدقة منه على نفسه، وليس لأحد عذر في أن يرد على الباطل بالباطل، والبدعة بالبدعة أبداً.

خامساً: ضوابط في المناظرة العلنية:

١- من المناسب أن تُتبع هذه المناظرات في حالة إذاعتها في تلفاز ونحوه ببرامج هادفة يكون المتحدث فيها من أهل السنة ليغسل في برنامجه أوضار المناظرة، ويجيب فيها عن الإشكالات التي قد ذكرت ولم يسع الوقت لنقاشها.

٢- الأصل في المناظرات العلنية ألا يُقدم عليها إلا أن يتضح وجه المصلحة فيها بحيث يكون عظيماً ظاهراً، ويكون خوف الضرر والمفسدة فيها قليلاً؛ بحيث يغلب هذا على الظن.

٣- يجب الحذر من كون المناظرة داعية للمبتدع في الإيغال في بدعته.

الفصل السادس

أصناف المدعوين حسب أعمارهم وكيفية دعوتهم

وهي الأصناف التالية:

المبحث الأول: دعوة الأطفال.

المبحث الثاني: دعوة الشباب.

المبحث الثالث: دعوة كبار السن.

المبحث الأول
دعوة الأطفال

ويتضمن مطلبين:

المطلب الأول: مقدمات حول مرحلة الطفولة.

المطلب الثاني: معالم دعوة الأطفال.

المبحث الأول

دعوة الأطفال

تُعَدّ مرحلةُ الطفولة الركنَ الأساسيَّ في بناء شخصيّة الفرد، حيث إن لها أهمية كبيرة في تحقيقه للنجاح، أو الفشل؛ أو الصلاح أو الفساد، ولهذا كان لا بُدّ من تسليط الضوء على هذه الفترة من حياة الفرد، وبيان معالم الدعوة من خلالها.

ويمكن أن يطلق على دعوة الأطفال، تربية الأطفال ولا مشاحة في الاصطلاح، فالتربية على الإسلام والهدي الإسلامي للطفل هي من الدعوة إلى الله تعالى.

ونبرز هذا الأمر في مطلبين(١):

المطلب الأول

مقدمات حول مرحلة الطفولة

✧ أولاً: مفهوم مرحلة الطفولة:

مرحلة الطفولة تبدأ من الميلاد حتى البلوغ، وهي المرحلة الأولى من حياة الإنسان، والتي تتشكل شخصيته من خلالها، ففي قوله تعالى: ﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النور: ٣١]. قال القرطبي: «ويقال: طفل ما لم يراهق الحلم»(٢).

---

(١) ينظر: للاستزادة حول هذا الموضوع: تربية الأبناء في الإسلام د. عبدالله ناصر علوان، تربية الطفل رؤية نفسية إسلامية محمد كمال الشريف، تأسيس عقلية الطفل أ. عبدالكريم بكار، تربية الطفل دينياً وأخلاقياً د. علي القائمي، ومبحث كيف عامل النبي ﷺ الأطفال من كتاب: كيف عاملهم د. محمد المنجد.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٢/ ٢٣٦.

وقد قسمت التربية الحديثة فترة الطفولة إلى ثلاث مراحل رئيسية[١]؛ **الأولى**: من الولادة إلى سن ثلاث سنوات، **والثانية**: من سنة ثلاث سنوات إلى حوالي الثامنة، **والثالثة**: تنتهي عند بدء المراهقة.

أي أن فترة التنشئة والتربية تواكب الطفل من ولادته.. وتنتهي بتكوين عناصر الشخصية ثم تبدأ بعدها مرحلة تثمر فيها تلك التربية ثمرتها في نفس الفرد والمجتمع، وهى المرحلة المعروفة في الشرع بالتكليف والتي يتحمل فيها الفرد مسؤوليته، ويُحاسب فيها على كل ما قدمت يداه.

✧ ثانياً: خصائص مرحلة الطفولة إجمالاً[٢]:

إن من أهم أسباب الخطأ في دعوة أو تربية الأطفال هو الجهل، وقلة الوعي بخصائص مرحلة الطفولة، خصوصاً إذا علمنا أن كثيراً من هذه الخصائص تدلُّ على أنَّ هذا الطفل سَوِيٌّ وطبيعيٌّ، وإن أتى ذلك على المربِّي بِبَعْضِ الضَّرر.

فمَثَلاً: الطفل حتَّى ٦ سنوات من خصائصه لا يُمَيِّز بين الصواب والخطأ؛ وحبه لاستكشاف المجهول، فلذلك قد تجده يضع يده في الماء الساخن أو يضع يده على النار؛ لِيَستكشِفَ هذا المجهولَ بالنسبة له، فلا بدَّ من معاملة الطفل على أنه طفل غير مُدرِك، وأن ما يفعله طبيعيٌّ في هذه السِّنِّ، فما علينا إلا معرفة هذه الخصائص وأن نهذبها ونوجهها.

فمن أهم خصائص مرحلة الطفولة:

١- كثرة الحركة وعدم الاستقرار، وهذا يَزيد من ذكاء الطفل وخِبرَتِه بعد أن يكبُرَ.

٢- شدَّة التقليد للكبير خاصَّةً الوالِدَيْنِ والمدرسين في الحَسَن والقبيح.

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام من الكتاب والسنة : محمود محمد عمارة ، ص ١٣ ، ١٤ .

(٢) هذه النقطة تم تلخيصها من كتاب، فن تربية الأولاد في الإسلام، د. محمد سعيد مرسي.

٣- العناد الشديد، وهذه خاصية مهمة لتكوين الشخصية القوية إذا تم توجيهها.

٤- عدم التمييز بين الصواب والخطأ، فلا يحاسب الطفل على ذلك بالضرب والإهانة؛ كما يحاسب الكبير المدرِك؛ لأن عقل الطفل لم ينضج بعد، وإن مَيَّزَ شيئاً لا يُمَيِّز الآخر، لكن علينا أن نبعده عما يضره، ونبين له بالتجربة ما يضره.

٥- كثرة الأسئلة، فهو يسأل عن أيِّ شيء، وفي أي وقت، وبأي كيفية؟، وهذا أمر ممتاز، ولكن من المهم التعامل معه بوعي وأهم شيء الحذر من الكذب على الطفل، وعدم إجابته بما لا يحتمله عقله، مع ضبط ردود الأفعال عند المفاجأة بسؤال غير متوقع.

٦- ذاكرة حادة آلية، فالطفل ذاكرته ما زالتْ نقيَّةً بيضاءَ، لم تُدَنِّسها الهموم ولا المشاكل، فهو لذلك يحفظ كثيراً وبلا فهم، ويستفاد في هذا الأمر في: حفظ القرآن الكريم، والحديث الشريف، والأدعية، والأذكار، مع مراعاة أن يكون أُسلوبُ التَّحفيظِ سَهلاً شَيِّقاً.

٧- حب التشجيع، وهو عامل مشترك تقريباً في كل المراحل وعند كل الناس، ونحتاج إليه عند العِناد، وعند عدم التمييز بين الصواب والخطأ، وعند كثرة الحركة، مع التنويع بين المعنوي والمادي والأخروي حتى لا يكون نفعياً.

٨- حبّ اللَّعب والمَرَح، وهذا ليس عيباً؛ بل إنَّ اللعب قد يكون وسيلة لاكتساب المهارات، وتجميع الخِبْرات، وتنمية الذكاء، وأفضل وسيلة للتعليم هي اللعب.

٩- حبُّ التَّنافُس والتَّناحُر، وهذه إن رُشِّدَتْ ووُجِّهَتْ تكون عاملاً مهمّاً في التفوّق والابتكار، مع مراعاة عدم الإسراف فيها بصورة تورث الطفل العدوانية، والغيرة، والحقد.

١٠- التفكير الخيالي، فلا بد من استثمار ذلك، وعلى سبيل المثال، عندما نحدثه عن الجنة نقول: فيها كل ما تحبه، ونتركه يفكر فيها كيفما يشاء حتى يكبر وينضج عقله.

١١- الميل لاكتساب المهارات، فلو أن أباه كان نجاراً، أو حداداً، أو مُعَلِّماً، أو سَبَّاكاً، فسوف نجد الطفل يحاول اكتساب تلك المهارة مِن أبيه بتقليده له.

١٢- النمو اللغوي السريع، وذلك يعني إبعاد الطفل عن الألفاظ السيئة، مع مخالطة الأقران الصالحين من الأطفال، والإكثار من القِصَص المفيدة، حتى تتحسن مصطلحاته التي يستخدمها، وينضبط لسانه، وتغيير ما يمكن من الألفاظ العامِّية.

١٣- الميل للفكِّ والتركيب، وهذا أمر إيجابي كذلك لو تم استثماره تربويّاً ودعويّاً، فيؤتى له بألعاب متخصصة في ذلك مثل: القطار، والمكعبات، والورق، والصلصال.

١٤- حدَّة الانفعالات، فهو يثور وينفعل بدرجة واحدة للأمور الهامَّة والتافهة: وأهم هذه الانفعالات: الخوف، والغَضَب، والغَيْرة.

والخلاصة: أن للطفل خصائصُ ينبغي تَقَبُّلُها وترشيدها وتهذيبها، والتربية على النقيض إن كانت تعود بالضرر على المربي أو الطفل، أو زيادتها والاهتمام بها إن كانت غير ذلك، وهذه الخصائص مشتركة في البنت والولد، وفي الأطفال بعامَّة على اختلاف درجاتها، وذلك لوجود الفروق الفردية بين البشر عموماً، والأطفال خصوصاً.

✧ ثالثاً: تنبيهات في دعوة الأطفال:

دعوة الأطفال تعد من أصعب الأمور وأسهلها في الوقت نفسه، فصعوبتها تكمن في الوسائل والأساليب التي تجب الدعوة من خلالها، والسهولة تكمن في توقع سرعة تأثرهم وتفاعلهم، ولذا فدعوة الأطفال وتربيتهم على الدين لا بد من النظر فيها إلى أمور[1]:

أولاً: أنها عملية تكاملية يشترك فيها الوالدان والإخوة والأخوات والأقارب،

---

(١) ينظر: أفضل الأساليب في دعوة أطفال الكفار د. عبدالعزيز بن علي الغريب، موقع الاستشارات.

والمدرسة، والجيران، والأصدقاء.. فكل من يختلط بالطفل يؤثر على سلوكياته ويكون شخصيته.

ثانياً: أهمية مراعاة المراحل العمرية للأطفال.. حيث إن كل مرحلة من مراحل الطفولة تحتاج إلى نوع من التربية والدعوة بما يؤثر عليه وعلى تكوين شخصيته، منذ الولادة حتى البلوغ، ولذا كانت عناية النبي ﷺ بالأطفال تبدأ من ولادتهم، بل تظهر من اختيار الزوجة الصالحة.

ثالثاً: الأطفال متعلقون بالتقنية الحديثة والأفلام والصور بشكل عام، فيمكن استغلال ذلك في الدعوة، على أن يتم عرض محتوى الموضوع بالشكل الذي يناسب الطفل وسنه، بحيث يتم التركيز على الجانب المشوق في القصص والأحداث، وما يجلب التساؤل أو يثير فضول الطفل للتساؤل.

رابعاً: يجب أن يُعرف ما يفيد الطفل في حياته المبكرة، وما يتقمصه من شخصيات مؤثرة، لذلك لا بد من التدرج في المعلومة التي نريد توجيهها، مع الابتعاد عما يزرع الرعب والخوف، بل اعرض الإسلام -كما هو بالفعل- دين الرحمة والإحسان والسلام.

خامساً: لا بد من مراعاة طبيعة العصر والهجمة الشرسة على الإسلام، وكذلك الثورة التقنية التي تقود العالم اليوم. ومراعاة ثقافة المجتمع الذي يعيش فيه الطفل، ومحاولة المزج بين ما يشاهده الطفل في مجتمعه وما يقبله الإسلام.

سادساً: تجنب التصادم المباشر مع الطفل، فلا بد أن يترك الطفل يستنتج من ذاته الخطأ والصواب، فلا نعتقد أن الطفل لا يستطيع التفكير، بل إن ملكات التفكير تنمو مبكراً لدى الأطفال، لذلك يجب أن نبرز تعاليم وأخلاقيات الإسلام فسيستنتج الطفل الخطأ الواقع منه أو من المجتمع، وندع الطفل يطلب الاستفهام والتساؤل.

سابعاً: لا بد من عرض سيرة النبي ﷺ، وعرض سير الصحابة رضوان الله عليهم، ونقتدي بهم في تعاملنا مع الأطفال، ونعرض كيف يُعامل الطفل في الإسلام.

ثامناً: من الصعب تعديل تفكير الطفل إذا تقمص فكرة معينة، وللأسف فإن الكثير يعتقد أن الطفل سهل تعديله وتوجيهه، ولكن البحوث التربوية أثبتت عكس ذلك، فيجب أن نحسن تأصيل الأفكار عنده عن الإسلام وأحكامه.

تاسعاً: من المهم البدء مبكراً مع الأطفال، وعدم تركهم حتى تتكون لديهم مفاهيم وقيم يصعب تغييرها فيما بعد.

عاشراً: التنبه لعدم إجادة البعض لفنون التعامل مع الأطفال بشكل عام، ثم فنون دعوتهم لدين الإسلام ولتعالميه.

المطلب الثاني

معالم دعوة الأطفال

ويمكن بيان معالم دعوة الأطفال من خلال المعالم التالية:

○ أولاً: مراعاة حقوق الطفل في الإسلام:

لما كانت مرحلة الطفولة من المراحل المهمة والأساسية في بناء شخصيَّة الفرد إيجاباً أو سلباً، وفقاً لما يُلاقيه من اهتمام، جاء الإسلام ليُقَرِّرَ أن لهؤلاء الأطفال حقوقاً وواجبات، لا يمكن إغفالها أو التغاضي عنها، وذلك قبل أن تُوضَع حقوق الطفل بأربعة عشر قرناً.

كما سبق الإسلام غيره من النظم في الاهتمام بهذه الحقوق في مراحل متقدمة للغاية تبدأ من اختيار الأم الصالحة، ثم الاهتمام به في حالة الحمل فأقرّ تحريم إجهاضه وهو جنين، وإجازة الفطر في رمضان للمرأة الحامل، وتأجيل حدِّ الزنا حتى يُولد وينتهي من الرضاع، وإيجاب الدية على قاتله.

وجعل من حقوقه بمجرد ولادته الاستبشار بقدومه، واستحباب تحنيكه، وحلق شعر رأسه والتصدق بوزنه، واختيار الاسم الحسن للمولود، والعقيقة، وإتمام الرضاعة، والختان والحضانة والنفقة والتربية الإسلامية الصحيحة، وحق التعليم[(١)].

وهذا كله مما يساهم في بناء شخصيتهم وصلاحهم.. وهي أول خطوات دعوتهم وتربيتهم، وتنشئتهم التنشئة الصالحة.

❍ ثانياً: عدم احتقار أي طفل في دعوته:

فهذا رسول الله ﷺ يعود غلاماً يهودياً كان يخدمه، ولم يستصغره، فعن أنس رضي الله عنه، قال: كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ، فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: **(أسلم)**، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له: أطع أبا القاسم ﷺ، فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: **(الحمد لله الذي أنقذه من النار)**[(٢)].

---

(١) هذه الأمور جميعاً عليها أدلة كثيرة تركتها لعدم التطويل، ويمكن الرجوع إليها في كتاب تحفة المودود في أحكامة المولود، وفن تربية الأولاد في الإسلام لمحمد سعيد مرسي، وورقة بحث بعنوان: (حول ميثاق الطفل في الإسلام) ضمن أعمال مؤتمر (حقوق الطفل العربي بين المواثيق الدولية والرؤى الإقليمية) الشارقة - ٢٥-٢٦ إبريل ٢٠٠٦. وكتاب حقوق الطفل من وجهة نظر الإسلام. د. عادل محمد أبو العلا.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام (١٣٥٦).

❍ ثالثاً: الاهتمام بغرس العقيدة الصحيحة لدى الطفل:

الأطفال يولدون موحدين وعلى الفطرة، والبيئة لها دور مؤثر في توجيههم لدينهم، قال النبي ﷺ: **(مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ)**[1].

فالمهمة الأولى لكل داعية إلى الإسلام ولكل أبوين هي غرس العقيدة وتعزيزها، وصيانتها، وهي الغاية التي لأجلها خلق الله الخلق كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

فهذا لقمان يوصي ابنه بأول وصية وهي: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

فعندما نربي أطفالنا على قيم الدين الإسلامي الحنيف، نكون قد شكلنا اللبنة الأساسية الصالحة -بإذن الله- التي ستؤثر على حياته القادمة كاملة.

ولقد كان ﷺ حريصاً على تعلق قلوب الأطفال والناشئة بالله تعالى وحده لا شريك له، كما في قوله لابن عباس وكان غلاماً صغير السن: **(يا غلام اني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف)**

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام (١٣٥٨) ومسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة (٢٦٥٨).

وفي زيادة: (تعرف على الله في الرخاء يعرف في الشدة، واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً وأن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسراً)[(١)].

وعن جندب بن عبدالله، قال: كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حزاورة[(٢)]، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيماناً[(٣)].

هكذا كان اهتمامه ﷺ بعقيدة الأطفال.

○ رابعاً: الاهتمام ببر الوالدين:

فقد كان من وصايا لقمان لابنه: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقمان: ١٤ - ١٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: (أمك) قال: ثم من؟ قال: (أمك) قال: ثم من؟ قال: (أمك) قال: ثم من؟ قال: (أبوك)[(٤)].

وجاء رجل إلى رسول الله يستأذنه في الجهاد فقال رسول الله ﷺ: (أَحَيٌّ والداك؟) قال: نعم. فقال رسول الله ﷺ: (ففيهما فجاهد)[(٥)].

---

(١) جامع الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب (٥٩) برقم (٢٥١٦)، ومسند أحمد ٥/ ١٩ (٢٨٠٠) والزيادة له، وصححه الألباني بزياداته في الصحيحة (٢٣٨٢).

(٢) الحزاورة الذي قارب البلوغ، النهاية ١/ ٣٨٠.

(٣) سنن ابن ماجه، استفتاح الكتاب، باب في الإيمان (٦١)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٦١).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن الصحبة (٥٩٧١). ومسلم، كتاب البر والصلة، باب بر الوالدين وأنهما أحق به (٢٥٤٨).

(٥) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب لا يجاهد إلا بإذن والديه (٥٩٧٢)، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب بر الوالدين وأنهما أحق به (٢٥٤٩).

○ خامساً: تعليمهم الصلاة:

فقد كان من وصايا لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

والنبي ﷺ يقول: (**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين**)[١].

فلم يرد الأمر بالضرب للطفل في غير هذا الموضع من السنة النبوية، وما ذاك إلا للتأكيد على عظم شأن الصلاة، وهذا الضرب لا يأتي إلا بعد مرور ما يزيد على ألف ومائة وتسعين يوماً من الأمر للطفل المميز، ويتكرر الأمر بما يقارب خمسة آلاف وستمائة مرة بحسب عدد الصلوات في تلك الفترة مع رؤية الطفل لأبيه وأمه يصليان أمامه في كثير من الأحيان.

فانحراف الأبناء وعقوقهم وعدم توفيقهم في دراستهم... وكل هذه الأمور لها ارتباط مباشر بأداء الصلاة والمحافظة عليها أو إهمالها، ولو أجريت دراسة علمية تربوية عن أثر الصلاة في صلاح الأبناء وتفوقهم الدراسي لظهرت نتائج موثقة تدل على ارتباط الصلاة بالفلاح والنجاح بمعناه الشامل.

سادساً: تعظيم الرقابة الربانية لدى الطفل:

فقد جاء في وصية لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ﴾ [لقمان: ١٦].

فهنا يوصي لقمان الحكيم ابنه بتقوى الله عن طريق ضرب المثل فيقول له إن

---

(١) سنن أبي داوود، كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة (٤٩٥) وقال الألباني حسن صحيح.

أصغر الأشياء وأحقرها إذا كانت في وسط الصخرة أو في السماوات أو الأرض يأت بها الله من سعة علمه وتمام خبرته.

«**والمقصود من هذا:** الحث على مراقبة الله والعمل بطاعته، مهما أمكن والترهيب من عمل القبيح قَلّ أو كثر»(١).

○ سابعاً الخامس: الوقاية خير من العلاج:

تقوم دعوة الأطفال والناشئة على تقديم الوقاية على العلاج، فتضع السياج الحامي بإذن الله بين الأبناء وبين الوقوع في الأخطار.

ومن الأخطاء الدعوية عندما توجه للأطفال إهمال الجانب الوقائي، وعدم الانتباه إلا حين يقع الأطفال في الخطر فنسعى إلى طلب العلاج بعد ذلك.

في هذا السياق يمكن أن نفهم أمر الله تعالى الأطفال بالاستئذان، في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٨ وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [النور: ٥٨ – ٥٩].

وقول النبي ﷺ في حق من بلغ العاشرة من الأبناء: **(وفرقوا بينهم في المضاجع)**(٢).

وكذلك صرفه وجه الفضل بن عباس وكان ناشئاً صغير السن وقد أردفه خلفه

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٥٩٧.

(٢) سنن أبي داوود، كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة (٤٩٥) وقال الألباني في صحيح سنن أبي داوود (٥٠٩): إسناده حسن صحيح.

فجاءت امرأة خثعمية تسأله، فأطال الفضل النظر إليها فصرف وجهه[(١)].

وهـذا الأمر والذي قبله في غايـة الخطورة خصوصاً في عصـر الانفتاح الاعلامي والانفجار التقني الذي يسر الوصول للمنكرات والأفكار الهدامة بأيسر السبل.

○ ثامناً: منحهم الثقة بالنفس:

وذلك بأن نسـمح لأطفالنا بالتعبير عن ذواتهم ونتيح لهم فرصة الاختيار ونسـتأذنهم في الأمور التي تخصهم، ولا يكون القمع والاحتقار ومصادرة الخيار وعدم الاعتبار لإذنهم -في شؤونهم الخاصة- هو السائد عند أكثرنا عبر ما أسماء بعض الباحثين (ثقافة التسكيت).

ولقـد قُـدِّم للنبي ﷺ قدح من لبن فشـرب منـه وكان عن يمينه غلام وعن يسـاره الأشياخ فقال للغلام: **(أتأذن لي أن أعطيه هؤلاء)**، فقال الغلام: لا والله لا أوثر بنصيبي منك أحداً **(فتلّه ﷺ في يده)**[(٢)].

ففي هذه القصة أربع إشارات في تنمية احترام الأطفال لذواتهم وإشعارهم بالأهمية[(٣)]:

١- كيف يصل غلام صغير إلى الجلوس إلى جوار النبي ﷺ بل على يمينه مباشرة وهو أفضل المجلس وفيهم الأشياخ؟

٢- أي ثقة بالنفس تنمو حين يسـتأذن رسـول الله ﷺ غلاماً صغيراً في التنازل عن حقه في الشرب بعده، وهي قضية ليست كبيرة أو أساسية؟

---

(١) صحيـح البخـاري، كتـاب الاسـتئذان، بـاب قـول الله تعالـى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ﴾ (٦٢٢٨).

(٢) صحيـح البخـاري، كتـاب المظالـم والغصب، بـاب إذا أذن له أو أحلـه، ولم يبين كم هـو (٢٤٥١)، ومسلم، كتاب الأشربة، باب استحباب إدارة الماء واللبن ونحوهما عن يمين المبتدئ (٢٠٣٠).

(٣) ينظر: سلسلة مقالات بعنوان: دليل الآباء في تربية الأبناء. د. منال المنصور.

٣- كيف وصلت الثقة في نفوس الأطفال في مدرسة النبوة إلى القدرة على رفض طلبٍ صادرٍ من النبي ﷺ بثباتٍ مع القدرة على التعليل المقبول؟

٤- الفعل أبلغ من القول في التربية، ولذا قال الراوي **(فتله في يده)** أي ناوله القدح ليشعره باقتناعه بحجته واحترامه له.

«إن احترام شخصية الطفل يبعث في الاعتماد على النفس، والشعور بالراحة، وينمي مواهبه، في حين أن التعامل معه باستخفاف والتقليل من مكانته، يؤدي به إلى العقد النفسية والاضرابات والدونية»[١].

ومن تعزيز الثقة في أنفسهم تقديرهم والسلام عليهم، فعن أنس رضي الله عنه قال: **(أتى رسول الله ﷺ على غلمان فسلم عليهم)**[٢].

فهذا العمل يدخل السرور على هؤلاء الأطفال ويدفع من معنوياتهم وشأنهم، ويبث الثقة في نفوسهم مما يجعلهم قادرين على التواصل مع الكبار.

ولم يقتصر الأمر في مدرسة النبوة على إشعار الناشئة بالأهمية والاحترام، بل كانت ثقتهم بأنفسهم تُنَمَّى من خلال التجارب العملية عبر توليتهم المسؤوليات المناسبة لقدراتهم.

فعن أنس رضي الله عنه، قال: أتى عليَّ رسول الله ﷺ، وأنا ألعب مع الغلمان، قال: **(فسلم علينا، فبعثني إلى حاجة)**، فأبطأت على أمي، فلما جئت قالت: ما حبسك؟ قلت: بعثني رسول الله ﷺ لحاجة، قالت: ما حاجته؟ قلت: إنها سر، قالت: لا تحدثن بسر رسول الله ﷺ أحداً[٣].

---

(١) كيف عاملهم رسول الله ﷺ ص٧٧٣.
(٢) صحيح مسلم، كتاب الآداب، باب استحباب السلام على الصبيان (٢١٦٨).
(٣) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أنس بن مالك رضي الله عنه (٢٤٨٢).

فها هو معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يصلي بالناس وهو ناشئ صغير لأن هذا العمل مناسب لقدراته، وقبله علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ينام في فراش النبي ﷺ ليلة الهجرة، وهي مسؤولية جسيمة تتطلب الشجاعة والتضحية، وهكذا.

○ تاسعاً: التوجيه إلى الأخلاق الحسنة والآداب الإسلامية:

فقد كان من وصايا لقمان لابنه، ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٨ - ١٩].

ومن ذلك: قول النبي ﷺ للحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وكان طفلاً: **(دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الصدقة طمأنينة والكذب ريبة)**[١].

وقوله للطفل عمر بن أبي سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لما رأى يده تطيش في الصحفة: **(يا غلام سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك)**[٢].

ولا بد كذلك من تعزيز الصفات الحسنة التي تظهر على الأطفال بالدعاء والثناء، فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قصة مبيته وهو عند النبي ﷺ قال: فدخل النبي ﷺ الخلاء فوضعت له وضوءً قال: **(من وضع هذا؟)** فأخبر فقال: **(اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل)**[٣] فكان هذا الدعاء مكافأة على فعل إيجابي قام به ابن عباس، وتعزيزاً لسلوكه الإيجابي.

---

(١) جامع الترمذي، كتاب الجنة والنار، باب ٦٠ (٢٥١٨) قال وهذا حديث حسن صحيح.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين (٥٣٧٦)، ومسلم، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما (٢٠٢٢).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء (١٤٣) ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عبدالله بن عباس (٢٤٧٧)، وقوله: (وعلمه التأويل) زيادة في مسند أحمد٤/ ٢٢٥ (٢٣٩٧) وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده قوي على شرط مسلم.

وكذلك عزز النبي ﷺ الأخلاق الحسنة لدى جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه بقوله: (أشبهت خَلْقي وخُلُقي)[١].

وإذا صدرت منهم سلوكيات يكون الإنكار برفق، فعن رافع بن عمرو رضي الله عنه قال: كنت أرمي نخل الأنصار، فأخذوني، فذهبوا بي إلى النبي ﷺ، فقال: **(يا رافع، لم ترمي نخلهم)**، قال: قلت: يا رسول الله، الجوع، قال: **(لا ترم، وكل ما وقع أشبعك الله وأرواك)**[٢].

○ عاشراً: تربيتهم على الإيجابية في المجتمع:

فقد كان من وصايا لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

فوصية الأطفال بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجعلهم إيجابيين في المجتمع، فالرسائل الدعوية التي تصل من الأطفال عن طريق كلمة أو تصرف أو استفسار بريء قائم على التربية الصحيحة مؤثر جداً في الكبار قبل الصغار.

ففي الطفل العديد من الخصائص والمميزات التي تساعده على أن يكون داعياً فاعلاً في المجتمع المحيط فيه، وهو ما يحقق للمجتمع فائدة عظيمة، ومن أهم تلك المميزات: الطلاقة في الحديث مع البراءة والحماسة لفعل ما يُشعرهم أنهم مثل الكبار، وكذلك جرأتهم في إنكار ما عُلّموا أنه منكر دون محاباة أو حرج، وهذا نابع من ميلهم لتقليد الآباء والمربين، فإن صادفوا أسوة حسنة اصطبغوا بصبغتها منذ صغرهم، وكذلك ميلهم للتنافس مع من هم في مثل سنهم.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب: كيف يكتب هذا: ما صالح فلان بن فلان، وفلان بن فلان، وإن لم ينسبه إلى قبيلته أو نسبه (٢٦٩٩).

(٢) جامع الترمذي، كتاب البيوع، باب ما جاء في الرخصة في أكل الثمرة للمار بها (١٢٨٨) وقال هذا حديث حسن غريب صحيح، وحسنه ابن حجر في الإمتاع ص٣٨.

ولذا لا بد من تربية الطفل على الأخلاق الحسـنة، وتدريبه على حسن التعبير عن أفـكاره، مع تنميـة مهارة الإلقاء ومواجهـة الجمهور وآداب الحديـث، وتعويد الطفل على المبادرة واتخاذ القرار، وتقوية شخصيته.

○ الحادي عشر: إشعارهم بالمحبة:

وهـذا من أهم ما يؤثر في الأطفال، ويجعلهم يتعلقون بالداعية أو المربي، فحاجة الطفل إلى الشـعور بالمحبة والحنان من أهـم الحاجات التي يؤدي فقدها إلى اختلال البناء النفسي السوي للطفل.

وقد كان النبي ﷺ يشبع هذه الحاجة في نفوس الأطفال فقد ثبت أن النبي ﷺ احتضن الحسن بن علي رضي الله عنهما وكان طفلاً فقال: **(اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه)**(١).

ودخل عليه الأقرع بن حابس رضي الله عنه فرآه يقبل الحسن والحسين رضي الله عنهما فقال الأقرع: أتقبلون صبيانكم؟ إن لي عشـرة من الولد ما قبلت منهم قط قال ﷺ: **(أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة)**(٢).

فالرحمة بالصغار معلم أساسي في دعوة الأطفال، ولذا يقول النبي ﷺ: **(ليس منا من لم يرحم صغيرنا)**(٣).

وقد كان ﷺ يجلسـهم على حجره، ويتحمل ما يصدر منهم، فعن عائشـة رضي الله عنها:

---

(١) صحيـح البخـاري، كتاب البيوع، باب ما ذكر في الأسـواق (٢١٢٢)، ومسـلم، فضائل الصحابة، باب فضائل الحسن والحسين رضي الله عنهما (٢٤٢١).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته (٥٩٩٨)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال (٢٣١٧).

(٣) جامـع الترمـذي، كتـاب البر والصلة، بـاب ما جاء في رحمـة الصبيان (١٩١٩)، وصححـه الألباني في السلسلة الصحيحة، (٢١٩٦).

(أن رسول الله ﷺ كان يؤتى بالصبيان فيبرك عليهم ويحنكهم، فأتي بصبي فبال عليه، فدعا بماء، فأتبعه بوله ولم يغسله)[(١)].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: **(كان رسول الله ﷺ يزور الأنصار فإذا جاء إلى دور الأنصار جاء صبيان الأنصار يدورون حوله فيدعو لهم ويمسح رءوسهم ويسلم عليهم)**[(٢)].

عن جابر بن سمرة رضي الله عنه، قال: صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الأولى، ثم خرج إلى أهله وخرجت معه، فاستقبله ولدان، **(فجعل يمسح خدي أحدهم واحداً واحداً)**، قال: وأما أنا **(فمسح خدي)**، قال: فوجدت ليده برداً أو ريحاً كأنما أخرجها من جؤنة عطار[(٣)].

○ الثاني عشر: ملاطفتهم ومداعبتهم وكسب قلوبهم:

إن مراعاة هذا الجانب جعلت النبي ﷺ يتأخر يوماً في سجوده وهو يصلي بالمسلمين من خلفه لماذا؟ لأن طفلاً صغيراً وهو الحسن بن علي رضي الله عنهما ركب على ظهره فلم يشأ أن يقطع عليه استمتاعه بهذه اللحظات مع النبي ﷺ حيث قال ﷺ للناس بعد الصلاة: **(إن ابني هذا ارتحلني فكرهت أن أعجله)**[(٤)].

وكان النبي ﷺ يصُفُّ عبدالله وعبيد الله، وكثيراً من بني العباس رضي الله عنهم ثم يقول: **(من يسبق إليَّ وله كذا) فيتسابقون إليه، فيقعون على ظهره وصدره، فيقبلهم ويلزمهم**[(٥)].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب وضع الصبي في الحجر (٦٠٠٢)، ومسلم، كتاب الطهارة، باب حكم بول الطفل الرضيع وكيفية غسله (٢٨٦).

(٢) شرح مشكل الآثار للطحاوي (١٥٧٧) وصححه الألباني في التعليقات الحسان (٤٦٠).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب طيب رائحة النبي ﷺ ولين مسه والتبرك بمسحه (٢٣٢٩).

(٤) سنن النسائي، كتاب التطبيق، باب هل يجوز أن تكون سجدة أطول من سجدة؟ (١١٤١) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (١١٤١).

(٥) مسند أحمد ٢/ ٣٣٥ (١٨٣٩)، وقال الهيثمي في المجمع ٩/ ٢٨٥: اسناده حسن.

ولاشك أن لهذه الملاطفة والمداعبة للأطفال أثراً تربوياً كبيراً في نفوسهم حيث يميلون إلى من يلاطفهم ويتقبلون منه ما لا يتقبلون من غيره.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كان النبي ﷺ يلاعب زينب بنت أم سلمة رضي الله عنهما وهو يقول: (يا زوينب يا زوينب) مراراً[١].

ولمعرفة مدى الأثر الدعوي والتربوي على تلك الملاطفة والملاعبة وتذكر الأطفال لها، ما ورد أن محمود بن الربيع رضي الله عنه وقف بين يدي النبي ﷺ وهو ابن خمس سنين، فمج في وجهه مجة من ماء من دلو يمازحه بها، فعن محمود بن الربيع رضي الله عنه قال: **(عقلت من النبي ﷺ مجة مجها في وجهي وأنا ابن خمس سنين من دلو)**[٢].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: إن كان النبي ﷺ ليخالطنا، حتى يقول لأخ لي صغير: **(يا أبا عمير، ما فعل النغير)**[٣].

ومن ذلك إعطاؤهم الهدايا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ كان يؤتى بأول الثمر، فيقول: **(اللهم بارك لنا في مدينتنا، وفي ثمارنا، وفي مدنا، وفي صاعنا بركة مع بركة ثم يعطيه أصغر من يحضره من الولدان)**[٤].

○ الثالث عشر: القدوة الحسنة:

من المهم جداً أن يرى الطفل الـمُثل النظرية التي يطالب بتنفيذها مطبقة على

---

(١) رواه الضياء في المختارة (١٧٣٣)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢١٤١).
(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب متى يصح سماع الصغير؟ (٧٧).
(٣) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الكنية للصبي وقبل أن يولد للرجل (٦٢٠٣)، ومسلم، كتاب الآداب، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته (٢١٥٠).
(٤) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب فضل المدينة، ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة، وبيان تحريمها، وتحريم صيدها وشجرها، وبيان حدود حرمها (١٣٧٣).

أرض الواقع من قبل الأشخاص الذين يعتبرهم قدوة له، ولاسيما الآباء والمعلمين.

إن التربية والدعوة بالقدوة من أبرز معالم المنهج النبوي في تربية الأطفال والناشئة، فسائر شؤون حياته ﷺ كانت محلاً للأسوة الحسنة.

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: بت في بيت خالتي ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها زوج النبي ﷺ وكان النبي ﷺ عندها في ليلتها، فصلى النبي ﷺ العشاء، ثم جاء إلى منزله، فصلى أربع ركعات، ثم نام، ثم قام، ثم قال: **(نام الغليم)** أو كلمة تشبهها، ثم قام، فقمت عن يساره، فجعلني عن يمينه، فصلى خمس ركعات، ثم صلى ركعتين، ثم نام، حتى سمعت غطيطه أو خطيطه، ثم خرج إلى الصلاة[1].

أي تربية أكمل من أن طفلاً صغيراً كابن عباس رضي الله عنهما يبيت يوماً عند قدوته ﷺ: فيراه وهو يقوم بعد مضي شطر الليل فيتوضأ ثم يصلي من الليل ويتهجد قائماً بين يدي الله تعالى، هذا الموقف العملي يربي الناشئ على الإخلاص لله تعالى وخشيته والتقرب إليه بالصلاة والتهجد دون أن يتكلم المربي بكلمة واحدة تحث الطفل على ذلك.

وعن عبدالله بن عامر رضي الله عنهما، أنه قال: دعتني أمي يوماً ورسول الله ﷺ، قاعداً في بيتنا، فقالت: ها أعطيك، فقال لها رسول الله ﷺ: **(وما أردت أن تعطيه؟)**، قالت: أعطيه تمراً، قال لها رسول الله ﷺ: **(أما إنك لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة)**[2].

فالكذب على الطفل يفقده الثقة في القدوة، فينصرف عن الاستماع والقبول للداعية أو المتربي، بل ويعمد إلى تقليدهم في السلوك غير الجيد لأنه يراقب سلوك الكبار ويقتدي بهم.

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب السمر في العلم (١١٧).
(٢) مسند أحمد ٢٤/ ٤٧٠ (١٥٧٠٢) وقال شعيب الأرناؤوط: صحيح لغيره، سنن أبي داوود كتاب الأدب، باب في التشديد في الكذب (٤٩٩٣) وحسنه الألباني.

المبحث الثاني

دعوة الشباب

ويتضمن أربعة مطالب:

المطلب الأول: أهمية دعوة الشباب.

المطلب الثاني: خصائص الشباب الدعوية.

المطلب الثالث: معالم دعوة الشباب.

المطلب الرابع: أفكار ووسائل في دعوة الشباب.

المبحث الثاني

دعوة الشباب

قيل في تعريف مرحلة الشباب: «من أدرك سن البلوغ ولم يصل إلى سن الرجولة»[١].

وقيل في قول الرسول ﷺ: (وعن شبابه فيما أبلاه)[٢]، «أي قوته في وسط عمره»[٣].

إن الشباب هم عماد الأمم، وسلاح الشعوب، يؤثرون في الأمة سلباً أو إيجاباً، يدفعون عجلة التاريخ نحو أمل مشرق، ومستقبل مضيء، أو يديرونها إلى الوراء جهلاً وحمقاً، إن الشباب هم قوة الأمم، وفخارها وذخرها وسندها..

ولذا فإن الاعتناء بدعوة الشباب وتربيتهم مسلك الأخيار وخلق الأبرار من هذه الأمة، وإن تضييعهم وإهمالهم خطر عظيم، فالأمة تفسد بفساد أجيالها، وما يتمكن الأعداء منها إلا بالتأثير على صغارها وشبابها، ومن هنا جاء الحديث عن دعوة هذه الفئة المهمة من المجتمع، والذي يمكن إبرازه من خلال ثلاثة مطالب[٤]:

---

(١) المعجم الوسيط ص٤٧٠.

(٢) جامع الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب القيام (٢٤١٦)، قال أبو عيسى هذا حديث غريب، وحسنه الألباني.

(٣) تحفة الأحوذي ٧/ ٨٥.

(٤) ينظر: كتاب تربية الشباب، وكتاب شباب الصحابة د. محمد الدويش، والمنهاج النبوي في دعوة الشباب للشيخ سليمان العيد وهو كتاب قيم في هذا المجال، وكتاب دعوة الشباب العصرية للإسلام، للشيخ فوز أبو زيد، وقد استفدت كثيراً من أفكار هذا المبحث من: مقال بعنوان: أسس تربية الشباب في الإسلام لعبدالعزيز آل الشيخ.

المطلب الأول

أهمية دعوة الشباب

الشباب هم القلب النابض في المجتمع، وبهم وعليهم تقوم الأمم وتحيا المجتمعات، وللشباب في الإسلام عناية خاصة في التوجيه والإرشاد، والاهتمام بالطاقات والقدرات والمهارات وإبرازها وتنميتها.

إن شبابَ الأمة هم مصدرُ قوتِها، وصُنَّاعُ مجدِها، وصِمامُ حياتِها، وعنوانُ مستقبلِها، فهم يملكون الطاقةَ والقوةَ وشيئاً من الفراغ والرغبة.

فإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ واجه قومه وأنكر عليهم عبادة الأوثان بل وكسرها وهو شاب يافع، قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ سَمِعۡنَا فَتًى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ﴾ [الأنبياء:٦٠].

وهذا الشاب الصالح إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول الله عنه: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢].

وكذلك يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي تربى على العفة، يقول الله عنه: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣].

ويقول تعالى عن يحي عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا﴾ [مريم: ١٢].

وهذا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، الذي تربى على الشجاعة والمروءة والعفة والغيرة، يقول الله تعالى عنه: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ

ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ﴾ [القصص: ٢٣ - ٢٤].

ويقول الله تعالى عن أصحاب الكهف: ﴿إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى﴾ [الكهف: ١٣].

وهذا الفتى الداعية غلام الأخدود يسعى للموت، ويطلب القتل، ترخص عليه روحه إذا كان في إزهاقها إيمان أمة، وصلاح شعب.

ومما يلاحظ كذلك في المؤمنين السابقين للإسلام أن جلَّهم كانوا شباباً، فرسول الله ﷺ كان في الأربعين من عمره عند البعثة، وأبو بكر رضي الله عنه كان أصغر منه بثلاث سنين، وعمر رضي الله عنه أصغر منهما وكذلك عثمان رضي الله عنه أصغر من رسول الله ﷺ، وعلي رضي الله عنه كان أصغر الجميع، وهكذا كان حمزة وعبدالرحمن بن عوف وبلال وعمار وغيرهم[(١)] رضي الله عنهم أجمعين.

وقدوتنا في دعوة الشباب رسولنا محمد ﷺ، فما من موقف إلا وكان له عناية بتلك الفئة المستعدة للتأثر والتأثير.

ويمكن إبراز أسباب العناية بدعوة فئة الشباب في النقاط التالية:

١- السؤال يوم القيامة عن مرحلة الشباب دليل على خطورتها وأهميتها، فعن ابن عمر عن ابن مسعود رضي الله عنهما: عن النبي ﷺ قال: **(لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس عن عمره فيم أفناه وعن شبابه فيم أبلاه وماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وماذا عمل فيما علم)**[(٢)].

---

(١) بتصرف، السيرة النبوية دروس وعبر ص ٦٧.

(٢) جامع الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب القيام (٢٤١٦)، قال أبو عيسى هذا حديث غريب، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٣٥٥)، وصححه في صحيح الجامع (٧٢٩٩).

٢- أمر الإسلام بالعناية بمرحلة الشباب على وجه الخصوص، فقول النبي ﷺ: **(اغتنم خمساً قبل خمس: حياتك قبل موتك، وفراغك قبل شغلك، وغناك قبل فقرك، وشبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك)**[(١)]، «أي فعل الطَّاعَة حَال قدرتك وقوّتك قبل هجوم الْكبر عَلَيْك»[(٢)].

٣- بروز الحاجة الماسة في هذا العصر إلى توجيه الشباب نحو الأفضل لكثرة المشغلات والملهيات والصوارف بشكل عام، وكثرة الأهواء والفرق والتحزبات والاتجاهات الفكرية والعقدية بشكل خاص. وكم أضاعت تلك الآفات من طاقات الشباب، أو صرفتها عن مسارها فحوّلتها من بنّاءة إلى هدّامة، أو من إيجابية إلى سلبية. ومن أسباب ذلك الانحراف ضعف التوجيه الفكري والمنهجي والتربوي وقلة المعين للشباب.

٤- إن دعوة الشباب وتوجيههم تعين على اكتشاف الأدواء والأمراض الفكرية والاجتماعية بين الشباب -قبل استفحالها وتحولها إلى مبدأ وظاهرة تنتشر في جسم الأمة كانتشار السرطان في الدم- ويجعل المسئولية تتركز في معالجتها ومحاصرتها في مهدها؛ -والوقاية خير من العلاج- فتحصين الطلاب من تلك الأمراض؛ وتحصينهم ضد مبادئها وطرقها الملتوية؛ يجعلها ضيقة القبول؛ ومحاصرة من جميع الجهات.

٥- ظهور وانتشار وسائل التلقي والرعاية السلبية التي تستهدف الشباب الذي يؤمل منه الإصلاح والتغيير والقيادة لمسيرة التقدم والحضارة، تستهدفهم بصرفهم عن منهج الإسلام الوسط، إما إلى الغلو، أو إلى التفريط، فهذا يعطينا دفعة لكي نُعِد برامج ترعى هذا الجيل من الوقوع في طريق تلك الوسائل.

---

(١) السنن الكبرى للنسائي ١٠/ ٤٠٠ (١١٨٣٢)، شعب الإيمان للبيهقي ٧/ ٢٦٣ (١٠٢٤٨)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٣٣٥٥).

(٢) فيض القدير ٢/ ١٦.

٦- خطورة المرحلة العمرية التي يمر بها الشباب؛ حيث إنها مرحلة بناء الشخصية، واستقرار الأفكار، والتوجهات، والتحول من مستهلك إلى منتج، وهي أخطر المراحل، ولذا فإن سياسة العدو تركز في الغالب على هذه الفئة لاصطيادها وتوجيهها، أو على الأقل لتهميشها وشغلها عن أداء دورها. وقد أظهر الإسلام أهمية هذه المرحلة، فجعل أحد السبعة الذين يظلهم الله بظل عرشه يوم القيامة - كما قال رسول الله ﷺ: **(وشاب نشأ في طاعة الله)**[1]، لما قام به من مقاومة لمغريات العدو والنفس.

٧- لأن جيل الشباب اليوم هم روّاد وساسة ومديرو الغد، وهذا أمر ظاهر لا يمتري فيه اثنان، فالوزراء والمديرون والكبار والعلماء والمفتون وموجهو المجتمع في التربية والتعليم والصحة والإعلام هم طلاب المدارس والجامعات بالأمس، فيجب أن تقدم للشباب ما يعينهم على البروز والإنتاجية والإيجابية لننتظر منهم غداً روح العطاء والبذل والاحتساب، لصالح البلاد والعباد، وفق أسس حضارية، ربانية المصدر، عميقة التأسيس، ترجو ربها وتخاف الآخرة.

٨- يقول الشيخ محمد الدويش: «إن الشباب حين يفتقدون العلم والانضباط الشرعي، وحين لا يجدون القيادة الواعدة التي توجههم ويثقون بها قد ينزلقون إلى مزالق خطرة، أما حين تتهيأ لهم القيادة الواعية فإنها تستثمر طاقاتهم وتوجه حماستهم لنصرة الدين وإحقاق الحق وإبطال الباطل»[2]، ولذا يقول عمرو بن قيس: «إن الشاب لينشأ، فإن آثر أن يجالس أهل العلم كاد أن يَسْلَم، وإن مال على غيرهم كاد أن يعطب»[3].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين (١٤٢٣). ومسلم، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة (١٠٣١).

(٢) شباب الصحابة ص١٩.

(٣) الإبانة لابن بطة ص٤٥.

٩- إن دعـوة الشـباب تعين علـى بناء جيل جديـد من العلمـاء والقادة الربانييـن، يقودون مسـيرة التربية والتعليم والإفتاء والتوجيه، وبصفة عامة اسـتكمال مسـيرة الاستخلاف في الأرض، لأن الجيـل الموجـود حالياً، مـن العلماء والقادة - أطـال الله في أعمارهم وبارك في جهودهم- بدأ في العد التنازلي، ولا يوجد من يحمل الراية ويملأ الفراغ الذي سيتركونه، ولذلك يجب عمل برامج للرعاية الجادة التي تخرج وتبني ذلك الجيل.

١٠- في دعوة الشباب اكتشاف الطاقات الكامنة، وتفعيل القدرات الموجودة، ومن ثمّ توجيهها إلى مسارها الصحيح الذي يكون به النفع للأمة.

١١- بدعوة الشـباب يمكن جمع الجهود، ونبذ الخلافات، وإقامة الأعمال المؤسسية الجماعية التي تتسـم بالمتابعة والقوة، مع الاهتمام بالمشـاريع النافعة، وذلك لأن الشـباب إذا لم يُوَجَهوا لحاجة الأمة في العمل فقد يتجه أكثرهم إلى باب واحد من العمل مع حاجة الأمة إلى أعمال أخرى.

المطلب الثاني

خصائص الشباب الدعوية

أهم ما يتميز به الشباب وله أثر في دعوتهم[1]:

أولاً: سرعة التأثر والاستجابة:

أثبتت الخبرة التاريخية والدراسات الحديثة، أن الشباب يتقبلون الأفكار الجديدة والتغير الثقافي أكثر من المتقدمين في السن.

(١) بعض أفكار هذا المطلب استفدنا منها من كتاب مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي د. عبدالكريم بكار ص٦٩ وما بعده، ومقال بعنوان: خصائص مرحلة الشباب، لطلال مشعل.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «... وهُم الشباب، وهم أقبل للحق، وأهدى للسبيل من الشيوخ، ولهذا كان أكثر المستجيبين لله ولرسوله شباباً، وأما المشايخ من قريش، فعامتهم بقُوا على دينهم، ولم يسلم منهم إلا القليل»[(١)].

والواقع يشهد بأن أكثر الذين تفاعلوا مع الصحوة الإسلامية المعاصرة هم أيضاً من الشباب، كما هو ملاحظ.

فالشباب هم أكثر الناس تأثراً، وأسرعهم استجابة، بخلاف الشيوخ الذين تمسكوا بمعتقداتهم، وآثروا موروثاتهم، ولو تبين لهم الحق فيما يدعون إليه، فكان المكذبون للرسالة والمحاربون للدعوة هم كبار القوم[(٢)]، الذين نشأوا على الباطل وصلبت أعوادهم عليه، كأبي جهل وأمية بن خلف وأبي لهب وغيرهم.

ثانياً: أن الشباب يتحلى بالمرونة الذهنية بسبب حداثة السن:

فالإنسان تتصلب آلية التفكير والاستيعاب والتكيف لديه، على نحو يحاكي تصلب الجهاز الحركي عنده، ومن ثم، فكما إنه يكتسب عادات صارمة في الأكل والمشي والكلام، فإنه يكتسب أيضاً عادات صارمة في الفهم والتمثل والاقتناع، يصعب معه قبول الجديد[(٣)].

يقول الإمام ابن القيم: «مانع الإلف والعادة والمنشأ، فإن العادة قد تغلب حتى تغلب حكم الطبيعة، ومن ثم قيل هي طبيعة ثانية، فيُربى الرجل على المقالة ويُنشأ عليها صغيراً، فيتربى قلبه ونفسه عليها، ولا يعقل نفسه إلا عليها، ثم يأتيه العلم وهلة

(١) تفسير القرآن العظيم ٥/ ١٣٦

(٢) بتصرف، المنهاج النبوي في دعوة الشباب: سليمان بن قاسم العيد ص ٤٠.

(٣) مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي بتصرف ص ٨٠.

واحـدة يريد إزالتهـا وإخراجها من قلبه، وأن يسـكن موضعها، فيعسـر عليه الانتقال، ويصعـب عليه الـزوال، فديـن العوايد هـو الغالب على أكثـر النـاس[١]، وكلما عاش الإنسان هذا الدين مدة أطول اشتد رسوخه في نفسه وصعب نقله عنه إلى غيره.

ثالثاً: أن الشباب من طبعه الحماس والاندفاع:

وهـذا بسـبب طول الأمل وإحساسـه بـأن في العمـر بقية كافيـة للقيـام بكثير من المشاريع، ولتطلعه نحو المستقبل، أما عند التقدم في السن، فإن النفس البشرية يصيبها نوع من السـآمة والبطء في الانفعال والتفاعل مع الجديد[٢]، خاصة إذا كان هذا الجديد هو دين واعتقاد سيغير حياته كلها اعتقاداً وقولاً وعملاً.

فالشـاب طبعـه الجرأة والإقـدام والتضحية بكل شـيء، وعلـى العكس في ذلك كبار السـن، فشـأنهم مختلف في حرصهم على المحافظة على مكاسبهم، واستعدادهم لخوض المعارك من أجلها[٣].

لذلـك كان مـن المنطقـي تركيـز الدعـاة والمصلحيـن على الشـباب فهـم عدة المسـتقبل، وأمـل التجديـد، وهـم عمـاد كل دعوة إصلاحيـة، وباندفاعهـم للتضحية والفداء تتقدم الدعوات سريعاً نحو الغلبة والنصر بإذن الله، مع عدم إغفال كبار السن، ففيهم كثيرون يتسمون بالعقل والحكمة وحب الخير والحق.

رابعاً: إحساس الشباب بالحاجة للموجه:

فالتعطـش الشـديد من قبل الشـباب لمن يوجههم ويسـتمع إلـى حديثهم ويحل

(١) مفتاح دار السعادة بتصرف ١/ ٩٨.
(٢) مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي بتصرف ص ٨٠.
(٣) مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي بتصرف ص ٨١.

مشكلاتهم، وينفس كرباتهم، وخاصة مع وجود فئة من الدعاة تقتصر على إعطاء الشباب مادة علمية أو وعظيه بحتة فقط دون مراعاة لمشكلاتهم والحديث معهم.

خامساً: العطاء:

الشباب هم منبع العطاء دائماً بما يمتلكونه من الطاقة والقوة والعزيمة، ويتميّز عطاء الشباب بأنه مُستمرٌّ لوجود الطاقة الكامنة التي لا تنضب لدى الشباب، والتي تشحذ الهمم باستمرار، بينما يتخلّل مراحل الإنسان الأخرى الضعف والانقطاع بين الحين والآخر بسبب تعرُّض الإنسان للمرض أحياناً، أو ضعف الجسد بسبب تقادم السنين.

سادساً: الطموح وتحديد الأهداف:

قد يكون لدى الطفل الصغير من الأحلام والأماني الكثير، والتي لا تستند إلى حقائق الواقع، وظروف الحياة، وقدرات النفس الحقيقية ومواهبها، بينما ترى الشاب الراشد قادراً على تحديد أهدافه بوضوح، وتمييز ما يمكن تحقيقه منها، وما لا يمكن تحقيقه، لأنّ مدارك الشاب وآفاق تفكيره تختلف عن مدارك الطفل وأحلامه الصغيرة، ولا شكّ في أنّ تحديد الأهداف والطموحات يُعين الإنسان على تحقيقها حينما يسخّر جهوده من أجلها.

سابعاً: تحمل المسؤولية:

بعد أن يكون الإنسان طفلاً لا يتحمل مسؤوليات الحياة وواجباتها، يرى نفسه في مرحلة الشباب وقد أُنيطت به كثيرٌ من المسؤوليات والواجبات، فهو في هذا السن قادرٌ على تحمُّل أعباء الحياة والقيام بواجباتها بما يمتلكه من القوة والعزيمة.

ثامناً: النضوج العاطفي:

فمرحلة الشباب هي مرحلة تتميز بفوران العاطفة ونضوجها؛ بحيث يشعر فيها

الشـابُ ذكراً كان أو أنثى برغبة في تأسـيس علاقة شـرعيّة مع الجنس الآخر من خلال الزواج، ويبدأ في التفكير في بناء أسرة مُستقلة وإنجاب الأولاد.

تاسعاً: مواجهة الكثير من التحديات:

يتعـرض الشـاب في هذه المرحلـة للكثير مـن العقبـات، إذ يكون لزامـاً عليه أن يختار المسـار العلميّ الذي يرغب فيه؛ لأنه سوف يلتزم به، ويحدد مستقبله المهني في المستقبل، كما أنّ أحداثاً مصيرية تتخلل هذه المرحلة؛ مثل: الثانوية العامة التي تُحدّد بشكل كبيرٍ مصير الطالب، وقبوله في الجامعات المختلفة.

وفي مرحلـة الشـباب تحديات أخلاقية حينما يرى الشـابُّ المفاسـد والمنكرات المنتشرة في مجتمعنا فيحاول جاهداً مقاومتها واجتنابها.

عاشـراً: التغـيرات العقليـة، والمشاعـر الدينيـة، والتغـيرات النفسية والسلوكية:

فالتغيـرات العقليـة تتمثـل في: الـذكاء، والانتبـاه، والتذكر، والتفكيـر، ومحاولة استخدام العقول وتفعيله في كل مناحي الحياة.

أما المشـاعر الدينية وتتمثل في: حـب الدين، والوعي الدينـي، الحماس الديني، والإقبال على العبادة، والعمل للدين والدعوة.

أمـا التغيرات النفسـية والسـلوكية، فتتمثل في: اسـتيقاظ الغرائـز، وحب الظهور والشـهرة، والرغبـة في التجديـد والتغييـر، والنزوع إلـى الحرية والاسـتقلال، وحب التجمل والتزين، والاسـتغراق في عالم الخيال سواء كان دون تفكير أو عمل، أو خيال من أجل الإبداع والابتكار.

المطلب الثالث

معالم دعوة الشباب

عند دعوة الشباب خاصة توجد بعض المعالم الأساسية التي تعتبر مفاتيح تحدث تحولاً ونقلة في دعوة الشاب وتفتح أمامه باباً إلى مزيد من التقدم في التزامه بأحكام الله تعالى.

وأهمية هذه المعالم في أن الداعية قد يجد صعوبة في دعوة شاب أو مجموعة من الشباب والسبب أن مفاهيم معالم الدعوة ما لم تمهد بها وعندما يبدأ بهذه المفاهيم يجد أن تقبل الشباب لدعوته قد تحسن لأن المعالم يترتب بعضها على بعض ويمهد بعضها لبعض وبعض المعالم عندما ترسخ تجيب على كثير من الأسئلة جملة واحدة وتحل كثيراً من العقد وتفتح الباب أمام تساؤلات جديدة تفتح آفاق الشاب.

ومن حكمة الداعية وبصيرته في الدعوة أن يتعرف على هذه المعالم التي يبدأ ينتجها فيفتح قلب المدعو أو وعيه وأفقه وعقله ثم تفعيله ليكون مؤثراً في المجتمع.

ومن هذا المنطلق يمكن عرض معالم دعوة الشباب إلى الله في النقاط التالية:

أولاً: تقوية صلتهم بالله تعالى:

وذلك بحضهم على استشعار مراقبته دائماً، وأن يوضع في برامجهم الدراسية والتربوية كثير من نصوص الوحي التي تعظم الله في قلوبهم وترسخ محبته فيهم، وتحبب إليهم طاعته وترهبهم من معصيته.

فقد ورد أن النبي ﷺ وصى عبدالله بن عمر رضي الله عنهما وصية بالغة عظيمة يرويها لنا

بنفسه فيقول: أخذ رسول الله عليه وسلم بمنكبي فقال: (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل)[(١)].

وعن سالم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان الرجل في حياة النبي ﷺ إذا رأى رؤيا قصها على النبي ﷺ، فتمنيت أن أرى رؤيا أقصها على النبي ﷺ، وكنت غلاماً شاباً عزباً، وكنت أنام في المسجد على عهد النبي ﷺ، فرأيت في المنام كأن ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار، فإذا هي مطوية كطي البئر، وإذا لها قرنان كقرني البئر وإذا فيها ناس قد عرفتهم، فجعلت أقول أعوذ بالله من النار، أعوذ بالله من النار. فلقيهما ملك آخر فقال لي لن تراع. فقصصتها على حفصة رضي الله عنها، فقصتها حفصة على النبي ﷺ فقال: (نعم الرجل عبدالله لو كان يصلي بالليل). قال سالم: فكان عبدالله لا ينام من الليل إلا قليلاً[(٢)].

وتعليمه للحسن رضي الله عنه دعاء القنوت، فيقول: علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في قنوت الوتر: (اللهم اهدني فيمن هديت..)[(٣)].

وعلّم البراء بن عازب رضي الله عنه دعاء النوم فقال: (إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن..)[(٤)].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل (٦٤١٦).

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب عبدالله بن عمر بن الخطاب(٣٧٣٨) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عبدالله بن عمر رضي الله عنهما (٢٤٧٩).

(٣) جامع الترمذي، كتاب أبواب الوتر، باب القنوت في الوتر(٤٦٤)، وسنن النسائي، كتاب قيام الليل، باب الدعاء في الوتر (١٧٤٥)، وسنن أبي داوود، كتاب السجود، باب القنوت في الوتر (١٤٢٥) وصححه الألباني في الإرواء٢/ ١٧٢.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب فضل من بات على الوضوء (٢٤٧)، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع (٢٧١٠).

ثانياً: أن توضح لهم قيمة مرحلة الشباب وقيمتهم في الحياة:

أي أن يغرس في قلب الشاب الإجابة على الأسئلة التي تبين له قيمته في الحياة والمجتمع بل والكون كله، مثل: لماذا خلقنا الله؟ وما الحكمة من خلق الإنسان؟ ومن أنا؟ وما هي قدراتي؟ وما هي طموحاتي؟ وما وظيفتي في المجتمع؟ وكيف أعيش هكذا بلا هدف ولا معنى للحياة؟ وما الذى عليَّ فعله حتى أكون عبداً لله؟

وهذا الموضوع أساسي فهو ينقل الشاب من حالة الاستهتار التي قد يكون يعيشها إلى بداية الجدية، ومن حالة العبودية للدنيا والهوى والطبع إلى العبودية لله وحده، ومن حالة الفوضى في أفكاره وعدم ترتيب أهداف لحياته إلى بداية انتباهه إلى قضية ضرورة أن يعيش من أجل هدف وأن تكون لحياته معنى غير قضاء العمر في أي شيء أياً كان.

كما أن هذا المعنى يميز للإنسان ما يصح من طموحاته وآماله وأحلامه وما لا يصح وهذا المعنى يجعل الشاب يدرك قيمته في الحياة وأن حياته أغلى من أن يضيعها في أي شيء تافه وأنه يستمد مكانته من عظمة معبوده وأن عبوديته لله تحرره من كل عبودية لغير الله فيعيش حراً كريماً.

ثالثاً: تربيتهم على العفة:

وذلك ببيان حرمة الزنا والشذوذ الجنسي والممارسات الجنسية الخاطئة ومخاطره الصحية والاجتماعية على الفرد والمجتمع.

وإشغالهم بالأعمال الاجتماعية والخدمات وبالألعاب الترفيهية الرياضية عن الاختلاء بأنفسهم وارتكاب المعاصي، ومراعاة الوسائل المساعدة على التخلص منها وما في حكمها.

مراعات الفطرة، فرسول الله ﷺ يعلم حاجة طلابه الشباب العاطفية والنفسية والفطرية فلا يكبتها ولكن يوجهها إلى وجهتها الصحيحة إما بالزواج أو بالصبر والصيام، قال ﷺ: **(يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء)**[(١)].

وعن أبي سليمان مالك بن الحويرث، قال: أتينا النبي ﷺ، ونحن شببة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة، فظن أنا اشتقنا أهلنا، وسألنا عمن تركنا في أهلنا، فأخبرناه، وكان رفيقاً رحيماً، فقال: **(ارجعوا إلى أهليكم، فعلموهم ومروهم، وصلوا كما رأيتموني أصلي، وإذا حضرت الصلاة، فليؤذن لكم أحدكم، ثم ليؤمكم أكبركم)**[(٢)].

وهذا من شمولية ومن دقة دعوة النبي ﷺ لشباب الصحابة، حيث يراعي مرحلتهم العمرية وأثرها النفسي والسلوكي فيوجهها الوجهة التي يريدها الله وتحفظ عليهم حياتهم الدينية والدنيوية.

وعن جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أيضاً، قال: كنت مع النبي ﷺ في غزاة، فأبطأ بي جملي وأعيا، فأتى علي النبي ﷺ فقال **(جابر؟)**: فقلت: نعم، قال: **(ما شأنك؟)** قلت: أبطأ علي جملي وأعيا، فتخلفت، فنزل يحجنه بمحجنه ثم قال: **(اركب)**، فركبت، فلقد رأيته أكفه عن رسول الله ﷺ، قال: **(تزوجت)** قلت: نعم، قال: **(بكراً أم ثيباً)** قلت: بل ثيباً، قال: **(أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك)** قلت: إن لي أخوات، فأحببت أن أتزوج امرأة تجمعهن، وتمشطهن، وتقوم عليهن، قال: **(أما إنك قادم، فإذا قدمت، فالكيس الكيس)**، ثم قال: **(أتبيع جملك)** قلت: نعم، فاشتراه مني بأوقية، ثم قدم رسول الله ﷺ

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الصيام، باب الصوم لمن خاف على نفسه العزوبة (١٩٠٥)، ومسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن طاقت نفسه إليه ووجد مؤنة واشتغال من عجز عن المؤنة بالصوم (١٤٠٠).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم (٦٠٠٨).

قبلي، وقدمت بالغداة، فجئنا إلى المسجد فوجدته على باب المسجد، قال: (آلآن قدمت) قلت: نعم، قال: (فدع جملك، فادخل، فصل ركعتين)، فدخلت فصليت، فأمر بلالاً أن يزن له أوقية، فوزن لي بلال، فأرجح لي في الميزان، فانطلقت حتى وليت، فقال: (ادع لي جابراً) قلت: الآن يرد علي الجمل، ولم يكن شيء أبغض إلي منه، قال: (خذ جملك ولك ثمنه)(١).

رابعاً: الرفع من مكانتهم والثناء على جميل فعلهم:

فعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كنت أرعى غنما لعقبة بن أبي معيط فمر بي النبي ﷺ وأنا غلام فقال لي: (يا غلام هل من لبن)؟ قلت: نعم ولكني مؤتمن، قال: (فهل من شاة لم ينز عليها الفحل)؟ قال: فأتيته فمسح ﷺ ضرعها فنزل اللبن فحلبه في إناء فشرب وسقى أبا بكر ثم قال للضرع: (انقلصي) فانقلصت، فقلت: يا رسول الله علمني من هذا القول فمسح رأسي وقال: (يرحمك الله إنك غلام معلم) فأخذت من فيه سبعين سورة(٢).

خامساً: تقديمهم وتحميلهم المسؤولية:

فعن عمرو بن سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا على حاضر فكان الركبان يمرون بنا راجعين من عند رسول الله ﷺ فأدنو منهم فاسمع، حتى حفظت قرآناً، وكان الناس ينتظرون بإسلامهم فتح مكة، فلما فتحت جعل الرجل يأتيه فيقول يا رسول الله أنا وافد بني فلان وجئتك بإسلامهم، فانطلق أبي بإسلام قومه فرجع إليهم، فقال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب شراء الدواب والحمر، وإذا اشترى دابة أو جملاً وهو عليه.. (٢٠٩٧).

(٢) مسند أحمد ٣/ ٣٧٩ (٣٥٩٧) و (٣٥٩٨)، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن، والمعجم الكبير ٧/ ٤٧٠ (٨٣٧٨)، دلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٤٤ (٤٧٨)، وصححه الألباني في صحيح السيرة النبوية للغزالي (١٢٤).

(قدموا أكثركم قرآناً) قال فنظروا وأنا لعليِّ حواء[١] عظيم فما وجدوا فيهم أحداً أكثر قرآناً مني، فقدموني وأنا غلام، فصليت بهم وعلى بردة، وكنت إذا ركعت أو سجدت قلصت فتبدو عورتي، فلما صلينا تقول عجوز لنا دهرية غطوا عنا أست قارئكم، قال: فقطعوا إلى قميصاً فذكر إنه فرح به فرحاً شديداً»[٢].

فتقديم النبي ﷺ لهذا الغلام الصغير هو عناية به حيث إنه سيكون إماماً للناس وفيما بعد يعينه ذلك إلى مواصلة العلم وطلبه.

وكذلك تقديم النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه في النوم مكانه، وقيادة فتح خيبر، وكذلك تقديم أسامة بن زيد لحرب الروم.

« سادساً: الإجابة على أسئلتهم باستفاضة والزيادة والثناء:

فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت مع رسول الله ﷺ في سفر، فأصبحت قريباً منه ونحن نسير فقلت: يا نبي الله ألا تخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار؟ قال: (لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله عليه، تعبد الله لا تشرك بالله شيئاً، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم شهر رمضان، وتحج البيت) ثم قال: (ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة والصدقة تطفيء الخطيئة وصلاة الرجل من جوف الليل ثم قرأ: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ حتى قرأ ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة من ١٥-١٧]، ثم قال: (ألا أخبرك برأس أمر الإسلام وعموده وذروة سنامه؟ الجهاد. ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك؟) قلت: بلى يا رسول الله قال: فأخذ بلسانه فقال: (اكفف عليك هذا) فقلت: يا رسول الله وإنَّا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: (ثكلتك أمك يا معاذ!

(١) الحِوَاء: بُيُوتٌ مجتَمعَة مِنَ النَّاسِ عَلَى مَاءٍ، وَالْجَمْعُ أَحْوِيَة. ينظر: النهاية في غريب الحديث ١/ ٤٦٥.
(٢) مسند أحمد ٥/ ٣٠ (٢٠٣٥٦)، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح، وصحيح ابن خزيمة ٥/ ٤٥٣ح١٤٣٢، وأصل الحديث في صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب من شهد الفتح (٤٣٠٢).

وهل يكب الناس على وجوههم -أو قال مناخرهم- في النار إلا حصائد ألسنتهم؟)[(١)].

سابعاً: إشباع الجانب العاطفي والنفسي للشباب:

ومثال ذلك ما فعله مع معاذ بن جبل رضي الله عنه، حيث قال: إن النبي ﷺ أخذ بيده يوماً، ثم قال: (يا معاذ إني لأحبك). فقال له معاذ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله وأنا أحبك. قال: (أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك)[(٢)].

ثامناً: تربيتهم على الاستسلام لأوامر الله:

لقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦] وغيرها من الآيات.

وهذا المفهوم يوقف كثيراً من الجدل الذى ينشغل به الشباب وينقله نقلة كبيرة على طريق العبودية لله ويساعده على التفكير بالطريقة السليمة التي تعتمد على التسليم للدليل الشرعي وترك معارضة الحكم الشرعي بغير دليل.

تاسعاً: تربيتهم على حقيقة الإيمان:

أي تربيتهم على أن الإيمان ليس بالتمني، لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩].

ويفيد في نقل المدعو من الاستهتار والكسل إلى العمل ومن التسويف الى الإنجاز ومن التمني والاتكال على النوايا الحسنة والخواطر الطيبة إلى العمل الجاد والسعي

---

(١) جامع الترمذي، كتاب الإيمان، باب حرمة الصلاة (٢٦١٦)، سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة(٣٩٧٣). وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٧٣٧).

(٢) مسند أحمد ٣٦/ ٤٣٠(٢٢١١٩) قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

إلى أن يكون من العلماء الربانيين.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج يوماً فاستقبله شاب من الأنصار يقال له: حارثة بن النعمان فقال له: (كيف أصبحت يا حارثة؟) قال: أصبحت مؤمناً حقاً قال: فقال رسول الله ﷺ: (انظر ما تقول فإن لكل حق حقيقة، فما حقيقة إيمانك) قال: فقال: عزفت نفسي عن الدنيا؛ فأسهرت ليلي، وأظمأت نهاري، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً وكأني أنظر إلى أهل الجنة كيف يتزاورون فيها، وكأني أنظر إلى أهل النار كيف يتعادون فيها. فقال: له النبي ﷺ: (أبصرت فالزم -مرتين- عبد نوَّر الله الإيمان في قلبه) قال: فنودي يوماً في الخيل يا خيل الله اركبي، فكان أول فارس ركب، وأول فارس استشهد، فجاءت أمه إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله أخبرني عن ابني حارثة أين هو؟ إن يكن في الجنة لم أبك، ولم أحزن. وإن يكن في النار بكيت ما عشت في الدنيا. قال: فقال لها رسول الله ﷺ: (يا أم حارثة إنها ليست بجنة ولكنها جنان، وحارثة في الفردوس الأعلى) قال: فانصرفت وهي تضحك، وتقول: بَخٍ بَخٍ لك يا حارثة[1].

عاشراً: الدعوة إلى الأخلاق الإسلامية:

أي: دعوتهم وتربيتهم على الحقوق العامة بأن يعرف الشاب حق أبويه بالبر والإحسان، وحق الجار بالإكرام، وحق الرحم بالصلة، وحق العموم بالصدق والأمانة والوفاء، وتعويدهم على الأمانة وإعطائهم شيئاً من الثقة فيما بينه وبينهم.

الحادي عشر: غرس هم الدعوة للإسلام في نفوس الشباب:

فلا بد من تربية الشباب على الغيرة على الدين وتحفيزهم للالتزام بأحكامه

(١) شعب الإيمان للبيهقي ٧/ ٣٦٢برقم (١٠٥٩٠)، الإيمان لابن أبي شيبة رقم (١١٥).

والانتماء له والحفاظ عليه ونصرته من الخطر الذى يحيق به.

ليستحضر الشاب دائماً حالة الصراع التي توجب عليه التحفز والاستعداد والغيرة على الدين والعرض ووجوب نصرة الدين ليتنقل من التدين بمعنى العبادات فقط والأماني، إلى المعنى الواسع للإسلام وإلى العمل من أجل رفعة الدين خصوصاً عند وجود صراع ظاهر بين الحق والباطل.

وهذا المعلم كما يوافق حماس الشباب وقوتهم وغيرتهم فهو سيسعى لتغيير نفسه من أجل نصرة الدين وسيترفع عن السفاسف من أجل نصرة الدين وهو باب مهم يدخل منه كثير من الشباب إلى الالتزام ويخرجون من حالة التفاهة والاستهتار التي يعيشون فيها.

الثاني عشر: التوبة الى اللّٰه:

فهو ينقل الشاب نقلة هائلة للأمام لأنه يخفف القلب فيزيل منه حبه للمعاصي التي تعتبر قيوداً وعقبات تمنع القلب من الانطلاق نحو الآخرة وتعمى بصيرة القلب عن رؤية الأمور على حقيقتها.

هذا المفهوم ليس له ترتيب محدد بل الداعية يختار الترتيب المناسب فبعض المدعوين يبدأ به قبل كل شيء وبعضهم نمضى معهم بعض الوقت ونمهد لهذه الخطوة بخطوات تجعل الوصول إلى التوبة سهلاً وناجحاً وقد ندخل من العبودية إلى التوبة الى الله

الثالث عشر: تربيتهم على الرجولة:

وهو معلم هام جداً للشباب إذ إن الشباب يبحثون عن الرجولة ويحبون أن يبتعدوا عن كل وصف بالطفولة والطيش. ويستعان في ذلك بقصص أبطال الإسلام وأعمارهم.

إن الشاب الذى يشعر برجولته وكرامته واعتزازه بنفسه غالباً ما يترفع عن الفواحش والدنايا صيانة لنفسه وكبريائه وشهامته.

مع تصحيح النظرة للرجولة التي يتقمص فيها الشاب الأفعال الشائعة للكبار حتى السيء منها مثل التدخين وضرب الصغار.

الرابع عشر: تربتهم على الصحبة الصالحة والحب في الله:

وهذا المعلم مساعدة الشاب على التغلب على عقبة خطيرة في طريق التدين وهى عقبة الصحبة الفاسدة وذلك بدراسة شروط الصديق، ثم يعينه الداعية على ممارسة الصداقة والحب وتبادل المشاعر الصالحة مع مجموعة من الأصدقاء وممارسة حقوق الحب في الله.

والأخوة تعين على الثبات على الطريق فإذا كان الداعية يدعو مجموعة من الشباب فلابد أن يدرس معهم هذا المفهوم ويكون فيه قدوة في أداء حقوق الأخوة في الله.

ويترتب عليه معرفة حق المسلم على المسلم ليقترب الشاب المسلم من إخوانه المسلمين عامة ويضبط علاقته بهم حسب الشرع الحنيف خصوصاً عندما نقدم لهذه الحقوق على أنها حقوق لله تعالى قبل أن تكون حقوقاً للعباد لأن الله هو الذى شرعها فمن أداها فقد أطاع الله ومن خالفها وبخسها حقها فقد عصى الله تعالى.

الخامس عشر: تربيتهم على العلم:

وذلك بحثهم على العلم الشرعي أولاً، وترغيبهم فيه، لأن أمور دينهم تتوقف عليه، فلابد منه، فعلوم الشريعة التي يعرفون من خلالها أحكام صلاتهم وزكاتهم وصومهم وحجهم، ومعاملاتهم، كل ذلك أمور مهمة لابد من تعلمها.

وكل علم نافع للأمة ترتقي به الأمة درجات وتستغني به عن غيرها وتبصر أبناءها

فيما يعود عليهم بالخير والنفع مما يجب تعلمه، فلا بد من حثهم على تعلم العلوم الحياتية التي تحتاجها الأمة لإقامة الدنيا بالدين، وحتى لا نحتاج لغيرنا من غير المسلمين.. وهذا من فروض الكفاية التي يجب على الأمة العناية بها، وأول أمر في إقامتها هو دعوة الشباب لدراستها والتميز فيها.

فإن العلم شرف لشبابنا وعزة وكرامة لهم وإن الجهل والإعراض والتسكع في الطرقات من أعظم الأضرار والمفاسد.

« السادس عشر: دعوتهم للعناية بصحتهم:

ومن معالم دعوة الشباب المهمة في الإسلام الاهتمام بصحة الأبدان وسلامتها من جميع الأمراض والحث على ما يقوي الجسد ويعينه على تحمل المسؤولية.

وحثهم ﷺ على الرماية والعَدْو وكل تربية تقوي البدن وتعينه على القوة والنشاط، فكل علم نافع وكل تربيةٍ للبدن تعيد قوته ونشاطه، ويصبح الشاب ذا قوة بدنية سليمة متهيئ للدفاع عن نفسه وصد العدوان عنها، وكل تربيةٍ بدنيةٍ نافعة مثل الرماية والعدو والسباحة والسباق وكل رياضة نافعة، كل هذا مما حث الإسلام عليه ليحفظ للشباب قوتهم ونشاطهم، وليكن الشباب المسلم ذا وعي وصحة بدنية وعقلية وبدنية وتربية صالحة.

« السابع عشر: تربية الشباب على العيش في ظل رسالة سامية:

وذلك بتحصينهم بالعلم والإدراك، وبثّ روح الوعي لِمَا تنطوي عليه تعاليم الإسلام في النفوس، ولِمَا ينبغي أن يكون عليه الشباب من استقامة واعتدال، وفق منهاج الإسلام؛ لكي يؤدُّوا ما ينتظرهم من مهمَّات جسيمة، في خدمة دينهم ووطنهم وأمتهم، وإنني أدعو الجامعات العلمية والمؤسسات الرسمية والأهلية والجماعات المهمومة بحاضر الأمة ومستقبلها أن تُولِيَ هذا الأمر اهتمامَها، وأن تُعنَى بتربية شباب

الأمة ورجالها على التفكير الواعي، والتصدِّي الجادِّ لكل ما يُبَثُّ من مكرٍ، وإدراكِ ما يراد بأمة الإسلام من سوء، وليكن عنوان تثقيف الشباب قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]. وقوله تعالى: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖ﴾ [مريم: ١٢].

الثامن عشر: العمل على توفير البدائل الجيدة التي تملأ الفراغ:

وهذا الأمر يحمي الشباب من السقوط في الانحرافات الأخلاقية، ويحمي المجتمع من الجرائم، التي تضعف من أمن المجتمع، وهنا أدعو مراكز الشباب والهيئات الرياضية الحكومية والأهلية، والهيئات والأندية الاجتماعية، والجمعيات الخيرية على امتداد عالمنا الإسلامي، والجامعات والمدارس، إلى تنظيم الدورات العلمية والمهنية النافعة، والبرامج التأهيلية والمهارية والثقافية للشباب، وإشراكهم في المناشط العملية المختلفة، حتى يعتادوا المشاركة، ويشعروا بقيمتهم ورسالتهم في الحياة.

مع فتح المجال أمام الشباب للمشاركة وعرض الرؤى في مشروع نهضوي إصلاحي متكامل، يستوعب طاقاتهم، وتتحقق به أمانيهم، وتُستَغَلُّ فيه أعمارهم وأوقاتهم، وبذلك يعتادون الإيجابية، ويغادرون اللامبالاة والسلبية التي طبعت حياة معظم شبابنا.

التاسع عشر: ربط الشباب بالعلماء:

إنَّ على علماء الأمة الموثقين أن يجتهدوا في ربط شباب الأمة بهم، والاستماع لهم، وكسر حاجز النفرة بينهم وبين شباب الأمة، واسترجاع ثقتهم المفقودة، من خلال ممارسة دور إيجابي فاعل في قيادة الدعوة وترشيدها، من خلال صدعهم بكلمة الحق، وتحذير الشباب والأمة من كل المظاهر المنافية والمصادمة لشريعة الله سبحانه؛ ففي ذلك حفظٌ لوحدة الأمة وطاقاتها وشبابها، وتجميعٌ لها لمواجهة الأخطار المحدقة بها.

إن على العلماء دوراً كبيراً في احتضان الشباب، وتلمُّس احتياجاتهم العلمية والتربوية، وإشباعها بالعلم الصحيح والتربية الجادَّة، مصطحبين تقوى الله فيما يأتون ويذَرون ويُفتون ويوجِّهون، وبغير هذا سيبحث الشباب عمن يستغل حماسهم، ويستوعب قدراتهم في غير إطارها المشروع، وقد أخذ الله الميثاق وأكد العهد على العلماء في كل ملَّة أن يبيِّنوا الحق ولا يكتموه.

إن دعوة الشباب وتربيتهم على العزة والشجاعة والجِدِّ والعمل مسئولية، العلماء في كل التخصصات، وفي التخصصات الشرعية خاصة.

العشرون: فتح المجال للشباب للقيادة المرتبطة بالعلماء وأهل الخبرة:

فعلى قيادات الأمة في مختلف المجالات وعلى كل المستويات؛ أن تُسنِد إلى الشباب بعضَ المناصب والمسؤوليات، مع إعطائهم الصلاحيات التي تجعلهم يتحركون في حرية واختيار؛ إعداداً لهم، وتنميةً لملكاتهم، وتفجيراً للكامن من طاقاتهم، مع إتاحة الفرصة لهم للالتقاء بالشيوخ والكبار، والاستفادة من خبرتهم، والاقتباس من تجاربهم؛ حتى تلتحمَ قوة الشباب مع حكمة الشيوخ، فيُثمرا رشاداً في الرأي وصلاحاً في العمل، ولله درُّ عمر بن الخطاب الذي كان يتخذ من شباب الأمة الواعي المستنير مستشارِين له؛ يشاركون الأشياخ الحكماء في مجلسه، ويشيرون عليه بما ينفع الأمة.

وأخيراً فإن المعالم المطلوبة لدعوة الشباب كثيرة، ولكن أردنا تقديم بعض المعالم المفتاحية التي تؤثر في دعوة الشباب وتعتبر مرتكز مهم في دعوتهم وفي طريق الطاعة وتقرب بينهم وبين عالم المستقيمين العاملين لهذا الدين بحيث تنقله نقلة، وتخطو به خطوة جديدة إلى الأمام والخير.

المطلب الرابع

أفكار ووسائل في دعوة الشباب

وهي تنبيهات مهمة عند دعوة الشباب[(١)]:

١- لا بد أن يكون للشباب في برامج كل داعية وكل جولة دعوية أو جدول محاضرات أو خطب نصيب، وإن تعددت فقد تختلف الأساليب، وقد لا تتاح الفرص للشباب إلا في محاولة الداعية البعيدة.

٢- ضرورة المعايشة التربوية بين الداعية والشباب وألا تكون الدعوة عبارة عن كلمة أو محاضرة أو توجيه، وهذه المعايشة لن تكون إلا عن طريق برامج تفاعلية جماعية تخدم المجتمع وتخدم الدعوة.

٣- تكوين لجان لدعوة الشباب مع مراعاة: التخصص، والتكامل بينها، والاحتياجات الشبابية في المناطق المخلفة..

٤- لا بد من الاستعانة بالمجتمع والمؤثرين فيه في دعوة الشباب، سواء كانوا أئمة أو مدرسين أو أساتذة جامعيين أو من الشخصيات المشهورة المتميزة في جانب من جوانب النجاح في الحياة.

٥- تفعيل دور المتخصصين التربويين ذوي الخبرة والديانة والاستنارة بآرائهم، والاستفادة من خبراتهم في توجيه الشباب ودعوتهم.

٦- ضرورة المواصلة في الطرح الإسلامي المؤصل العميق لمشكلات الشباب المنحرفين، والإكثار منها بكل الوسائل حتى يُسمع الصوت الإسلامي بين آلاف الأصوات التي

---

(١) ينظر: بعض أفكار هذا المطلب في: مقال بعنوان وسائل وأفكار للدعوة مع الشباب، منشور على موقع شبكة صيد الفوائد، وأصله: من كتاب الدليل إلى الوسائل والأفكار الدعوية.. إعداد مركز الدعوة والإرشاد بمكة.

سبقت في تناول قضايا الشباب؛ وكانت للأسف بطرح إفساديّ تضليليّ.

٧- إجمال الداعية في عرض مظاهر انحراف الشباب، فإن درجة إقناع الداعية للشباب بمعرفته واقعة لا تتطلب التفصيل والشرح والإسهاب في مظاهر الانحراف ووصفها وصفاً دقيقاً، بقدر ما تتطلبه في وصف العلاج والحلول وتحليل أسباب الفساد للتحذير منها.

٨- معرفة الداعية بالخريطة النفسية للشباب الذي تدعوه؛ ميوله، عيوبه، أخلاقه الحميدة، تُسَهِّلُ التأثير عليه.

٩- وجود مراكز احتواء للشباب في الأحياء [مراكز دائمة، موسمية - الصيف، الربيع - المكتبات] تقوم بأنشطة ثقافية واجتماعية ورياضية.

١٠- الدعوة العامة في أماكن تجمعات الشباب (المقاهي، الشواطئ، الاستراحات، مقاهي الإنترنت، النوادي الرياضية، أماكن التعليم النظامي والحرفي بالوسائل المناسبة.

١١- استغلال مواسم الأعياد في التقارب مع الشباب من خلال حفل معايدة أهل الحيّ، يحوي مسابقات، مقابلات، تناول طعام العشاء.

١٢- الاستفادة من التجمعات العائلية الدورية لعمل برامج للشباب.

١٣- **برامج ملء وقت فراغ الشباب وتنمية مهاراتهم:** كدورات الحاسب والتقنيات المعاصرة، الدفاع عن النفس، الفروسية، الإسعافات الأولية، التنمية البشرية...، وذلك بالتنسيق مع المراكز أو الشخصيات المتخصصة.

١٤- رحلات عمرة وزيارة لمسجد رسول الله ﷺ، ومعالم المدينة الشرعية، وكذلك رحلات ترفيهية.

١٥- تفعيل برامج التزاور بين الشباب والعلماء الشرعيين وأصحاب التخصصات الحياتية، وتعميق التعارف فيما بينهم، وتوجيه الطاقات والاستفادة منها في تبني برامج الشباب، وخصوصاً الزيارات الفردية بين الشباب والعلماء وطلبة العلم.

١٦- تفعيل التربويين المتخصصين في مخاطبة الشباب وحل مشكلاتهم، وتيسير التواصل معهم بوسائل ميسرة، مثل: (الهاتف المباشر، البريد الإلكتروني.. وسائل التواصل الاجتماعي).

١٧- **الاستفادة من مجالات النشاط في المدارس**: محاضرات، مسابقات، زيارات، رحلات، استضافات.

١٨- تبني الشباب أصحاب المؤهلات والمواهب التي يمكن تسخيرها في دعوة الشباب.

١٩- الاهتمام بتحفيظ الشباب نصوص القرآن والسنة والعلوم الشرعية والأدب؛ لأنهم سيكونون خطباء ودعاة المستقبل، وعدّة الداعية محفوظاته المختلفة.

٢٠- تفقيه الشباب بفقه سياسة النفس والاجتهاد في العبادة.

٢١- الاستفادة من موسم الاعتكاف والمخيمات الصيفية في تربية الشباب على المواظبة على العبادة من نوافل وغيرها.

٢٢- تكوين مجموعات عمل إغاثة من الشباب، بالتنسيق مع مؤسسات الإغاثة الداخلية، وتفعيلهم في العمل التطوعي.

٢٣- الاستفادة من الشباب المتخصصين في مجال الحاسب وتقنيات الشبكات (الإنترنت) لدعم المواقع الإسلامية وأهل العلم الذين لهم مواقع في الشبكة.

٢٤- إيجاد حلقات علم ذات منهج علمي محدد ومبسط يتدرج لتخريج طلاب العلم

من الشباب، أو على أقل تقديرٍ شباب عنده من العلم ما يقيم به حياته.

٢٥- مصاحبة الشـاب بعد أخذ قسـط مـن الدعوة والتربية، وترك مجـال له للانطلاق والعطاء، واسـتقلال الشـخصية عن المربي، ونسـيان فضله عليـه، وعدم جعله في موقعً التلميذ المتلقي دائماً.

٢٦- التوقيـت الجيـد وضبط الجرعـات في إعطائه دروس في النقـد، ومعالجة أخطاء الجماعـات والدعاة، والتدرج معه في ذلك، ومراعاة الوسـطية والاعتدال في النقد بعيداً عن القفزات المحطمة غير المدروسة في تناول بعض هذه القضايا الفكرية.

٢٧- حتـى لا نخسـر الشـباب وننفرهم مـن الخير والالتـزام؛ علينا ضبـط ملاحظتنا وانفعالاتنا معهم، والمرونة في الرقابة عليهم، وفي تنفيذ البرامج معهم. مثلاً نغضب من الشابّ ونهجره؛ لأنّه ذهب مع مجموعة ملتزمة أخرى فهذا خطأ.

المبحث الثالث

دعوة كبار السن

ويتضمن ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أهمية دعوة كبار السن.

المطلب الثاني: خصائص كبار السن.

المطلب الثالث: معالم في دعوة كبار السن.

المبحث الثالث

دعوة كبار السن

لقد جاء الإسلام شاملاً جميع جوانب الحياة، ومراعياً جميع حالات المخلوقات، وخص الإنسان بكبير عناية من حين كونه نطفة، بل من قبل ذلك، وحتى بعد مماته، فقد خلقه أطواراً، وأَوْلى كلَّ مرحلة من مراحل عمره عناية فائقة، ولما كانت مرحلة عمر الإنسان الحياتية التي يكون فيها كبيراً في السن حساسة وتحتاج إلى مزيد عناية، فقد سبق الإسلام إلى التنبيه على ضرورة الاهتمام بها ومراعاتها.

وهذه الفئة من المجتمع تمثل حجماً كبيراً، وللأسف تفتقد للبرامج الخاصة التي ترعاهم وتدعوهم إلى الله وتوجههم الوجهة الصحيحة، وتزيل عنهم الأفكار والمعتقدات الخاطئة.

ولذا سنتعرض لهذا الموضوع من خلال ثلاثة مطالب[1]:

المطلب الأول

أهمية دعوة كبار السن

مما يدل على أهمية الحديث عن دعوة كبار السن، أمور منها:

☜ أولاً: تنبيه الشرع على هذه المرحلة العمرية من حياة الإنسان:

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔاۚ

---

(١) ينظر: رسالة ماجستير بعنوان: دعوة المسنين إلى الله تعالى (دراسة تأصيلية) د. حسن بن يحيى الشهري، في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة والإعلام العام: ١٤٢٨-١٤٢٧ هـ، فقد استفدنا منها خصوصاً في جانب بيان أهمية الموضوع.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [النحل: ٧٠] وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [غافر: ٦٧].

وأرذل العمر كما ذكر المفسرون هو «أخسه وأَدْونُه وآخره الذي تضعف فيه القوى، وتفسد فيه الحواس، ويختل فيه النطق والفكر، ويحصل فيه قلة العلم وسوء الحفظ والخرف، وخصه الله بالرذيلة؛ لأنه حالة لا رجاء بعدها لإصلاح ما فسد»[(١)].

قال القرطبي: «وقد قيل: هذا لا يكون للمؤمن؛ لأن المؤمن لا يترع عنه علمه»[(٢)]، ونقل عن عكرمة قوله: «مَن قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر حتى لا يعلم بعد علم شيئاً»[(٣)].

عن عبدالرحمن بن أبي بكرة عن أبيه أن رجلاً قال: يا رسول الله أي الناس خير، قال **(من طال عمره وحسن عمله)** قال فأي الناس شر؟ قال: **(من طال عمره وساء عمله)**[(٤)]، وقال: **(ليس أحد أفضل عند الله من مؤمن يعمر في الإسلام، لتسبيحه، وتكبيره، وتهليله)**[(٥)]، وقال: **(خياركم أطولكم أعماراً وأحسنكم عملاً)**[(٦)].

وعلى العكس فقد حذر من الكبائر من كبار السن، فقال ﷺ: **(ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم - قال أبو معاوية: ولا ينظر إليهم - ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر)**[(٧)].

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٥٧٧، وفتح القدير للشوكاني ٣/ ٢٠١.
(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ١٤١.
(٣) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ٣/ ٢٨.
(٤) جامع الترمذي كتاب الزهد، باب٢٢ برقم (٢٣٢٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٢٩٧).
(٥) مسند أحمد٣/ ١٩ (١٤٠١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٣٧١).
(٦) المستدرك على الصحيحين ١/ ٤٨٩ (١٢٥٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٢٦٣).
(٧) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار، والمن بالعطية (١٠٧).

ثانياً: التراجع الاجتماعي الذي أدى إلى إهمال كبار السن:

وقد تزايد في الآونة الأخيرة التنادي بالاهتمام بدعوة فئة كبار السن؛ لما ظهر من قطع العلاقة بين صغار السن وكبارها، والتقصير في البر بالوالدين، وما ذلك إلا نتيجة للابتعاد عن تعاليم الإسلام وتوجيهاته في التعامل مع كبار السن.

ثالثاً: العناية بالجانب المادي لكبار السن وإهمال الجانب الروحي والإيماني:

فقد بذلت جهود عملية لخدمة كبار السن، وانصبَّت تلك الجهود على النواحي المادية الصرفة، دون الاهتمام بالجانب الروحي والإيماني، وهو الغذاء الأهم، والحق: أن هذا الجانب يعد من أهم الجوانب في حياة الإنسان عامة، وفي حياة كبار السن خاصة؛ فكون الإنسان يعيش مرحلة القوة والجَلَد مشغولاً بالدنيا وخدمة غيره من زوجة وأولاد، وجمع حطام الدنيا، ثم يموت وهو مشركٌ، أو مقصر، أو عاصٍ لله؛ فيخسر الدنيا والآخرة عياذاً بالله - فهذه خسارة عظمى، فقد أكَّد الله هذه الحقيقة بقوله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ١ - ٨].

رابعاً: بعد كثير منهم عن العلم في مرحلة الصغر:

كما تبرز أهمية هذا الموضوع بالنظر إلى واقع كثير من المسِنِّين اليوم، الذين كانت ظروف العيش وطلب العلم في الماضي عندهم من الصعوبة بمكان؛ مما جعل كثيراً منهم على قدر كبير من الجهل ببعض أحكام الدين؛ فهم يحتاجون إلى الدعوة إلى الله تعالى بأسلوب ووسائل مناسبة، وتجلية ما ينبغي أن يتعلموه من الدين بالضرورة، واستئصال ما لدى البعض من مخالفات شرعية قد تقدح في العقيدة التي قد يتوارثها الأجيال.

خامساً: اهتمام الإسلام برعاية حقوق الكبار:

اهتمام الإسلام بكبار السن ورعايته لهم، وحثه على الاعتناء بهم؛ مما يستدعي دعوتهم إلى الله تعالى، فقد أمر الإسلام ببر الوالدين، وخصوصاً حال الكبر، وأعظم البر دعوتهم إلى الله: قال سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣ - ٢٤].

وقال النبي ﷺ: (من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا)[١]. وفي رواية: (لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا ويُوَقِّرْ كَبِيرَنَا)[٢]، وأعظم حقوق الكبار دعوتهم إلى الله.

ومن التوقير قول النبي ﷺ: (يُسَلِّمُ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ)[٣].

سادساً: التعميم والنظرة الخاطئة لكبار السن عن ضعف قبولهم للحق:

فهناك انطباعٌ وتصورٌ وتعميمٌ بأن كبار السن لا يجدي معهم النصح ولا التعليم[٤]، ومن مخاطر ذلك: الإعراض عن تعليمهم وتعلمهم أحكام الإسلام العامة والخاصة، ونصحهم وتوجيههم إلى ما ينفعهم في أمور دينهم.

---

(١) مسند أحمد ١١/ ٦٤٤ (٧٠٧٣) وقال شعيب الأرناؤوط إسناده صحيح، وسنن أبي داوود كتاب الأدب، باب في الرحمة (٤٩٤٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٥٤٠).

(٢) جامع الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة الصبيان (١٩١٩)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم (٢١٩٦).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب تسليم القليل على الكثير (٥٧٦٣).

(٤) جاء في إحدى الدراسات ثبوت وجود هذا التعميم الخاطئ، وقد أثبت باحث تلك الدراسة بحقائق علمية ودراسات إحصائية تحت فقرة (الحقائق العلمية عن المسنين) خطأ ذلك التعميم والمبالغة فيه، انظر: منهج التربية الإسلامية في رعاية المسنين وتطبيقاته في دور الرعاية الاجتماعية بمنطقة مكة المكرمة، بحث مكمل لنيل درجة الماجستير د. سفر بن علي الغامدي - من جامعة أم القرى بمكة المكرمة - ٥١ - سنة ١٤٢٦ هـ.

سابعاً: دور كبار السن في الدعوة إلى الله:

فقد أثبت كبار الصحابة رضي الله عنهم جدارة كبار السن، وأهمية دورهم في مجال الدعوة إلى الله تعالى، سواء كان المسن داعية أم مدعوّاً، فالمسن يكون تأثيره الدعوي أقوى، وقبول رأيه أجدر؛ لما يمتاز به من أصالة الرأي والحكمة والتجرِبة.. فلو تم الاهتمام به دعوياً سيكون له تأثير كبير في مجتمعه.

المطلب الثاني

خصائص كبار السن

لابد قبل أن نقوم بدعوة كبار السن من التعرف على خصائصهم التي تجعلنا ندعوهم بالوسائل المناسبة التي تراعي ظروفهم وأحوالهم..[١].

فهذه المرحلة من العمر يكون المرء فيها قد جمع من الخبرات والتجارب في حياته الشيء الكثير وهو يقف على أعتاب فترة من الانحدار البدني أو الفكري أو كلاهما معاً.

إنه ينظر إلى العقود التي خلفها وراءه ويقوم إما واعياً مدركاً أو بدون وعي منه بتقييم هذه الفترة الزمنية الطويلة وما قدم فيها لنفسه ومن بعده من ذرية أو حتى للجنس البشري قد يكون الرضا وبالتالي الارتياح النفسي وقد يكون عدم الرضا وبالتالي الانهيار فريسة للأمراض النفسية من اكتئاب وقلق ونحو ذلك.

كذلك فإن المسن في هذه المرحلة من العمر يتوقع أن يأخذ مقابل سنيّ العطاء

(١) ينظر: المسنون شؤون وشجون، د. عبدالرحمن الدوسري ص ٣٠ وما بعدها باختصار.

الطويلـة، يتوقـع أن يقابـل بالعرفان والتقدير ممـن أفنى حياته في خدمتهـم من ذرية أو عموم الناس، وفي الغالب أن سـلوكيات المسـنين تكون محكومة بظروف حياتهم عبر السنين وأنماط شخصيتهم وظروف حياتهم الحالية.

ولكن يمكن القول دون مجانية الصواب أن المسنين أقل مرونة وهذا شبيه بعدم مرونة عضلاتهـم وجلودهم - كذلك فإنـه يصعب عليهم تقبّل التغيير في أسـلوب الحياة والأفكار والسـلوكيات وإن فرض عليهم الواقـع ذلك التغيير فإنهم يواجهونـه بالرفض وعدم القبول وعدم القدرة على التكيف وبالتالي الشعور بالاضطراب والقلق والخوف أو حتى الكآبة.

مـن ناحية أخرى فإن المسـن يكون أقل اسـتجابة وأبطأ في تفاعلاتـه ومن ثم فإن الأمور التي تحتاج استجابة سريعة وجواباً أو عملاً سريعاً تكون صعبة عليه وإذا ما كان ذلك واجباً أو مطلوباً منه فإنه يفشـل، فإن قدرة المسـن على التعبير عن مشاعره تكون أقل فيبدو بارداً قليل التفاعل لا يفرح بسرعة ولا يحزن بسرعة وقد يخلق ذلك حساسية لدى ذويه الذين لا يدركون هذه الخاصية فيتهمونه بعدم الاكتراث واللامبالاة.

والتقـدم الكبير في السـن يؤدي إلى التغيرات السـريعة والغير عاديـة في المزاج فمثلاً يبكـي المسـن بسـرعة عند الحديـث عن قريـب أو صديق حصل له شـيء مزعـج ولكنه لا يلبـث أن يضحـك عندما يكون هناك سـبب للضحك ولو بسـيط و بالتالـي يتأثر الأداء الوظيفي بالتقدم في السـن خاصة في المواقع التي تعتمد علـي كفاءة الوظائف الذهنية مثل الأنشطة الحسية والإدراكية والانتباه المتقطع والذاكرة والتعامل السريع مع المعلومات

قد تكون هذه الخاصية من بطء الاستجابة وعدم القدرة على الانفعال أو التفاعل السـريع مثلبـة في بعض الأحيان ولكنـه منقبة للكبار فهم لا يتهـورون ولا ينفعلون ولا

يستعجلون في مواجهة الأحداث. بل يتروون ويفكرون تخدمهم خبرتهم وتجاربهم الطويلة - فتكون غالباً آراؤهم صائبة وقراراتهم صحيحة.

وإضافة إلى ما ذكر من عوامل التقدم في العمر من الناحية النفسية والاجتماعية فإن المسن يحدث عنده تغيرات جسدية سلبية كثيرة فمثلاً يضعف البصر ويقل السمع وتضمر العضلات فتقل القوة الجسدية.

وهذا النقص بالذات في الحواس المهمة مثل السمع والبصر وفي القوة الجسدية يواكبه ازدياد الأمراض التي يمكن أن يصاب بها، وهم نتيجة لذلك قد يحجمون عن الاختلاط والاجتماع وإذا ما توجب عليهم ذلك فإنهم يلتزمون الصمت إذ يحد من مشاركتهم ضعف السمع والبصر ناهيك عن عدم فهمهم لما يدور بين بني الجيل الجديد من حوارات ومواضيع.

المطلب الثالث

معالم في دعوة كبار السن

يمكن بيان معالم دعوة كبار السن في النقاط التالية:

○ أولاً: التعرف على كيفية التعامل مع كبار السن:

وهذا معلم مهم جداً كبوابة من المداخل لكبار السن، وهذا يقوم على المعرفة بخصائص كبار السن، ومن أهم ما يحتاجه كبير السن في التعامل معه[١]:

١- كبير السن يحتاج للحنان والرعاية والعطف مثل الصغير تماماً.

(١) ينظر: المسنون شؤون وشجون د. عبدالرحمن الدوسري ص ٣٠ وما بعدها باختصار وبعض الزيادات.

٢- يجب عدم الاصطدام مع كبار السن في رأي معين لأن موافقته وقتياً ومن ثم العودة مرة أو مرات أخرى لمحاولة إقناعه تأتي غالباً بما نرغبه من نتائج.

٣- عدم الإلحاح عليه ومطالبته بالإسراع في أمر ما واستعجاله ويجب أن نعطيه الوقت الكافي لإنجاز ما يريد عمله.

٤- يجب عدم مؤاخذة المسن لبرودته أو عدم اكتراثه بأمر معني لأن هذا يعين فقط أنه يحتاج إلى وقت أطول للتفاعل مع الأحداث لا عدم المبالاة.

٥- يجب أن ندرك أن المسن يستمتع بالحديث عن الماضي السحيق لأنه يتذكره أكثر من الأحداث القريبة ولأنه يشعر باستعراض تجاربه وخبراته، فعلينا أن لا نحرمه من ذلك بل نظهر له التفاعل والإعجاب.

٦- إن قصور السمع والبصر لدى المسن يجعله يبتعد شيئاً فشيئاً عن أحداث الواقع وذلك يوجب علينا التحدث بصوت مسموع ومحاولة جذب المسن للواقع بإخباره بما يدور من حوله وأخذ رأيه ومداعبته لأن ذلك مما يؤخر في عملية الانفصال عن الواقع والتي تحدث في الشيخوخة المتأخرة أو الهرم.

٧- أن يتسع الصدر لأسئلته عن كل شيء في أي وقت.

٨- التقدير والاحترام، بإلقاء التحية بابتسامة، ومصافحته وتقبيل يده ورأسه، وتقديمه في كل الأحول.

٩- عند انتقال المسن من منزله الذي تعود عليه إلى مكان آخر مثل المستشفى مثلاً يتوجب الاهتمام بتقريبه للواقع والتحدث معه وإخباره عن المكان والزمان والناس من حوله ليظل مرتبطاً بواقعه.

١٠- يجب على كل من يتعامل مع المسنين أن يشعرهم بأهمية وجودهم وأن لهم دور هام في حياتنا. وأن يشعرهم بأنهم ليسوا عبئاً ولا حملاً زائداً وأن يحافظ على كرامتهم وألا يجرح مشاعرهم لأى سبب من الأسباب

١١- على كل من يتعامل مع المسنين أن يشعرهم بأنهم سيعيشون طويلاً وأن العمر أمامهم طويل وأن هناك مئات الأشياء التي تنتظرهم ليفعلوها.

○ ثانياً: الدعوة المبكرة:

أهمية تدارك كبار السن بدعوتهم إلى الله تعالى، وتبصيره بأمور دينه قبل فوات الأوان، قال ﷺ: **(مَا يَنْتَظِرُ أَحَدُكُمْ إِلَّا غِنًى مُطْغِياً، أَوْ فَقْراً مُنْسِياً، أَوْ مَرَضاً مُفَنِّداً، أَوْ مَوْتاً مُجْهِزاً، أَوِ الدَّجَّالَ فَالدَّجَّالُ شَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوِ السَّاعَةَ فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ)**[(١)].

وعن عمرو بن ميمون: أن النبي ﷺ قال لرجل: **(اغتنم خمساً قبل خمس: حياتك قبل موتك، وفراغك قبل شغلك، وغناك قبل فقرك، وشبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك)**[(٢)].

○ ثالثاً: التعاون والشراكات بين الجهات المعنية لدعوة كبار السن:

فأهاليهم لهم دور في دعوتهم وتعليمهم خصوصاً أولادهم، وكذلك إذا كان في العائلة داعية أو طالب علم فأولى وأحق الناس بالدعوة هو قريبه كبير السن رجلاً كان أو امرأة.

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٤/ ٣٥٦ (٧٩٠٦)، ومسند أبي يعلى ١١/ ٤٢١ (٦٥٤٢) وقال محققه حسين سليم أسد: إسناده رجاله ثقات واللفظ له، وجامع الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في المبادرة بالعمل (٢٣٠٦).

(٢) السنن الكبرى للنسائي ١٠/ ٤٠٠ (١١٨٣٢)، شعب الإيمان للبيهقي ٧/ ٢٦٣ (١٠٢٤٨)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٣٣٥٥).

ودور الأهل والأقارب الأهم والأكبر والأكثر تأثيراً، فهم أعلم الناس به وأصبرهم وأحرصهم عليهم.

وكذلك للقائمين بالدعوة إلى الله تعالى والدعوة والإرشاد؛ دور في توجيه برامج دعوية لكبار السن، ومعرفة احتياجات المدعوين من كبار السن، والمعوِّقات التي يمكن أن تواجه دعوتهم وتفعيل المجتمع في دعوتهم.

وكذلك القائمون بتعليم الكبار في وزارة التربية والتعليم، والمساجد والمعاهد لهم دور في التوجيه والدعوة والنصح والاحتواء وألا يكون دورهم تعليمي فقط.

وكذلك القائمون بالجولات الدعوية في القرى، من الرسميين أو المتطوعين، وكذلك الحملات الطبية والإغاثية لا بد لهم من رعاية لهؤلاء.

وكذلك الأطباء لهم دور مهم ومؤثر، فكبار السن كثيراً ما يذهبون للأطباء وهم يقدرونهم ويحترمونهم، ولذا لا بد من توعية من يتوسم فيهم الخير والصلاح من الأطباء والممرضين والممرضات بكيفية دعوة كبار السن وتوجيههم وكسب قلوبهم.

ولا ننسى القائمين على الجمعيات الخيرية التي تُعنى بالمسِنِّين، والقائمين على أمور المسِنِّين في الجهات الحكومية والرسمية. فهم جهة معتبرة ومهمة في هذا المجال.

وغيرها من الجهات التي لا بد وأن تتبني مشاريع متكاملة لدعوة كبار السن وتتحد الجهود والأهداف والمراحل في دعوتهم.

○ رابعاً: صعوبة دعوة بعض كبار السن وهذا يتطلب جهداً إضافياً:

دعوات الرسل ودعوات التجديد الإصلاحية، تلقى غالباً مقاومة في بداية الأمر، بشكل خاص من كبار السن، لأن الأمور الاعتقادية عادةً تتحلى عندهم بالثبوتية والاستقرار، وهذا ما يميز هذه الشريحة من المجتمع، الثبوت والابتعاد عن التقلب والتغيير.

مع التنبيه إلى أن ذلك ليس هو السمة العامة وإنما يختلف هذا باختلاف مستوى التعليم، والمكان والزمان، والبيئة، وغيرها من الأمور.

فدعوة كبار السن وقبولها من المتعلمين وأساتذة الجامعات تختلف عن دعوة وقبول كبار السن من القرى والأرياف مثلاً.

ولذا فليس كل أحد قادر على دعوة كبار السن، ولا بد لمن يقوم بتلك المهمة من مهارات ومميزات تؤدي إلى قبول كبار السن منهم التوجيه.

○ خامساً: المعرفة بالأحكام الفقهية الخاصة بكبار السن:

وقد راعى الإسلام في أحكامه وتشريعاته كبار السن، وعلى سبيل المثال أمر من يؤم الناس أن يراعي حال المسنين، قال ﷺ: **(إذا صلى أحدكم للناس فليخفف فإن فيهم الضعيف والسقيم والكبير وذا الحاجة، وإذا صلى لنفسه فليطول ما شاء)**[(1)].

ورخص للمسن أن يحج عنه غيره إذا لم يستطع الذهاب هو بنفسه إلى الحج، فعن ابن عباس عن الفضل أن امرأة من خثعم قالت يا رسول الله إن أبي شيخ كبير عليه فريضة الله في الحج وهو لا يستطيع أن يستوي على ظهر بعيره. فقال النبي ﷺ **(فحجي عنه)**»[(2)].

ومن ذلك أيضاً التخفيف عليهم في الأحكام، وذلك في حديث خولة بنت ثعلبة التي ظاهر منها زوجها أوس بن الصامت، قالت: فقال لي رسول الله ﷺ: **(مريه فليعتق رقبة)**، قالت: فقلت: والله يا رسول الله ما عنده ما يعتق، قال: **(فليصم شهرين متتابعين)**، قالت: فقلت: والله يا رسول الله إنه شيخ كبير ما به من صيام، قال: **(فليطعم ستين مسكيناً، وسقاً**

(١) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب من شكا إمامه إذا طول (٧٠٥).
(٢) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب الحج عن العاجز لزمانه وهرم ونحوهما أو للموت (١٣٣٥).

من تمر)، قالت: فقلت: والله يا رسـول الله ما ذاك عنده، قالت: فقال رسول الله ﷺ: (فإنا سنعينه بعرق من تمر)، قالت: فقلت: وأنا يا رسول الله سأعينه بعرق آخر»[(١)].

○ سادساً: شمولية مجالات دعوة المسنين:

من المعلوم أن أهم ما يدعى إليه كبار السـن هو التوحيد، والبعد عن الشـركيات وترك العادات والتقاليد المخالفة للتوحيد والشرع، وإقامة العبادات الواجبة والمحافظة عليها، والإكثار من الصدقة والنوافل، فهم أقرب إلى الدار الآخر منهم إلى الدار الدنيا.

ومع أهمية وأولوية هذا الأمر فلا بد كذلك من دعوة كبار السن بشمولية أكثر لكثير من المجالات، ومنها:

١- تعلميهم أحكام الطهارة والعبادات التي يحتاجونها في مثل هذا السن.

٢- دعوة كبار السن إلى كثرة الدعاء والأذكار والتوبة والاستغفار.

٣- حثهـم علـى طلب العلـم، فهذا مما يشـغلهم ويجعلهـم يتفاعلون مـع المجتمع، ويقوي من ذاكرتهم وتحصل لهم به البركة في العمر والصحة.

٤- دعوتهم للحفاظ على صحتهم وممارسة المشي والخروج للتنزه.

٥- دعوتهم للأخلاق الفاضلة من الحلم والكرم والعدل والتواضع

٦- دعوتهم إلى اجتناب اليأس والقنوط، وحسن الظن بالله والأمل.

٧- دعوتهم إلى الاستفادة من الوقت وإقامة البرامج المناسبة وإشغالهم بما يفيدهم.

---

(١) مسـند أحمد ٤٥/ ٣٠٢(٢٧٣٩١)، وصحيح ابن حبان ١٠/ ١٠٨ (٤٢٧٩)، وسنن أبي داوود، كتاب الطلاق، باب الظهار (٢٢١٦) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داوود (١٩١٨).

٨- دعوتهم إلى الدعوة إلى الله بين أقرانهم، وعرض التجارب الحسنة في حياتهم على الشباب، ورفع همة الشباب بالقدوة الحسنة في العبادات والدعوة والإنتاجية.

○ سابعاً: اختيار الوسائل والأساليب المناسبة:

لا بد من مراعاة الوسائل المناسبة في دعوتهم، فالمتعلمون منهم يدخل لهم من باب غير الذي يدخل له ممن يعمل في الوظائف المهنية، والعاملون منهم غير المتقاعدين، وأصحاب الصحة الجيدة غير المرضى والمقعدين.

وكذلك الانتباه لوسائل الدعوة الحديثة التقنية والإعلامية، والقنوات الفضائية، ففيها تقصير كبير في مخاطبة كبار السن، في الوقت التي انتشرت فيه تلك التقنيات مع المتعلمين وغير المتعلمين.. فيمكن إيجاد قنوات تخاطب كبار السن.. ومجموعات وقنوات في وسائل التواصل الاجتماعي في دعوة كبار السن وتوجيههم.

ولا بد كذلك من استخدام أفضل وأحسن الأساليب مع كبار السن، كالموعظة الحسنة، والرفق واللين، والخدمة، وتأليف القلوب، والحلم والعفو، واستغلال الفرص واقتناص المناسبات، مع البساطة والوضوح، وكذلك المدح والثناء ورفع المعنويات.

○ ثامناً: دارسة واقعهم في المجتمعات وعوائق دعوتهم واستجابتهم:

وهذا من الأمور المهمة جداً، فكثير من الأعمال الدعوية تفتقد للدراسات والقراءة الجيدة للواقع، وفي مجال دعوة كبار السن الوضع يزداد تقصيراً.

فهناك معوقات كثيرة في دعوة كبار السن، سواء كانت منهم هم أو من الدعاة أو المجتمع أو الجهات الرسمية، أو مراكز العلاج، بل أحياناً في المؤسسات مثل المراكز الدعوية كالمساجد والمراكز الإسلامية ومكاتب الدعوة.

وقد تكون معوقات خاصة بالوسائل والأساليب المتبعة في دعوة كبار السن.

ولا بد من إيجاد حل لتلك المعوقات والتطوير الدائم في الوسائل والأساليب وموضوعات الخطاب الدعوي لهم.

تاسعاً: التلطف معهم وتبشيرهم وفتح باب الرجاء لهم:

فعن عائشة، أن نبي الله ﷺ أتته عجوز من الأنصار، فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال نبي الله: (إن الجنة لا يدخلها عجوز)، فذهب نبي الله ﷺ فصلى، ثم رجع إلى عائشة، فقالت عائشة: لقد لقيت من كلمتك مشقة وشدة، فقال نبي الله ﷺ: (إن ذلك كذلك، إن الله إذا أدخلهن الجنة حولهن أبكاراً)[١].

عن عمرو بن عبسة قال جاء رجل إلى النبي ﷺ شيخ كبير يدعم على عصاً له فقال: يا رسول الله إن لي غدرات وفجرات فهل يغفر لي قال: (ألست تشهد أن لا إله إلا الله) قال: بلى. وأشهد أنك رسول الله ﷺ قال: (قد غفر لك غدراتك وفجراتك)[٢].

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (لا تنتفوا الشيب فإنه نور يوم القيامة ومن شاب شيبة في الإسلام كتب له بها حسنة وحط عنه بها خطيئة ورفع له بها درجة)[٣].

عاشراً: الذهاب إليهم ودعوتهم للإسلام:

ولما دخل رسول الله ﷺ مكة، ودخل المسجد، أتاه أبو بكر بأبيه «أبي قحافة»، فلما رآه رسول الله ﷺ، قال: (هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه فيه)، قال أبو

---

(١) المعجم الأوسط للطبراني ٥/ ٣٥٧ (٥٥٤٥) وحسنه الألباني في غاية المرام برقم (٣٧٥).

(٢) مسند أحمد ٣٢/ ١٧١ (١٩٤٣٢) وقال شعيب الأرناؤوط: صحيح بشواهده.

(٣) مسند أحمد ١١/ ٢٥٣ (٦٦٧٢) وقال شعيب الأرناؤوط: حسن لغيره، وقال الألباني في التعليقات الحسان حسن صحيح برقم (٣٢٩).

بكر: يا رسـول الله، هو أحق أن يمشـي إليك من أن تمشـي أنت إليه، قال: فأجلسه بين يديه، ثم مسح صدره، ثم قال له: (أسلم). فأسلم[(١)].

فالنبي ﷺ أراد هو أن يذهب إليه، ولو علم ذلك لذهب إليه ودعاه لكي لا يشق عليه.

الحادي عاشر: تذكيرهم وتخويفهم بقرب أجلهم، وحثهم على العمل للآخرة، وتحذيرهم من الحرص على الحياة وجمع المال:

قال تعالى: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ [فاطر: ٣٧].

عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: (أعذر الله إلى امرئ أخر أجله، حتى بلغه ستين سنة)[(٢)].

«والمعنـى أنـه لم يبق له اعتذار كأن يقول لو مد لـي في الأجل لفعلت ما أمرت به يقـال أعذر إليـه إذا بلغه أقصى الغايـة في العذر ومكنه منه وإذا لم يكـن له عذر في ترك الطاعة مع تمكنه منها بالعمر الذي حصل له فلا ينبغي له حينئذ إلا الاسـتغفار والطاعة والإقبال على الآخرة بالكلية»[(٣)].

عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: (يهرم ابن آدم وتشب منه اثنتان: الحرص على المال، والحرص على العمر)[(٤)].

---

(١) مسند أحمد مسند أحمد ٤٤/ ٥١٧ (٢٦٩٥٦) وقال الهيثمي رجاله ثقات، وحسنه الألباني في التعليقات الحسان (٧١٦٤).
(٢) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب من بلغ ستين سنة، فقد أعذر الله إليه في العمر (٦٠٥٦).
(٣) فتح الباري ١١/ ٢٤٠.
(٤) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب من بلغ سـتين سنة، فقد أعذر الله إليه في العمر (٦٤٢١) ومسلم، كتاب الكسوف، باب كراهة الحرص على الدنيا (١٠٤٧) واللفظ له.

قال ابن حجر: «قال القرطبي: في هذا الحديث كراهية الحرص على طول العمر، وكثرة المال، وأن ذلك ليس بمحمود.. وقال غيره الحكمة في التخصيص بهذين الأمرين أن أحب الأشياء إلى ابن آدم نفسه فهو راغب في بقائها فأحب لذلك طول العمر وأحب المال لأنه من أعظم الأسباب في دوام الصحة التي ينشأ عنها غالباً طول العمر فكلما أحس بقرب نفاد ذلك اشتد حبه له ورغبته في دوامه»[1].

(١) فتح الباري١١/ ٢٤١.

فهرس المحتويات

الفصل الثاني

معالم الخطاب الدعوي للمسلمين

الفصل الثالث

معالم الخطاب الدعوي لغير المسلمين

الفصل الرابع

أصناف غير المسلمين وكيفية دعوتهم

الفصل الخامس

دعوة العصاة والمنافقين والمبتدعة